

مَجَلَّةُ الْمُتَدَرِّسِ

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة العاشرة / العدد الثالث والأربعون / لسنة ١٤٤١ هـ



مركز الهدى للدراسات والبحوث

العراق . النجف الأشرف

مركز الهدى للدراسات

مؤسسة فكرية تنشط في ميدان البحث والمساهمة في تطوير الفكر الإسلامي المعاصر؛ إيماناً منها بقدرية الإسلام ومدرسة أهل البيت عليه السلام على تقديم البديل الحضاري للإنسان، وتُعنى بالدراسات الفكرية والسياسية والتاريخية لحوزتي النجف الأشرف وقم المقدسة؛ رغبةً منها في ترسيخ الثوابت، والوقوف بوجه الفكر الدخيل.

مَجَلَّةُ الْمُهَدِّيِّ

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة العاشرة / العدد الثالث والأربعون / لسنة ١٤٤١ هـ

الهيئة الاستشارية

- ◀ السيد يوسف المحلو
• أستاذ حوزة النجف الأشرف
- ◀ السيد جابر الموسوي
• أستاذ في الحوزة العلمية
- ◀ الشيخ حسين السعدي
• أستاذ في الحوزة العلمية
- ◀ الدكتور أسامة السعدي
• جامعة النهرين
- ◀ الدكتور علي عبد الأمير
• جامعة بغداد
- ◀ الدكتور سميح الأسدي
• جامعة بابل
- ◀ الدكتور علي فياض
• جامعة طهران

الإشراف العام

محمد صادق الهاشمي

رئيس التحرير

أ. عباس النوري

التنسيق والمتابعة

محمد حميد الهاشمي

عصام الساعدي

مُعَمِّدُ التَّرْجَمَةِ الْفَارْسِيَّةِ

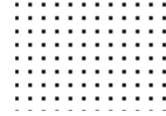
حسن علي مطر

الإخراج الفني

المطبعة

هيئة التحرير

- ◀ أ. سميح العطاوي
- ◀ أ. هادي بكر الكعبي
- ◀ أ. ضياء كاظم الهاشمي
- ◀ أ. عماد الولائي
- ◀ أ. جندار آل وشاح
- ◀ أ. إبراهيم الأسدي
- ◀ أ. منى عبد الرحمن



مجلة الهدى

العدد: الثالث والأربعون / السنة العاشرة / ١٤٤١هـ

الناشر: مركز الهدى للدراسات الحوزوية

المطبعة: الصنوبر

قطع الورق: ٢٣×٢٣ سم

عدد الصفحات: ٣٢١ صفحة

التصميم والخراج الفني: أحمد الهاشمي

سنة الطبع: ٢٠٢٠ م - ١٤٤١ هـ

❖ البحوث الواردة في مجلة المنهج تعبر عن رأي كاتبها.
❖ ترتيب البحوث خاضع لاعتبارات فنيّة

هَوْبَةُ الْمَجَلَّةِ:

مجلة [الهدى] فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية، تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية، تعنى بالفكر الإسلامي المستنير وما يتصل به من المجالات والتخصصات، في الشريعة والتاريخ والقانون والفلسفة وعلم الكلام الجديد والعلوم الإنسانية المختلفة، مضافاً للفكري الحوزوي وتاريخ المرجعية والفكر المقاوم.

شُرُوطُ الْكِتَابَةِ:

١. يتراوح حجمُ البحث بين (١٠ - ٢٥) صفحةً بحجم (A٤).
٢. ينضد البحثُ على قرص مدمج (CD)، أما التصحيح اللغوي فتتكفل به المجلة.
٣. يجب أن لا تكون البحوث منشورةً سابقاً، في الصحف أو الدوريات أو مواقع الإنترنت على الإطلاق، وأن يتعهد الكاتب بعدم نشره في مكان آخر إلا بعد أخذ الموافقة من المركز.
٤. تخضع البحوث لتسلسلٍ فنيٍّ في النشر، ولا يحقُّ للكتاب الاعتراضُ على تأخير نشر المادة، لأنه أمرٌ تابعٌ لهيأة التحرير حصراً.
٥. تُقبل البحوثُ والدراساتُ المكتوبة بلغةٍ ثقافية مميزة، أما البحوث الضعيفة فتهمل ولا تعادُ إلى أصحابها.
٦. المجلة ليست ملزمةً بإرجاع الموادِّ إلى أصحابها، سواءً نشرت أم لم تنشر.
٧. يرفق الباحث ملخصاً مع البحث لا يزيد على نصف صفحة.
٨. تكون الهوامش متسلسلة في الصفحة نفسها لا في نهاية البحث.

الإمام الخميني دام ظلّه

يَجِبُ أَنْ لَا يَجْعَلْنَا فَيْرُوسَ كُورُونَانَسِي مُؤَامِرَاتِ الْإِسْنِكْبَارِ، وَظُلْمِهِمْ
لِلشُّعُوبِ كَمَا فِي الْيَمَنِ وَفَلَسْطِينِ

كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ: كُورُونَاوَانَسَانِيَّةُ الْغَرْبِ الرَّائِفَةُ

محمد صادق الهاشمي

٢٣

مَحَطَّاتُ فِي الْفِكْرِ الْمَقَاوِمِ

دَوْرُ الْأُمَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ « فِي فِكْرِ الشَّهِيدِ الصِّدْرِ »

د. صلاح عبد الرزاق

سُبُلُ بِنَاءِ الْقَاعِدَةِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْمَنْظُومَةِ الْفِكْرِيَّةِ لِلْسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصِّدْرِ قَدْ س

أ. م. د. حيدر عبد الزهرة التميمي

دَوْرُ الْفِكْرِ فِي الْاِقْتِصَادِ الْإِسْلَامِيِّ فِي فِكْرِ الشَّهِيدِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بَاقِرِ الْحَكِيمِ

الاستاذ محمد جابر كاظم

٢٧

٢٩

٥٧

٧٥

مَلَفُ الْعِدَدِ: الْجَوْنَةُ الْعِلْمِيَّةُ وَبِنَاءُ الْأُمَّةِ

التَّائِيحُ - الْمَوَاقِفُ - الْأَهْدَافُ

الْجَوْنَةُ الْعِلْمِيَّةُ وَأَدْوَارُهَا الرِّيَادِيَّةُ - الْمَعَالِمُ وَالْخَصَائِصُ -

آية الله الشيخ محمد مهدي الأصفي

٩١

٩٣

١٠٩	المَحَوِّزَاتُ الْعِلْمِيَّةُ وَخَصَائِصُ تَوَاجُدِهَا عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَالَمِيِّ	الشيخ يحيى ميرزائي
١١٧	أَسَاطِينُ الْحَوِّزَةِ وَوَحْدَةُ الْأُمَّةِ	محمد جعفر النوري
١٥٧	دَوْرُ الْحَوِّزَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَرْجِعِيَّةِ فِي نَهْضَةِ الْأُمَّةِ	الشيخ خضر نور الدين
١٨١	الْحَوِّزَةُ الْعِلْمِيَّةُ وَمُوَاجَهَةُ الْإِنْحِرَافِ وَالْفِرَاقُ الْفِكْرِيُّ	د. محمد جواد كاظم السلامي
٢١١	الدَّرَاسَاتُ الْفِكْرِيَّةُ	
٢١٣	الرُّؤْيَا الْكَوْنِيَّةُ لِلْكَوْنِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْإِحْمَادِ	السيد صدر الدين القبانجي
٢٥١	مُعَوِّزَاتُ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرُهُ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام	الشيخ توقير الكاظمي
٢٦٣	تَطَوُّرُ عِلْمِ الرِّجَالِ فِي مَدْرَسَةِ الْحَلَّةِ	أ. أحمد عبد الحسين رهيف
٢٨٥	فِي ضِفَافِ أَهْلِ الْبَيْتِ	
٢٨٧	الْعَدَالَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ فِي وَصَايَا أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام	د. صادق عبد الرحيم العلوي

لِحَاثُ مِنْ حَيَاةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ الْجَوَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

م. محمد هاشم الحمداني

مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ

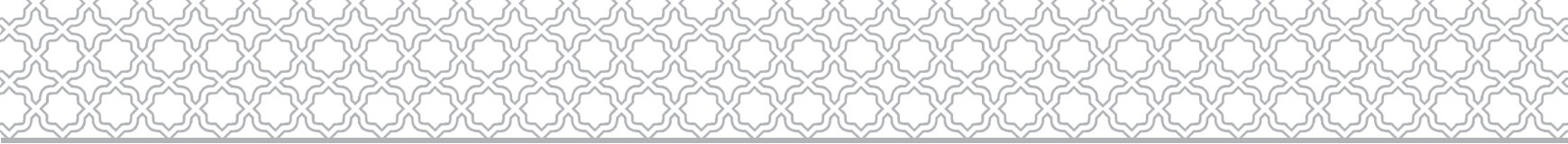
شَيْخُ الشَّرِيعَةِ الْإِصْفَهَانِي عَلَيْهِ السَّلَامُ

هيئة التحرير



يجب أن لا يجعلنا فيروس كورونا ننسى مؤامرات
الاستكبار وظلمهم للشعوب كما في اليمن وفلسطين

علي بن الحافظ
علي بن الحافظ



وجّه الإمام الخامنّي الخميس ٢٠٢٠/٤/٩ كلمة متلفزة مباشرة بمناسبة ولادة صاحب الزمان ﷺ إشار فيها إلى أن المهمة العظيمة لبقية الله عبارة عن ملئ الأرض بالقسط والعدل ، كما لفت سماحته إلى ضرورة أن لا تؤدي قضية كورونا إلى تغافلنا عن مؤامرات الأعداء والاستكبار مشيراً إلى أن هذا الفيروس ضيق الخناق على البعض ويجب أن تتم مؤازرتهم ، ثم أوصى سماحته بأهمية الاهتمام بالعبادة الفردية والتضرع في شهر رمضان المبارك مع غياب جلسات الدعاء العامة هذا العام .

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

أيها الأخوة والأخوات مبارك لكم جميعاً عيد النصف من شعبان ، وللشعب الإيراني قاطبة ، وجميع المسلمين وجميع الأحرار في العالم . أشعر بالأسف لعدم إمكانية اللقاء بكم عن قرب ، ولكوني مجبراً على مخاطبتكم عن بعد ، ولكن هذا الأمر يعتبر تجربة أيضاً . سوف أتحدث اليوم مع شعبنا العزيز ببعض الجمل عن صاحب الزمان (أرواحنا فداه) ، وبعض الجمل حول قضية الساعة في البلد . في البداية نتوجه بالتحية إلى بقية الله (أرواحنا فداه) :

أَسْلَامٌ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، أَسْلَامٌ عَلَيْكَ يَا مِيثَاقَ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ ، أَسْلَامٌ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَهُ ، أَسْلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ وَالْعِلْمُ الْمَضْبُوبُ وَالْعَوْتُ وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ ، وَعَدًّا غَيْرَ مَكْذُوبٍ ^(١) . وتتمة هذه الزيارة الشريفة لآل ياسين وجدانية حقاً : أَسْلَامٌ عَلَيْكَ حِينَ تَقُومُ ، أَسْلَامٌ عَلَيْكَ حِينَ تَقْعُدُ ، أَسْلَامٌ عَلَيْكَ حِينَ تَقْرَأُ

وَتُبَيَّنُ . . ^(٢) وإلى آخر الزيارة .

لعله أمر نادر الحدوث في مرحلة من تاريخ البشرية بأن يشعر البشر في جميع أنحاء العالم ، والمجتمع البشري ، بالحاجة إلى مخلص بهذا القدر الذي يشعرون به اليوم ، -إن كان على مستوى النخب الذين يشعرون بهذه الحاجة بكل إدراك ، أو بالنسبة للكثير من الناس الذين يشعرون بهذه الحاجة في اللاوعي- الجميع يشعرون بالحاجة إلى منقذ ، بالحاجة إلى مهديّ ، بالحاجة إلى يد القدرة الإلهية ، بالحاجة إلى إمامة المعصوم ، بالحاجة إلى العصمة ، وبالحاجة إلى الهداية الإلهية . قلّما يجد الإنسان مرحلة في التاريخ حيث كل هذا الشعور بالحاجة إلى هذه الحقيقة السامية .

اليوم وبعد أن جرّبت البشرية مختلف المدارس الفكرية والمناهل ^(٣) المتنوعة من الشيوعية إلى الديمقراطية الغربية ، وإلى الليبرالية الديمقراطية الرائجة في العالم ، ومع كل ادعاءاتهم هذه ، لا يشعر البشر اليوم بعد هذه التجارب بالراحة والاستقرار . ومع كل هذا التقدم العلمي المدهش الذي غير شكل الحياة بشكل كامل في العالم ، ما زال البشر لا يشعرون بالسعادة . فالبشرية تعاني من الفقر ، تعاني من المرض ، تعاني من الفحشاء والمعصية ، تعاني من غياب العدالة ، تعاني من عدم المساواة ، تعاني من فجوة طبقية عميقة جداً . البشر يعانون من استغلال القوى للعلم بشكل سيئ ، فالقوى العالمية تسيء استخدام العلم ، ويسبؤون استخدام الاكتشافات الطبيعية ، يسبؤون استخدام القدرات المستخرجة من الطبيعة ، البشر يواجهون هذه الأمور . وهذه الأمور جعلت الناس في أنحاء العالم يشعرون بالتعب ، يشعرون بالحاجة إلى يدٍ مخلصّة .

الناس ، ومليارات البشر في العالم يعانون ، قد ينعم البعض بالراحة ، ولكن هؤلاء أيضاً لا يشعرون بالاستقرار أيضاً ، فالبشرية تعاني من القلق ، والاضطراب ، وهذا التطور والتغيير المتنوع لم يستطع أن يمنح السعادة للبشر . طبعاً الحكمة الإنسانية نعمة كبيرة ، والتجربة نعمة كبيرة ، وهذه من نعم الله ، ويمكنها أن تحلّ الكثير من مشاكل الحياة ، ولكن بعض العقد لا تحل بهذه الأمور . فقضية العدالة على سبيل المثال ، قضية العدالة لا يمكن حلها بواسطة العلم المتطوّر والتكنولوجيا المتقدمة ، ولا تُفكّ عقدها . فالظلم في العالم اليوم يتغذى من العلم ، أي إن العلم المتطوّر أصبح في خدمة الظلم ، وفي خدمة شن الحروب ، وفي خدمة الاستيلاء على أراضي الآخرين ، في خدمة الهيمنة على الشعوب ، لذلك فإن العلم لن يستطيع حل هذه العقد ، وباتت هناك حاجة إلى قوة معنوية ، قوة إلهية ، إلى اليد القوية للإمام المعصوم ،

وهو الذي يستطيع القيام بهذه الأمور ، ولذلك فإن المهمة العظيمة لبقية الله (أرواحنا فداه) هي « يملأ الله به الأرض قسطًا وعدلاً » ^(٤) ، فالمهمة العظيمة لذلك العظيم هي القسط والعدل . ولقد أشير إلى هذا المعنى في الكثير من الروايات والأدعية والزيارات ؛ معنى إحلال القسط والعدل ، وهذا هو الأمر الذي لا يمكن تحقيقه سوى بالقدرة الإلهية على يد بقية الله الأعظم ، وهذا العدل المرتقب سوف يأتي من جانبه ، وهذا العدل ليس محصورًا في شيء خاص ، بل هو في جميع شؤون الحياة . العدالة في القوة ، والعدالة في الثروة ، والعدالة في الصحة والسلامة ، والعدالة في الكرامة الإنسانية ، وفي منزلة الاجتماعية ، وفي جميع جوانب الحياة ، والعدالة في الأمور المعنوية وإمكانية التطور ، وهذه الأمور من المفترض أن تحصل في العالم بواسطة بقية الله في عالم الوجود (أرواحنا فداه) وإن شاء الله سوف يحدث ذلك بلطف من الله .

أفراد البشر سواء من هم من النخب ويستطيعون تشخيص الأحداث ، أو من عوام الناس الذين قد يكونون منهمكين بالحياة وفي حال من الغفلة ، على مستوى العالم وفي مختلف الدول ، جميعهم يشعرون بهذه الحاجة ، لكن البعض مدرك والبعض الآخر غير مدرك ، وطبعًا هذا الوعد أعطي في كل الأديان . في كل الأديان أعطي وعد بالفرج وبحركة إلهية عظيمة في آخر التاريخ ، وطبعًا هذا ليس آخر التاريخ ؛ فالحياة الحقيقية للبشر سوف تبدأ من زمن صاحب الزمان ، ولكن المقصود في نهاية هذه الحياة التي نعيشها على هذا النحو .

حسنًا ، فهذه حاجة ، ولكن لكي تصبح هذه الحاجة مفيدة وموجهة فقد طُلب منا في الإسلام أن نقوم بالانتظار . الانتظار يتخطى الحاجة والشعور بالحاجة . قالوا لنا انتظروا ، الانتظار يعني الأمل ، الانتظار يعني الاعتقاد بوجود مستقبل قاطع ، ليس فقط من باب الحاجة ، فالانتظار بناء ، ولذلك فإن الانتظار الفرّج مكانة مهمة في رواياتنا وفي معارفنا ، وسوف أعرض شرحًا لاحقًا حول انتظار الفرّج . وينقل ابن بابويه - علي بن بابويه - في الانتظار الشريف للحجة (أرواحنا فداه) عن النبي ﷺ أنه قال : « أفضل أعمال أمتي انتظار الفرّج » ^(٥) ، هذا الأمل . وفي رواية عن موسى بن جعفر عليه السلام : « أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرّج » . المعرفة تعني التوحيد ومعرفة الحقائق الإلهية ، ومن بعدها يأتي انتظار الفرّج . عن أمير المؤمنين عليه السلام : « انتظروا الفرّج ولا تيأسوا من روح الله » ^(٦) ، أي انتظروا الفرّج ولا تيأسوا من الروح والرحمة والفرّج الإلهي . إذاً ، يتخلل انتظار الفرّج الأمل والحركة والإقدام ، وطبعًا عندما قيل انتظار الفرّج فهو أمر مسلم بأنه انتظار فرج صاحب العصر والزمان ، وهذا مصداق لانتظار الفرّج ، حيث يقول النبي ﷺ : « أفضل أعمال أمتي

انتظار الفرج « . يجب أن لا ييأس الإنسان في مواجهة المشاكل المتنوعة التي يواجهها في حياته ، بل يجب أن يتحلّى بانتظار الفرج ، وأن يعلم بحلول الفرج لاحقاً . انتظار الفرج بحد ذاته نوع من الفرج ، وهذه رواية عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : « أولست تعلم أن انتظار الفرج من الفرج » ^(٨) ، فانتظار الفرج هو فرج للإنسان في حدّ ذاته ، وهو الذي ينجّي الإنسان من حالة اليأس ومن حالة العجز التي تجبر الإنسان على القيام بأفعال عجيبة وغريبة . حسناً ، وهذا يعني أن النبي والأئمة عندما قالوا هذا فيعني أن الأمة المحمدية لا تصاب باليأس في أي حادثة من حوادث الحياة ، ودائماً وفي كل الأحوال لديها انتظار الفرج . طبعاً انتظار الفرج ليس فقط الجلوس ووضع الكف على الكف والترقّب ، انتظار الفرج يعني الجهوزية ، يعني الإقدام والمبادرة ، يعني أن يشعر الإنسان بأن هناك عاقبة يستطيع الحصول عليها ويجب عليه السعي للوصول إلى تلك العاقبة . فنحن الذين نتنظر الفرج ، نتنظر فرج بقية الله (أرواحنا فداء) ، يجب علينا أن نسعى في هذا الطريق ، أن نسعى في طريق بناء مجتمع مهدهوي ، يجب أن نقرب بأنفسنا قدر وسعنا واستطاعتنا من المجتمع المهدهوي ، فالمجتمع المهدهوي هو مجتمع القسط ، مجتمع المعنوية ، مجتمع المعرفة ، مجتمع الأخوة ، مجتمع العلم ، ومجتمع العزة .

وهناك نقطة في موضوع انتظار الفرج وهي أن انتظار الفرج ليس في نفاذ الصبر وتحديد المدة ، أي أن يحدد الإنسان زماناً وتاريخاً فلانئياً على سبيل المثال بأنه يجب أن تنتهي هذه الحادثة ، أو أن تنتهي هذه المحنة ، أو أن يظهر الإمام ، إن نفذ صبر الإنسان ، وأن يستعجل ، فهذا ليس انتظار الفرج ، ليس هذا . انتظار الفرج يعني تحضير النفس . نفاذ الصبر والاستعجال هما من الأمور الممنوعة . هناك رواية تقول : « إن الله لا يعجل لعجلة العباد » ^(٩) ؛ إذا كنت تستعجل وتندفع فهذا لا يعني أن الله يجب أن يتخذ القرار ويستعجل بناءً على عجلتك ؛ كلا ، فكل أمر له موعد ، له وقت محدّد ، له حكمة ، وعلى أساس تلك الحكمة يتم إنجازه .

وهذه النقطة أيضاً التي ذكرناها عن انتظار الفرج ، وهي أن المراد هو الفرج النهائي وهو ظهور الإمام ، وأيضاً الفرج بعد الشدة ، أي الفرج بعد الحوادث الصعبة والوبائية مثل هذه الحوادث الموجودة اليوم في العالم ، والتي ييأس منها الكثيرون ، والتي تجبر الكثيرين على الانتحار ، ولكن عندما يكون انتظار الفرج موجوداً ، فكلاً ، لأن الإنسان يعلم بأن هذه الحادثة سوف تنتهي بلا شك .

حسناً ، وهناك نقطة أخرى أيضاً وهي أن هذه الراحة النفسية الموجودة منشأها انتظار الفرج ، وأن هذه الطمأنينة النفسية لدى الإنسان التي لا يتخللها اضطراب بين نفس الإنسان وقلبه يمكن مضاعفتها بواسطة الدعاء ، بواسطة الاستغاثة ، بواسطة المناجاة مع الله ؛ « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ^(١٠) . وهذه الأدعية الواردة ، ونحن الآن في شهر شعبان وبعدها في شهر رمضان ، والأدعية الوفيرة والمناجاة المتنوعة والتحدث إلى الله بدون واسطة ، هذه [لها قيمة] كبيرة . أو التوسل بأئمة الهدى عليهم السلام الذين هم أقرب الأشخاص في عالم الوجود من الخالق المتعال ، هذه الأمور تهب الإنسان الراحة وإمكانية الطمأنينة . ذكر الله عز وجل يمنح الإنسان الانشراح والبهجة ويجلب الرحمة الإلهية ، وطبعاً الملايين من الأكف المرفوعة بالدعاء في الليلة الماضية قطعاً سيكون لها أثراً وبركات . ليلة أمس وفقّ الملايين من الأشخاص لجعل قلوبهم تصتبغ بالصبغة الإلهية ، وتتصل بالله جلّ وعلا ، وأن يرفعوا أيديهم بالدعاء وأن يكلموا الله ^(١١) ، ولا شك بأن هذا الأمر سوف يظهر آثاره الحسنة عليهم وعلى كل المجتمع أيضاً ، وسيكون له بركات كثيرة . وهذه هي بعض الجمل التي أردت قولها حول مسألة الظهور والفرج وقيام صاحب العصر والزمان . طبعاً الحديث يطول في هذا المجال ، ولكنني أكتفي بهذا المقدار .

وأما فيما يخصّ قضية الساعة في البلد وهي مسألة [فيروس] كورونا ، طبعاً هذا ابتلاء عام ، امتحان ، امتحان للعالم ، للحكومات وللشعوب أيضاً ، فالحكومات أيضاً تُمتحن في هذه المسألة ، والشعوب أيضاً تُمتحن في هذه المسألة . إنه امتحان عجيب . طبعاً تم الحديث بكثرة وطرحت المواضيع بشكل كافٍ حول الإحصاءات والإجراءات الجيدة التي اتخذت ، والتوصيات التي يوصي بها المسؤولون ، والإذاعة والتلفاز ، عملوا بشكل جيد جداً في هذا المجال إنصافاً . وليس لدي قول حول هذه الأمور ، ولكنني أروم الحديث حول بعض النقاط .

إحدى النقاط هي أن شعب إيران قد تألّق في هذا الامتحان ، تألّق بشكل جيد ، شعب إيران تألّق جيداً في امتحان الكورونا ؛ في هذا المرض العام ، في هذا الوباء المستجدّ يجب القول هكذا . أولاً ذروة هذا الفخر الوطني ترجع إلى المجموعة الصحية في البلد ، وأنا قلتها عدة مرات ، والآن أيضاً يجب أن أكرر بأن ذروة هذا الفخر ترجع إلى عظمة عملهم وقيمة تضحياتهم ؛ هؤلاء الأطباء ، والممرضين ، والمختصين بالعلوم المخبرية ، والأشعة ، وعمال الرعاية الصحية ، والخدمات ، وقسم الأبحاث ، والمديريات في وزارة الصحة وتوابعها ، المديريات العاملة في هذا المجال ، هؤلاء الذين

وضعوا حياتهم وسلامتهم في خدمة الناس ، وهذا أمر في غاية الأهمية والعظمة . فقد تحمّلوا ألم البعد عن الأسرة ، حتى في النوروز والعطلة ؛ الكثير منهم لم يذهبوا إلى أسرهم ، وعانوا من قلة النوم ، والضغط العصبي الناجم عن التعامل مع المرضى المتدهورة حالت ، لقد تحمّلوا كلّ ذلك برحابة صدر ، وتركوا بصمة جميلة عن الجهاز والمجموعة الصحية للدولة في أذهان هذا الشعب . هذه ذكرى جميلة في هذه المرحلة من مجتمع الأطباء والممرضين في البلد ، وستبقى ذكرى جيدة عنهم .

إلى جانب هؤلاء كان المتطوعين ، [أي] الأشخاص الذين لم يكونوا من ضمن الجهاز الصحي ، ولكنهم أتوا إلى الساحة بشكل تطوعي . طلاب الحوزة الجهاديين ، طلاب الجامعات الجهاديين ، آلاف عناصر التعبئة المكافحين ، الآلاف من عناصر التعبئة والأفراد من الناس قدّموا الخدمات القيّمة التي تفوق الوصف في الواقع ، والتي تجعل الإنسان سعيداً من جهة ، وممّنتاً وشاكراً من جهة أخرى .

وإلى جانب هؤلاء كانت القوى المسلحة ، وللإنصاف فإن القوى المسلحة سخّرت كل قدراتها البّناءة وابتكاراتها حتى على صعيد العلم والاكتشافات والصناعات وإنتاج الإمكانات الصحية والعلاجية من المستشفيات والمستوصفات إلى سائر الوسائل التي كانت في حوزة القوى المسلحة ، فقدموا أفضل أقسامهم في خدمة هذا العمل ، ووضعوا قدراتهم البّناءة والمبتكرة في خدمة ساحة العلم والعمل . ثم تم اكتشاف قدرات جديدة ، نتجت قدرات جديدة ، وتعرفنا الى قدرات كثيرة كانت داخل القوى المسلحة وخارجها ولم نكن نعلم بها ، أولئك الشباب الذين كانوا يأتون إلى محطات التلفاز ويشرحون الأعمال التي قاموا بها ، والأشياء التي صنعوها ، في الغالب لم نكن نعرفهم ، وهذه القدرات المكتشفة هي جديدة .

وللإنصاف أيضاً فإن الناس ومشاركة الناس كانت مشاركات جميلة جداً وخلقت مشاهد شيقة ومذهلة ، وموجودة في كل مكان . أريد أن أسمّي بعض الموارد ، وهذا لا يعني بأن أخص هذه الموارد ، لا ، فهذه وردت إليّ من خلال التقارير وأنا أذكرها . مثلاً في سبزوارد مشروع «كل حارة أضحية» ، حيث يجتمع أهل الحارة ويضخّون بخروف ويوزعون اللحم بين المحتاجين في تلك الحارة ، وهذا الأمر الذي يقومون به ضروري جداً ومثير للاهتمام ، إذ أنهم يطعمون المحتاجين . أو في يزد ، قامت والدة أحد الشهداء بالتعاون مع مجموعة من النساء بتحويل بيوتهن إلى مراكز خياطة ، وفي هذه المراكز ينتجن الكمّات ويوزعنها على الناس مجاناً . أو في نهاوند هناك مجموعة من النساء اللاتي كن يخبزن الخبز في أيام

الدفاع المقدس ويرسلنه إلى الجبهة ، الآن أيضًا عُدنَ إلى نشاطهن ويعملن في كبح هذا المرض . في خوزستان ، شكّل الطلبة مقرّات لهم ، وأيضًا يقومون بتعقيم منازل الناس . في شيراز ، يقوم الأمناء المحليّون بالتحدث إلى أصحاب الأملاك - أصحاب البيوت والمحلات - ويطلبون منهم عدم أخذ الأجرة أو التخفيض منها ، أو إعطاء المهل من أجل مساعدة أصحاب المصالح . في تبريز ، رئيس الحوزة العلمية نزل شخصيًا إلى الساحة ويقوم بالعمل . في إحدى المدن لم يقد أحد المرشحين الحزب اللهيّين الذي لم ينجح بالانتخابات بإقفال مقرّه ، بل احتفظ به وقام بتنظيم النشاط في مجال الحركة الجهادية ومحاربة الكورونا . طبعًا هذا عدد محدود من التقارير التي كانت لدي بشكل مستعجل ، ولكن يوجد المئات من الموارد المشابهة لها ، بل الآلاف من الموارد المشابهة المتوقّرة بأشكال متنوعة في أنحاء البلاد ، والتي أشرت إلى بعض منها خلال تصريحاتي السابقة^(١٢) . من المهم أن نلتفت إلى أن هذه علامات على عمق الثقافة الإسلامية ، وعلى رسوخ الثقافة الإسلامية في قلوب شعبنا . وبخلاف ما أراد البعض ادعاءه خاصة في العقدين الأخيرين للأسف ، حيث سعى البعض إلى احتقار الثقافة الإيرانية - أن يحتقروا الثقافة الإسلامية الإيرانية - لكي يلفتوا نظر الناس إلى الثقافة الغربية ونمط العيش الغربي ، وبخلاف ما أرادوه ، ولحسن الحظ فإن هذا الشعور بالفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية وسلسلة القيم الإسلامية هو شعور قوي وراسخ لدى الناس .

طبعًا في المقابل أظهرت الثقافة الغربية منتجها ، ولقد أضاء إعلامنا على بعض ما حدث في الغرب والدول الغربية ، في أوروبا وأمريكا ، ولكن بعض الأمور لا تنقل على التلفاز ، وهي معلومات تصل إلينا ونعرفها . لقد أظهر الغرب نتائج تربيته ، أن تقوم إحدى الدول بمصادرة الكمادات والقفازات المتعلقة بدولة أخرى أثناء نقلها وتحوّلها إلى نفسها - وهذا ما حدث في بعض الدول الأوروبية والأمريكية - أو أن يقوم الناس كل يوم وفي مدة قصيرة ، خلال ساعة أو ساعتين بإفراغ المتاجر ، وأن يحرصوا على الإكثار من التبضع والشراء من أجل ملء برادات وثلاجات بيوتهم بحيث تصبح المحلات فارغة ، حيث أظهروا الرفوف الفارغة للعالم في القنوات ، وقنواتنا التلفازية نقلتها إلينا ، أو الأشخاص الذين تقاتلوا من أجل عدد من مناديل المراحيض الورقية ، أو الأشخاص الذين اصطفوا من أجل شراء الأسلحة ، لأنهم يشعرون بالخطر في هذه الأيام ، ولذلك يجب أن يكون لديهم أسلحة ، أو أن يضعوا الأولويات للمرضى ، فلا يعالجوا المريض المسن ، فيقولوا إن المرضى العجزة المنهكين الذين يعانون من مشاكل أساسية ، هؤلاء لا ينبغي أن نشقى من أجلهم في ظل هذه

المحدوديات ونعالجهم . هذه الأمور وقعت هناك ، البعض انتحر خوفاً من الكورونا ، انتحر خوفاً من الموت ، هذه التصرفات بدرت عن بعض الشعوب الغربية . وطبعاً هذه نتيجة طبيعية ومنطقية للفلسفة الحاكمة على الحضارة الغربية : فلسفة الفردية ، فلسفة المادية ، الفلسفات التي غالبها من الإلحاد ؛ والتي تكون بحيث حتى لو كان هناك عقيدة بالله أيضاً ؛ فإنها تلك العقيدة غير توحيدية ، وليست صحيحة وعميقة ولا معرفية . وهذه أيضاً إحدى المسائل .

وأنا هنا أشير أيضاً : قال سيناتورٌ غربيّ في هذه الأيام الماضية إن الغرب المتوحش قد حييَ ؛ هذا كلامهم هم . فنحن عندما نقول إنه يوجد في الغرب روحية وحشية فهذا لا يتنافى مع ظاهره المنمّق والمتعطر والمرتدي لربطة العنق ، والبعض يستغرب وينكر ذلك ، ولكنهم الآن هم يقولون ذلك ، يقولون هذا مؤشّرٌ على ظهور الغرب الوحشي .

البعد الآخر لهذه المسألة هو السلوك العام لشعبنا العزيز المتمثل في العمل بالتوجيهات ، فالإنسان يرى حقيقة أن الناس يعملون بما يتبلغونه بشكل حاسم من الهيئة الوطنية لمحاربة الكورونا .

نعم ، في بعض الأحيان قد يقومون بتبليغ بعض الأشياء بطريقة متردة ، والناس لا يستنتجون بأن عليهم القيام بذلك الشيء ، ولكن عندما يكون الأمر حاسماً ويشعر الناس بأن عليهم القيام به ، فإنهم يتماشون مع تعاميم المسؤولين ، وأحد نماذج هذا الأمر كان يوم الثالث عشر من شهر فروردين لهذا العام [عام ١٣٩٩ الهجري الشمسي] ، لا أحد كان يتصور بأن الناس سوف يعطلون «سيزده به در» [عيد الطبيعة ويوم الخروج إلى الطبيعة] ولكنهم عطلوه ، الناس لم يخرجوا في «سيزده به در» . هذا دليل على أن الناس قد تقبلوا الانتظام العام في مواجهة هذه المسألة (الكورونا) بالمعنى الحقيقي للكلمة ، وطبعاً هذا يجب أن يستمر ، يجب أن يكون هناك انتظام عام ، ويجب الأخذ والعمل بجدية فيما يخص قرارات الهيئة الوطنية [لمحاربة كورونا] والتي هي المسؤول الأول في هذا المجال .

وبالبعد الآخر في هذه القضية هو أن الكورونا طبعاً مشكلة كبيرة للبشرية ، هي بلاء كبير وخطير أصاب البشرية ، ولكن هذه المشكلة تعد شيئاً صغيراً بالمقارنة مع العديد من المشاكل ، فتحن قد شاهدنا العديد من المشاكل في العالم وفي بلدنا ، وكانت هناك مشاكل لم تقل حجماً عن هذه المشكلة ، بل كانت أكبر منها . ومن جملتها ، تحديداً في مثل هذه الأيام التي دخلت الكورونا إلى منطقتنا ، قبل ٣٢ سنة ، في مثل هذه الأيام ، أسقطت طائرات صدام المواد الكيماوية على أجزاء من شعبنا وشعبه ، وتم قتل الآلاف بواسطة غاز الخردل وما شابه . هذا الحدث قد حصل ، فيما كانت جميع القوى

العالمية في ذلك اليوم تدافع عن صدام وكانوا يساعدونه . بعض هذه الدول المتحضرة والراقية - حسب ادعائهم - أعطوه بعض هذه المواد الكيماوية ، وضعوا الأسلحة الكيماوية تحت تصرفه ، إلى اليوم لم يتم محاسبة أحد منهم ، ولم يبرز أحدهم لماذا ارتكب تلك الجرائم . وذلك المجرم - صدام - فعل ذلك بشعبنا ، وفعل ذلك بشعبه أيضاً في حلبشة ، لأنه شعر بأنه من الممكن أن يقوم الناس في حلبشة بالتعاون مع المجاهدين في الجمهورية الإسلامية ، فقام بقتل الناس بالشوارع والأزقة ، طبعاً هذه الأمور موجودة وقد حصلت في الحروب الكبيرة في العالم ، فقد قتل الملايين من الناس في الحربين العالميتين . والآن في قضية الكورونا يقال مثلاً إنه قد أصيب في العالم لحد الآن مليوناً و^(١٣) نيف .

في الحرب العالمية الأولى والثانية التي حصلت بفارق زمني يقارب العشرين سنة ، في هاتين الحربين قتل الملايين ، لا أذكر بدقة ولكنني أعلم أن عدد الذين قتلوا لا يقل عن العشرة ملايين . وفي حرب فيتنام أيضاً حيث هجمت أمريكا على فيتنام ، وفي مختلف الحروب ، وفي الحرب الأخيرة على العراق قتل العديد ، استشهدوا على يد أمريكا ، وقد كانت هناك أحداث عديدة من هذا القبيل . فعندما نتحدث عن هذه القضية (الكورونا) ينبغي علينا أن لا نغفل عن سائر الأحداث المهمة التي حصلت في العالم . ويجب أن نعرف بأن الملايين من البشر حالياً يرزحون تحت وطأة الظلم واستبداد وعداوة الأعداء المتجبرين ، الناس في اليمن والناس في فلسطين وفي الكثير من نقاط العالم يقعون تحت الضغط . فلذلك يجب أن لا تغفلنا مسألة الكورونا عن مؤامرات الأعداء ، أن لا تغفلنا عن مؤامرة الاستكبار ، لأن عداء الاستكبار هو مع أصل نظام الجمهورية الإسلامية . أن يعتقد البعض بأن علينا عدم معاداتهم حتى لا يعادونا فهذا ليس صحيحاً ، الأصل في هو نظام الجمهورية الإسلامية ، الأصل هو حكم الشعب الإسلامي ، وهذا ليس مقبولاً في نظرهم ، ليس قابلاً للفهم ولا التحمل ، وهذه أيضاً نقطة .

نحن نقول إن المسؤولين في الهيئة الوطنية يعملون ، يعملون بشكل جاد ، والتقارير في هذا الشأن تقدّم إلينا ، ونطلع عليها . ولقد تم إيجاد الحلول لدعم بعض الطبقات الضعيفة ، وأنا أوصي وأؤكد على أن يتم تنفيذ هذه الحلول المعدة من قبل المسؤولين لدعم بعض الطبقات الضعيفة بمنتهى سرعة وبشكل مكثف ، ونحن جيد إن شاء الله ، ولكن إلى جانب ذلك هناك مسؤولية على عاتق الناس أيضاً . فالحقيقة يوجد هناك فئة في ظل هذه الأوضاع يقضون حياتهم بصعوبة ولا يستطيعون إدارة حياتهم بشكل طبيعي واعتيادي ، ويجب على الناس المقتدرين أن يبدأوا بنشاط واسع في هذا المجال .

نحن نقرأ في الدعاء الشريف « شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ » : « وارزقني مواساة من قُتِرَت عليه من رزقك بما وسَّعت عليَّ من فضلك . . . وأحييتني تحت ظلك » ^(١٤) ، وهذا من الأعمال التي ينبغي القيام بها ، وأما بخصوص حلول شهر رمضان ، فشهر رمضان هو شهر الإنفاق (في سبيل الله) ، هو شهر الإيثار ، شهر مساعدة المحتاجين . كم سيكون مستحسناً انطلاقاً مناوراً في البلد تعمل على المواساة والتعاطف والمساعدة الإيمانية للمحتاجين والفقراء ، وإذا حصل ذلك فإنه سيتترك ذكرى جميلة في الأذهان هذه السنة . نحن لكي نثبت إخلاصنا لصاحب الزمان ينبغي أن نسطر مشاهد ومظاهر مهذوبة في مجتمعنا . حيث قلنا إن المجتمع المهدوي هو مجتمع القسط والعدل ، ومجتمع العزة ، ومجتمع العلم ومجتمع المواساة . يجب علينا أن نحقق ذلك في حياتنا ، حسب إمكانياتنا ، وهذا سيقربنا منه .

النقطة الأخيرة التي أروم التحدث عنها هي ، أنه في ظل غياب الجلسات العامة لشهر رمضان - وهذه الجلسات العامة كانت جلسات الدعاء وجلسات الخطاب ، وجلسات التوسل ، وكانت غائمة كثيراً ، وهذه السنة نحن محرومون منها - ففي ظل غياب هذه الجلسات يجب أن لا نغفل عن جلسات العبادة والتضرع والخشوع الفردية . نحن نستطيع أن نخلق هذا المعنى وهذا التوجه وهذا الخشوع والخضوع في غرفتنا وفي خلوتنا وفي أسرتنا وبين أفراد أسرتنا وأبنائنا ، وطبعاً هناك بعض الأمور التي تبث على شاشات التلفاز أيضاً ويمكن الاستفادة منها ، ويجب القيام بهذا العمل .

وأوصي المسؤولين أيضاً والنشطاء الفاعلين في مجال العلم والتكنولوجيا ، بأن لا ينسوا أمرين : الأول مسألة الطفرة في الإنتاج ، التي هي أمر ضروري لبلدنا ، ويجب علينا أن نتابع مسألة الإنتاج بأي ثمن كان ، وأن نصل إلى الطفرة في الإنتاج بكل ما للكلمة من معنى . والمسألة الأخرى هي مسألة التصنيع والعمل المخبري وإنتاج المستلزمات العديدة التي يعمل عليها الشباب في أقسام المختبرات ، ويتابعونها إن شاء الله .

أدعو الله أن يمن بالسعادة على شعب إيران ، وأن يسعد روح الإمام المطهر العظيم ، وأن يحشر أرواح الشهداء الأعزاء الطيبة مع النبي ﷺ ، وأن يحقق كل الآمال الكبيرة للشعب الإيراني إن شاء الله وأن يقرب فرج ولي العصر (أرواحنا فداء) إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الهوامش :

[١] بحار الأنوار ، ج ٥٣ ، ص ١٧٦

[٢] بحار الأنوار ، ج ٥٣ ، ص ١٧١

[٣] المذاهب ، الفرق

[٤] بحار الأنوار ، ج ٣٦ ، ص ٣١٦

[٥] بحار الأنوار ، ج ٥٠ ، ص ٣١٨

[٦] تحف العقول ، ص ٤٠٣

[٧] تحف العقول ، ص ١٠٦

[٨] غيبة الطوسي ، ص ٤٥٩

[٩] الكافي ، ج ٢ ، ص ٢٤٥

[١٠] سورة الرعد ، شطر من الآية ٢٨

[١١] إشارة سماحته إلى الإعلان العام للدعاء الجماعي في وقت موحد في التّصف من شعبان

[١٢] كلمته في ذكرى المبعث النبوي الشريف (٢٠٢٠/٣/٢٢)

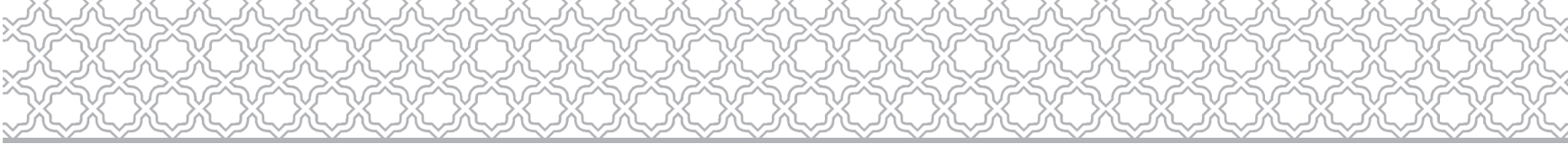
[١٣] كان قد تمّ استخدام تعبير «قتلى» في الكلمة المباشرة حيث صحّح قائد الثورة الإسلامية تعبيره كما يلي : «ما قلته بأنّ مليون شخص

قُتلوا ، كان خطأ ، بل أصيب أكثر من مليون شخص [بفايروس كورونا] وعدد الذين فارقت روحهم الحياة أقل بكثير على مستوى العالم .

أصيب مليون شخص حتّى الآن وبالطّبع رحل عدد عن هذه الدنيا وعددهم أقلّ من هذا . لقد قلت عن طريق الخطأ أنّ مليون شخص

توفّوا أو قتلوا . لذلك تمّ استبدال المصطلح في نصّ الكلمة .

[١٤] مصباح المتهجّد ، ج ٢ ، ص ٨٢٩ .

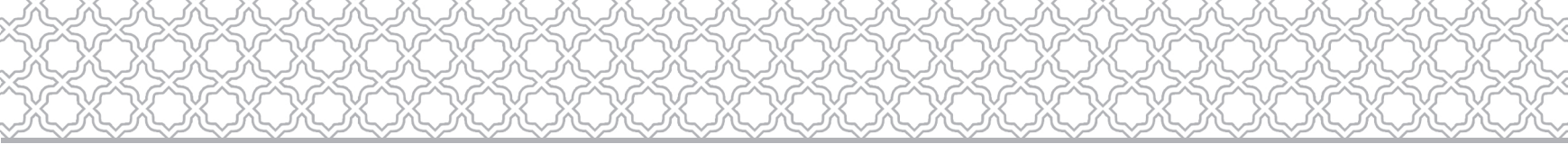


كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ:

كُورُونَا وَإِنْسَانِيَّةُ الْغَرْبِ الزَّائِفَةُ

❖ محمد صادق الهاشمي^(*)

.....
(*) باحث ومؤلف في علم الاجتماع السياسي / ومدير مركز العراق للدراسات.



مع تفشي وباء كورونا ، وسرعة انتشاره في مدنها ، رفع الغرب عن نفسه كل الأخلاق والإنسانية ، ليجعل المادة والاقتصاد المخلوقان لخدمة الإنسان مقدماً على الإنسان نفسه ، يحدث ذلك كله ، على مرأى من العالم ! ! ، هذا العالم «الغربي» ذي الإنسانية الزائفة ، والذي ازداد وحشية حتى حيال شعوبه وناسه ، فخرج منه من يرفض علاج كبار السن ويخطط لما يُسمى بمناعة القطيع ، ومن يُخفي حقيقة الإصابات لديه على سبيل المكابرة وانعدام المسؤولية ، وخرج أيضاً من يحاول ، عبر أدواته ، حصر الحديث عن كورونا في إيران والتعمية عنه في أي بلد آخر ، وهناك من يقف حائلاً كبيراً أمام شفاء آلاف من البشر تحت وطأة الحصار الاقتصادي اللا انساني ، وهو ما تفعله دولة الاستكبار العالمي أمريكا مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

لقد تناقلت الأخبار والمقاطع عبر مواقع التواصل أمراً لم يكن مفاجئاً لكل من يعرف تلك الديموقراطيات والأسس المادية التي تقوم عليها ، ولكن هذه الأزمة - وأعني تفشي فايروس كورونا - في بلدانهم ، قد كشف لأولئك المبهورين بالغرب تلك الإنسانية الزائفة ، التي تخلو من الإنسانية والرحمة

إن ما يحدث الآن من تفشي فايروس كورونا في العالم ، وبعد أن تكتشف زيف الدول الغربية التي كانت تتفاخر برعاية حقوق الإنسان ، لهو فرصة مثلى ، وواجب على إعلامنا أن يكتف جهوده ليلاً ونهاراً من أجل إيصال الصورة المدعاة لحقوق الإنسان على المقاسات الغربية ، تلك المقاسات التي لطالما فتكت بشعوب كثيرة في أفريقيا وآسيا ولا سيما الدول الإسلامية منها ، بذرائع كثيرة فضفاضة سرعان ما فضحتهم في كل محاطاتهم التي سعوا إليها .

قد يصدّق بعض ما تدّعيه دول الغرب أنّ الوباء فوق إمكانياتها الاقتصادية ، وأنها غير قادرة على إيواء واستقبال

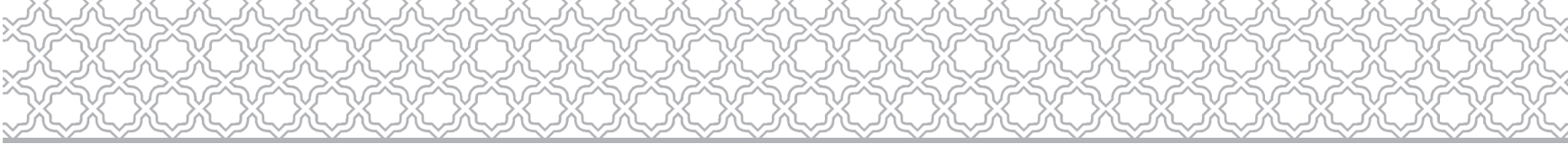
المرضى ، ولكن بالنسبة لمن يخبر هذه الدّول يدرك جيداً أنّ المعادلة ليست بهذا الشّكل ، وأنّ المقاسات الغربية في الصّرف يعتمد على النظرية البرغماتية التي تعني ماذا سيعود علي بالربح ما أنفقه الآن ؟ !

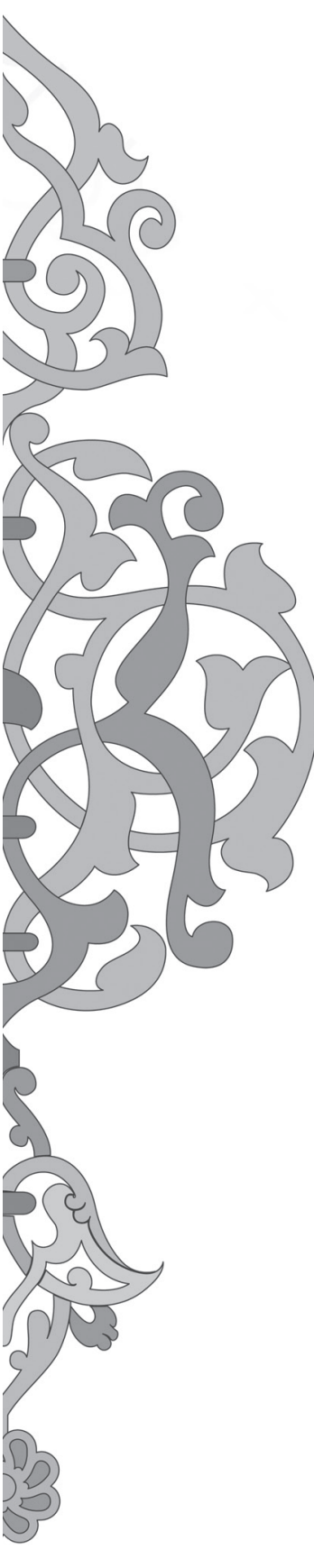
فالغرب الذي يحرك جيوشه وأساطيله ، ويدعم الجيوش المتحركة والالكترونية ، ويغزو الدّول ويسيطر على ثرواتها وقرارها ، ينفق إزاء ذلك مليارات الدّولارات ، ولكنّه في التّهيّة يستردّ المنفعة ، ويتحصّل عليها بشكلٍ أو بآخر ، والغرب الذي يفتح أبوابه لآلاف اللاجئين ، ويستقبلهم لمدد كبيرة قبل أن يقرر إبقاء بعضٍ وترحيل بعض ، ينفق خلال هذه المدة الكثير ، ولكن كلّ ذلك تحت خطة مدروسة تعني ما سأدفعه اليوم سأسترده غداً أضعافاً مضاعفة ، وهنا يأتي السّؤال الأهم : بماذا سينتفع الغرب حين ينفق الملايين على مرضى الوباء ؟ ، لا شيء ، وعليه فيلعلّ من يعيش وليمت من يمت ، وعلى الناس أن تأخذ حذرهما ؛ إذا كانت تريد لنفسها البقاء ، وإلاّ فالدّول اقتصادها أهم من أفرادها .

إنّها فرصةٌ جديدةٌ وشاخصة ليتعرف الجيل المنبهر بالغرب الا انساني ، وينزع من عينيه غشاوة الظاهر ، ويدرك أنّ الحقيقة تفرغ ذئابٍ تتلبس بلبوس الحمل ، ﴿ أفلا يتفكّرون ﴾ .

مَحَطَّاتُ فِي الْفِكْرِ الْمُقَاوِمِ

- ❖ دَوْرُ الْأُمَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ « فِي فِكْرِ الشَّهِيدِ الصَّدْرِ »
- ❖ سُبُلُ بِنَاءِ الْقَاعِدَةِ الْجَاهِزِيَّةِ فِي الْمَنْظُومَةِ الْفِكْرِيَّةِ لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصَّدَدِ
- ❖ دَوْرُ الْفِكْرِ فِي الْاِقْتِصَادِ الْإِسْلَامِيِّ فِي فِكْرِ الشَّهِيدِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بَاقِرِ الْحَكِيمِ



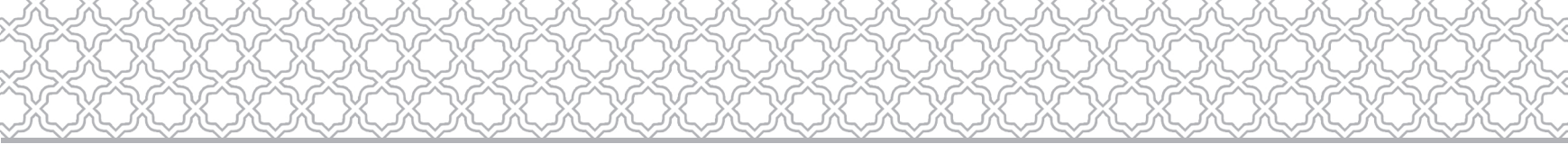


دَوْرُ الْأُمَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

« فِي فِكْرِ الشَّهِيدِ الصِّدْرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ »

❖ د. صلاح عبد الرزاق^(*)

(*) باحث وأكاديمي من العراق.



تغيب الأمة في التراث السياسي الإسلامي

امتاز التراث السياسي الإسلامي بتغيب دور الأمة في المشاركة السياسية أو في صنع القرار السياسي إلا في فترات قصيرة جداً . فالرسول ﷺ مارس الشورى مع أصحابه ، حيث كان يستشيرهم في بعض القضايا وخاصة ما يتعلق في الجانب العسكري والدفاعي ^(١) . وأما في العهد الراشدي فقد ساد الطابع السياسي العام للسلطة غياب الأمة عن ممارسة دورها إلا في التعبئة العسكرية في حروب الجهاد وبعض المواقف السياسية الجريئة ^(٢) . واتجهت الخلافة تدريجياً نحو الإستبداد بشكل واضح في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي كان يرفض النصيحة والمشورة ، وعاقب بعض الصحابة الكبار لأنهم نصحوه أو اقترحوا عليه تغيير سياسته أو تبديل بعض ولاته ^(٣) . ولعل أبرز دور للأمة في تلك الفترة ظهر من خلال المعارضة الشعبية لسياسة الدولة ، خاصة في

الأقاليم الإسلامية كمصر والعراق التي عانت من ظلم ولاة الخليفة عثمان ، فقدموا إلى العاصمة لمطالبة الخليفة بتغيير الولاية وإرساء العدل والحق . ولما رفض الخليفة مطالبهم ، اتجهت الأمور نحو التصعيد السياسي والميل نحو استخدام العنف والقوة ، إذ لم تنتهي الأزمة إلا بثورة أطاحت بالخليفة وقتله في داره .

وفي تلك المرحلة الزمنية القصيرة استمر دور الأمة في التجلي في الساحة السياسية وذلك من خلال تدخلها المباشر في اختيار الخليفة الرابع علي بن أبي طالب . فلأول مرة تمارس الأمة هذا الحق بشكل واسع ومباشر ، حيث أنها كانت غائبة أو جرى تغيب دورها في تولي الخلفاء الثلاثة الأوائل للسلطة . فلم تكن بيعة علي عليه السلام تقتصر على فئة محدودة بل بيعة عامة أجمع عليها المهاجرون والأنصار . فهو عليه السلام لم يسع إليها ، واعتذر عن الترشيح لكن الناس لم تجد أفضل منه ليستعيد الإسلام رونقه في تحقيق العدل

والمساواة . كما أنه لم يجبر أحداً على بيعته مطلقاً . ولم يكتف عليه السلام ببيعة سكان العاصمة (المدينة المنورة) بل أنه لم يباشر سلطاته حتى وصلته بيعة بقية أقاليم الدولة الإسلامية (الكوفة والبصرة والحجاز واليمن ومصر وعمان والبحرين واليمامة عدا الشام ^(٤)) .

بعد مقتل علي عليه السلام واضطرار الخليفة الخامس الحسن بن علي عليه السلام للتنازل عن الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ، تم إقصاء دور الأمة نهائياً ، حيث تغير شكل الحكم فأصبح ملكياً وراثياً ، وأقصى مبدأ الشورى إلى الأبد ، فترسّخ الاستبداد والقمع تجاه المعارضة السياسية وتهميش دور الأمة إلا ما وافق سياسة الدولة أو تملق للخليفة وأعوانه . يصف الشيخ محمد رشيد رضا تلك المرحلة الأموية فيقول (لقد استبدوا عملاً وما عتموا أن جهروا بالخروج عن سنن الإسلام في حكمه قولاً ، إذ قال خطيبهم عبد الملك بن مروان على المنبر : من قال لي اتق الله ضربت عنقه . فتحولت الحكومة إلى استبدادية ... وكان معظم ظلمهم وظلم من بعدهم لمن يأسون منه سخطاً من سلطتهم أو مقاومة لها) ^(٥) .

التنظير الشرعي لتغيب الأمة

استمر الحاكم الإسلامي بالاستبداد في العصور

اللاحقة فأخذ بعض الفقهاء المقربين من البلاط بقبول الواقع ، والتنظير لانفراد الخليفة بالسلطة المطلقة دون محاسبة أو رقابة من الأمة ، والتبرير الشرعي لتغيب دورها في عملية اختيار الخليفة . يقول الدكتور احمد حنفي (في القرن الخامس الهجري قام أبو حامد الغزالي بوضع أيديولوجية للسلطة السياسية حيث شرّع مبدأ (أخذ السلطة بالشوكة) مع أن الإمامة عقد وبيعة ، وأعطى للناس (إحياء علوم الدين) لعودهم على الصبر والتوكل والرضا . فقد شرّع الغزالي (أيديولوجية السلطة) للحاكم ، (أيديولوجية الطاعة) للناس ^(٦) . ووصل انتفاخ الحاكم على حساب الأمة والقانون والشرعية مستوى فظيماً ، يعاونهم في ذلك مشايخ سوء . فقد أتى أربعون شيخاً إلى الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بن مروان ، فشهدوا له ما على الخلفاء حساب ولا عذاب ^(٧) . واستهان الخليفة الوليد بن يزيد بالأمة حين اعتبر المسلمين ملكاً له حيث أنشد :

ونحن المالكون الناس قسراً نسومهم المذلة والنكالا
ونوردهم حياض الخسف ذلاً وما نألوهم إلا خبالاً ^(٨)

ورغم أن التراث الإسلامي يؤكد على أهمية البيعة كشرط لتولي الخليفة السلطة ، لكن مراسم البيعة كانت في الغالب لا تتجاوز الأداء الشكلي للنصوص الشرعية .

فالأمة لم تنتخب حكامها بل يؤتى بها للبيعة بالإكراه ومصافحة الحاكم الجديد لتبرير الوضع الشرعي لتوليته السلطة . والحاكم يأخذ البيعة من الأمة مهما كان الأسلوب الذي أتى به للحكم ، سواء بالانقلاب العسكري أو الوراثة أو بولاية العهد ، لأنه قد جرى اعتبار كل هذه الأساليب شرعية لاستلام السلطة .

وحتى مبدأ الشورى الذي يعطي ، نظرياً ، الحق للأمة في اختيار الحاكم جرى تقليص دورها فيه إلى اختصار الأمة بأهل الحل والعقد ، أي أنه ما عدا أهل الحل والعقد لا حق لأحد بالمشاركة في اختيار الحاكم . هذا على الرغم من افتقاد نظام الشورى لآلية اختيار أهل الحل والعقد ، وعدم وجود سابقة تاريخية لممارسة هذا الدور من قبل الأمة .^(٩) وقد دعا بعض المفكرين الإسلاميين المتأخرين إلى إضفاء الصفة التمثيلية الشعبية على أهل الحل والعقد عبر الانتخابات .^(١٠)

أخذ دور أهل الحل والعقد يتقلص ليتجه هذا المبدأ نحو الفردية ، حيث أخذ بعض الفقهاء «لا يشترطون اجتماع أهل الحل والعقد في جميع الأمة بل يكفي بمن وجد فيهم الإمام . ثم نرى بعض هؤلاء لا يشترط اجتماع أهل الحل والعقد في بلد الإمام كلهم بل يكفي ببعضهم . كما نرى هذا المبدأ يضم عن (الجبائي) ومن ذهب

مذهبه حين جعل الحد الأدنى خمسة من أهل الحل والعقد ، ثم يزداد انكماشاً عند (أبي الحسن الأشعري) وغيره حين يكتفي بالواحد ، حتى يضمحل المبدأ تماماً عند (ابن حزم الأندلسي) حين يقرر في الطريق الرابع من طرق تعيين الإمام أن عقد الإمامة يصح بواحد يبايع طالب الإمامة ولو لم يكن من أهل الحل والعقد» .^(١١)

وأخذ بعض الفقهاء ، إمعاناً في إقصاء الأمة حتى ولو بمشاركة فرد واحد منها ، يميلون إلى مبدأ التعيين والوصية من شخص إلى شخص . «فقد رأينا أن ابن حزم (٤٥٦ هـ) يجعله أفضل الوجوه وأصحها ، كما رأينا الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) يجعله ألو الوجوه ويقدمه على أهل الحل والعقد ، وكذلك الأيجي (ت ٧٥٦ هـ) في (شرح المواقف) في باب الإمامة . وحق الاختيار (أي تعيين الخليفة القادم) ينحصر في الخليفة (الحالي) فقط دون اعتبار لغيره سواء أكانوا من أهل الحل والعقد أو من غيرهم» .^(١٢) ويلغي أحد الفقهاء أي دور للأمة ودور أهل الحل والعقد ، ليحصر الموضوع كله بقرار من بيت الخليفة ، حيث ينص الشيخ محمد الشربيني على أنه (لا يشترط في الاستخلاف رضی أهل الحل والعقد في حياته - أي الإمام - أو بعد موته إذا ظهر له واحد جاز بيعته من غير حضور غيره ولا مشاورة أحد ، ويجوز العهد إلى الوالد والولد

مؤامرات ودسائس داخل القصور الملكية .

تقديس التراث لدى المتأخرين

وهكذا استمر التأسيس الشرعي على إقصاء الأمة من ممارسة دورها ، حتى صارت هذه الحالة جزءاً من التراث السياسي الإسلامي . ولما جاء المتأخرون نظروا إلى التراث بقداسة دون تمحيص ، فاعتبروا أن ما دونه فقهاء العصر الأموي والعباسي والعصور اللاحقة جزءاً من الشريعة الإسلامية ، فلم يميزوا بين النصوص الشرعية المقدسة المتمثلة بالقرآن والسنة ، وبين اجتهادات الفقهاء وممارسات الخلفاء ، فاعتبروا الجميع تراثاً إسلامياً لا يجوز خدشه رغم تباین الظروف والأحداث . فالشيخ تقي الدين النبهاني يرى أن خمسة أشخاص يكفون لتعيين الحاكم ، وأن سكوت الأمة دليل على رضاها دون بذل أي جهد للتحقق من هذا الرضا أو أن السكوت بسبب الخوف من قمع السلطة فتراه يستخدم بسطحية حالة فردية ذات طبيعة عاطفية هي سكوت الفتاة المخطوبة عند طلب يدها ليستخدم فكرة (السكوت علامة الرضا) في قضية أمر اجتماعي وسياسي هام مثل تداول السلطة . فيرى أنه (لا يشترط عدد معين ، فيمن يقومون بنصب الخليفة ، بل أي عدد بايع الخليفة ، وتحقق في هذه البيعة رضا المسلمين بسكوتهم ، أو باقبالهم على طاعته بناء على

كما يجوز إلى غيرهما ، وقد جزم به صاحب (الأنوار) وابن المقري (^(١٣)) . أما الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) فيرى أن أنه (إذا أراد الإمام أن يعهد بها فعليه أن يجهد رأيه في الأحق بها والأقوم بشروطها ، فإذا تعين له الاجتهاد في واحد نظر فيه : فإن لم يكن ولداً ولا والداً جاز أن ينفرد بعقد البيعة له ، وبتفويض العهد إليه وإن لم يستشر فيه أحداً من أهل الاختيار . ^(١٤)

ووصل مستوى الاستخفاف بالأمة حتى تولى السلطة صبيان ومراهقون ^(١٥) ، وتضاءل دور الشريعة الإسلامية حتى تولى السلطة مجرمون وفاسقون وشاذون جنسياً ^(١٦) . ولا يوجد اختلاف كبير في ممارسات الخلفاء والحكومات التي حكمت باسم الإسلام في التاريخ ، أمويون وعباسيون ، بويهيون وسلاجقة ، فاطميون وأيوبيون ، صفويون وعثمانيون . فالجميع ، إلا نادراً ، حكموا بالقمع والارهاب والاستبداد . وإزاء هذا الحصار السياسي-الفقهي لم يكن أمام الأمة إلا الخروج ، أحياناً ، ضد الخلافة أو ولايته في الأقاليم ، مطالبين بالتغيير وتحسين أوضاعهم . لذلك خرجت حركات مسلحة كثيرة بوجه السلطة ، بعضها يعبر عن آمال الأمة ، وبعضها مجرد صراعات سياسية يقودها متطلعون إلى السلطة . وفي عصور الانحطاط السياسي والعسكري كانت عملية استبدال الخليفة تتم عبر

الأمّة لعزل الحاكم ، وبقي اللجوء للثورة المسلحة أو الانقلاب العسكري ، هو الأسلوب الوحيد لإزاحة الحاكم عن كرسي السلطة . وحتى في بعض الحالات التاريخية لعزل الخلفاء والحكام ، فإنها كانت تعتمد مباشرة على قوة الخصوم العسكرية والسياسية ، ومدى ضعف الخليفة والسلطة . وكان يجري تعبئة مشاعر الغضب لدى الناس في تأجيج الصراع لصالح منافسي الخليفة ، حتى اذا تم عزله ، انفرد الحاكم بالسلطة ، وتراجع دور الأمّة إلى ما كان عليه من قبل . ولا يوجد من الإسلاميين المعاصرين من وضع آلية عملية لكيفية عزل الحاكم ولو نظرياً .^(٢٢)

دور الأمّة في التراث الفقهي المعاصر

سبق الشهيد الصدر بعض الفقهاء والعلماء الذين أكدوا على دور الأمّة في إدارة السلطة واختيار الحاكم ومراقبته ومحاسبته . فقد دعا زعيم الإصلاح السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) «إلى مشاركة الشعب في صنع القرار ، وإدارة شؤون البلاد ، وذلك عبر صياغة دستور وتأسيس نظام نيابي ، يمنح الأمّة دورها الحقيقي بما يوفر التقدم والاستقرار» .^(٢٣)

وقام الشيخ محمد حسين النائيني (١٨٦٠-١٩٣٦) بدراسة فقهية لموضوع الدولة في كتابه القيم (تنبيه الأمّة

ببيعته ، أو بأي شيء يدل على رضاهم ، يكون الخليفة المنصوب خليفة للمسلمين جميعاً ، ويكون هو الخليفة شرعاً ، ولو قام بنصبه خمسة أشخاص ، إذ يتحقق الرضا بالسكوت والمبادرة للطاعة) .^(١٧)

اتجهت بعض التيارات الإسلامية السياسية في عصر الصحوة الإسلامية نحو رفض تلك النمطية التقليدية السائدة في التراث السياسي الإسلامي فيما يتعلق باختيار الحاكم ودور الأمّة فيه ، حيث أخذت تؤكد على دور الأمّة في اختيار الحاكم وأن (الأصل الأصل في شرعية الحاكم هو اختيار الأمّة له من غير رهبة . فالأمّة هي صاحبة السلطة في تعيين الحاكم بمحض اختيارها) .^(١٨)

وأن (الطريق الشرعي الوحيد -لتولي السلطة- هو الاختيار من قبل الأمّة لا غير ، فلا وراثّة ولا تغلب ولا قهر ولا دكتاتورية . ومن سلك غير هذا الطريق فعلى الأمّة أن تقف في وجهه) .^(١٩) ورفضت آراء الفقهاء والنصوص والفتاوى التي تلغي دور الأمّة في حق اختيار الحاكم .^(٢٠)

أما دور الأمّة في عزل الحاكم فهو أصعب لأن الحاكم يملك كل وسائل القوة والجيش والمخابرات والشرطة للوقوف بوجه أي محاولة لعزله أو الإطاحة به . ورغم وجود تفصيلات نظرية في الفقه الإسلامي تتحدث عن عزل الحاكم وأسباب عزله^(٢١) ، لكنها لم تضع آلية لممارسة

الانتخابات) .^(٢٥) فهو يعتبر (السلطة حقاً مشتركاً للشعب ، فإن لكل مواطن جزءاً من هذا الحق ، بغض النظر عن دينه . ولذلك فإن لأتباع الديانات الأخرى في الدولة الإسلامية ، الحق الكامل في المشاركة في السلطة والقرار والترشيح والانتخاب) .^(٢٦)

ينفرد النائبني عن غيره من الفقهاء بتأصيله الفقهي لمبدأ (حق المراقبة لدافعي الضرائب) فيقترب بذلك من النظام الديمقراطي الغربي الذي يعتبر دفع الضرائب أساساً في اكتساب الحقوق السياسية في البلاد . مع العلم أن النائبني لا يتحدث عن جميع الأموال التي تجمعها الدولة الإسلامية من مواطنيها كالزكاة والخمس والخراج والعشور ، بل عن الضرائب خارج الحقوق الشرعية ، فيقول (ونظراً لما يدفعه المواطنون من الضرائب ، التي تعتمد عليها السلطة في إقامة المصالح العامة ، فإن الدولة بما فيها من موظفين وعمال ، تعتبر تابعة للشعب الذي يدفع لها ما تحتاجه من مال . ومن المقرر أن لمن يدفع حق محاسبة من يستلم ، على حسن تصرفه في المال العام ، وقيامه بأداء وظائفه) .^(٢٧)

وكان فقهاء ثورة الدستور ١٩٠٥ قد رسخوا مبدأ تدوين دستور دائم وتأسيس مجلس نيابي (مجلس الشورى) المنتخب مباشرة من قبل الشعب . فأعادوا للأمة دورها

وتنزيهه (الملة) الصادر عام ١٩٠٩ ليؤصل ، عبر استدلالاته الفقهية ، لقيام دولة إسلامية شرعية تعتمد الدستور . فقد اعتمد النائبني مبدأ الشورى أساساً لهيكلية الدولة ، مؤكداً على المؤسسات الدستورية وأولها البرلمان الذي يسن التشريعات يراقب أعمال الحكومة فيقول (إن فاعلية مجلس الشورى وقدرته على الوفاء بواجباته كاملة ، وخضوع كل فرد من أعضاء السلطة التنفيذية لقراراته ، هي الضمان الأعظم لاستقامة السلطة التنفيذية ، وإلا فإن اختلال الميزان بعجز المجلس عن ممارسة الرقابة ، أو ترفع السياسيين عن مواجهة المجلس باعتبارهم مسؤولين عن أعمالهم ، سوف ينتهي إلى الإخلال بمبدأ (محدودية السلطة) . الأمر الذي يبذل السلطة الولائية إلى سلطة تمليلية ، ويعيد غول الاستبداد والتحكم) .^(٢٨)

وأكد النائبني في أطروحته على أهمية الأمة في انتخاب أعضاء المجلس التشريعي ، فرفض التعيين أو تدخل الحاكم في اختيار أعضاء البرلمان ، ولكن أعطى الأمة حقها الطبيعي والكامل . كما أكد على الحريات العامة ، والمساواة بين أفراد الشعب مسلمين وغير مسلمين ، حتى أنه أكد على أن (عضوية المجلس لا تقتصر على المسلمين ، بل لا بد أن تتمثل الأقليات غير المسلمة في المجلس ، ولا بد أن تشارك في

خمسة منطلقات هي :

١- فهمه العميق لروح الرسالة الإسلامية وشموليته ،
وأنها جاءت لتحرير الأمم والشعوب من الوثنيات
الوضعية ، وتحرير الإنسان من عبودية الإنسان^(٢٩) .
وتحرير الإنسان يعني رفع الأغلال التي تكبل حريته ،
ويعني منحه حقه في إدارة مجتمعه ودولته . ففي بحثه
(المدرسة الإسلامية) يقول السيد الصدر (فالحرية
السياسية تجعل لكل فرد كلاماً مسموعاً ورأياً محترماً في
تقرير الحياة العامة للأمة ، ووضع خططها ورسم قوانينها ،
وتعيين السلطات القائمة بحمايتها . وذلك لأن النظام
الاجتماعي للأمة ، والجهاز الحاكم فيها ، مسألة تتصل
اتصلاً مباشراً بحياة كل فرد من أفرادها ، وتؤثر تأثيراً
حاسماً في سعادته أو شقائه . فمن الطبيعي حينئذ أن
يكون لكل فرد حق المشاركة في بناء النظام
والحكم)^(٣٠) .

٢- رأي السيد الصدر بأهمية الدور البشري في صناعة
التاريخ وفق السنن التاريخية ، فالإنسان هو الذي يصنع
التاريخ وليس التاريخ هو الذي يصنع الإنسان كما ترى
المدرسة الوضعية . فالمجتمعات الانسانية ليست مستقلة
أو منفصلة عن التاريخ . إنها تعيش في الطبيعة وفي
المجتمع وترتبط بشروط مادية ومعنوية . يقول السيد^(٣١)

المفقود في إدارة شؤون البلاد رغم أن الحكم بقي محافظاً
على شكله التقليدي أي الملكي الوراثي . واستطاع
الشاهات الذين حكموا إيران أن يفرغوا البرلمان من
مضمونه ، في الغالب ، ليصبح مجرد مؤسسة لتنفيذ
رغبات وأوامر الشاه ، مثله مثل السلطة التنفيذية
والقضائية . ويتكرر هذا الأمر في غالبية الأنظمة السياسية
في البلدان الإسلامية التي تدعي الديمقراطية والتعددية
السياسية ، حيث تبقى سلطات الحاكم هي المهيمنة على
البلاد ، ولا تمارس المؤسسات الدستورية والشعبية إلا
أدواراً شكلية تحاول إضفاء الشرعية على ممارسات الحاكم
وقراراته .

منطلقات السيد الصدر في نظريته في الحكم

انسم المنهج الذي اعتمده السيد الصدر في التنظير
لمواقف الاسلام من مشكلات الحياة المتنوعة بتحليل
مدلولات النص في ضوء معطيات الواقع ، ونتائج التجربة
البشرية ، وما تفرزه هذه التجربة من تقدم أو تراجع . فهو
حين يكتب يعاين حياة الانسان ، ويتدبر الواقع ، ويسعى
لوعي واستيعاب مكتسبات تلك التجربة وآثارها المختلفة .
فيعكف على استنطاق النص ومحاورته في ضوء
الإشكاليات التي يعكسها الواقع .^(٣٢) ينطلق السيد الصدر
في نظريته في الحكم والدولة الإسلامية ، برأينا ، من

الصدر (فالمحتوى النفسي والداخلي للأمة كأمة ، لا لهذا الفرد أو لذلك الفرد ، هو الذي يعتبر أساساً وقاعدة للتغيرات في البناء العلوي للحركة التاريخية كلها) .^(٣٢) ولا يمكن للأمة أن تؤدي دورها التاريخي وهي مهمشة معزولة عن صناعة القرار السياسي الذي يصنع الأحداث التاريخية . إذ يجب أن تملك الأمة زمام أمورها بنفسها ، ولا بد أن تشارك في إدارة السلطة والدولة كي تتحقق الغاية من الحركة التاريخية (لأن حركة التاريخ حركة غائية لا سببية فقط ، ليست مشدودة إلى سببها ، إلى ماضيها ، بل هي مشدودة إلى الغاية ، لأنها حركة هادفة لها علة غائية متطلعة إلى المستقبل . فالمستقبل هو المحرك لأي من النشاطات التاريخية) .^(٣٣)

٣- عندما يعرض السيد الصدر نظريته في الحكم والدولة ينطلق أساساً من المنهج الذي دعا إليه في (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) ، حيث (يجلس بين يدي القرآن الكريم ، لا يجلس ساكناً ليستمع فقط ، بل يجلس محاوراً ، يجلس سائلاً ومستفهماً ومتدبراً . فيبدأ مع النص القرآني حواراً حول هذا الموضوع . وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والنظرية التي بإمكانه أن يستلهما من النص ، من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث

عن الموضوع من أفكار واتجاهات) .^(٣٤) فالباحث والمفكر والمفسر والفقيه يدخل في (عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له ، وليست مجرد استجابة سلبية بل استجابة فعالة وتوظيفاً هادفاً للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى) .^(٣٥) ويرى السيد الصدر أن التفسير الموضوعي للقرآن بشروطه هو الذي يقود إلى اكتشاف نظرية القرآنية حول الموضوع المطروح فتراه يصل إلى النتيجة التالية (التفسير الموضوعي يحاول أن يستحصل أوجه الارتباط بين المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية - التي يبرزها التفسير التجزيئي - ، يحاول أن يصل إلى مركب نظري قرآني . وهذا المركب النظري القرآني يحتل في إطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية ، موقعه المناسب . وهذا ما نسميه بلغة اليوم بالنظرية) .^(٣٦) ومن هذه المرتكزات المنهجية ينطلق الشهيد الصدر لاكتشاف نظرية قرآنية في الحكم والدولة ، ليبيني نظريته (نظرية الاستخلاف) مبتدئاً من الواقع لينتهي بالنص القرآني ، حيث يبني أسس نظريته من فهمه وتفسيره للآيات القرآنية وربطها مع بعضها في إطار التفسير الموضوعي للقرآن .

٤- عندما درس السيد الصدر التاريخ الاسلامي لاستنباط الفهم الصحيح للحكم وإدارة الدولة لا بد أنه

تمعن في تجربة دولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . ولا يعني ذلك تغافل دولة الرسول ولكن هذه تعتبر دولة نبوية لا خيرة للمسلمين فيها أو اختيار رئيسها لأن ذلك من اختيارات الإرادة الإلهية . أما الخلافة العلوية التي دامت أربع سنوات فهي تجربة عظيمة جدية بالتمعن والإقتداء . فرغم أن الإمام علي معصوم عن الخطأ ، ومنصوص عليه في تولي الخلافة من قبل الله تعالى والرسول ﷺ ، لكنه ﷺ تعامل مع قضية الحكم بعيداً عن العصمة والنص الإلهي . فلم يحتج بها بل دعا إلى شورى المهاجرين والأنصار ، جرى انتخابه انتخاباً شعبياً ، حتى أنه ﷺ أصر على أن تكون بيعته عامة في المسجد ، وليست بيعة خاصة يتداولها أفراد محدودون ، ولا هي بيعة مؤامرة تجري في الظلام بعيداً عن رأي الأمة . من جانب آخر كان الإمام علي ﷺ يستشير الأمة في قراراته ونشاطاته ويشرح لها أسباب اتخاذ تلك القرارات ، ويطلب من الأمة أن يشيروا عليه ، ولا يستثقلوا ذلك أو يخافوه . لقد أراد السيد الصدر تعديل مسار (علاقة الحاكم والمحكوم) التي تحولت عبر التاريخ إلى (علاقة السيد بالعبد) حيث تضمحل القيم وتضيع المقاييس ويبقى القهر والظلم مستشرياً في المجتمعات الإسلامية . إن جدلية الحاكم بالمحكوم تتجه نحو العبودية كلما تقلص دور الأمة وانتفخ دور الحاكم ، والعكس صحيح

حيث يجري تصحيح هذه العلاقة كلما استردت الأمة دورها وتم تحديد صلاحيات الحاكم .

٥- من خلال تجربته في العمل السياسي ، أدرك السيد الصدر أهمية الدور الذي تلعبه الجماهير في عملية التغيير ومواجهة الحاكم الظالم والاستبداد . فجماهير هي أداة الثورة ، وهي المعوّل عليها في بناء النظام السياسي البديل^(٣٧) . ولما كانت الأمة تحتل هذا الدور الرئيسي في العمل التغييرى فلا يمكن نزع هذا الحق منها بعد تأسيس الدولة الإسلامية المرتجاة لأن دورها سيتركز في حماية الثورة ودعم الدولة بعد العملية التغييرية^(٣٨) . وقد حافظ السيد الصدر على دور الأمة سواء في مبدأ الشورى أو في أطروحة ولاية الفقيه كما سيأتي فيما .

نظرية الإستخلاف للسيد الصدر

في دراسته القيمة بعنوان (خلافة الانسان وشهادة الأنبياء) يبني السيد محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠) أطروحته لتأصيل نظرية الحكم في الدولة الإسلامية على مسارين :

الأول : مسار الاستخلاف : أي أن الله تعالى استخلف الانسان في الأرض . وهذا الخط يشمل كل النوع الإنساني .

الثاني : مسار الشهادة : الذي يمثل التدخل الإلهي من أجل صيانة المسار الأول (أي الانسان الخليفة) من الانحراف والضلال وفيما يتعلق بدور الأمة ومشاركتها في الإشراف على شؤون الدولة يعتمد الصدر في صياغة معالم هذا الدور على أساسين هما :

أولاً : البناء العقائدي

في أطروحته (الأساس الإسلامي لخطي الخلافة والشهادة) يؤصل السيد الصدر لدور البشرية في الأرض ، مستقراً القرآن الكريم^(٣٩) لبناء هذا الرأي حيث يصل إلى نتيجة بأن الله سبحانه وتعالى شرف الانسان بالخلافة على الأرض فكان الانسان متميزاً عن كل عناصر الكون بأنه خليفة الله على الأرض . وبهذه الخلافة استحق أن تسجد له الملائكة وتدين له بالطاعة كل قوى الكون المنظور وغير المنظور . وهذه الخلافة ليست لشخص آدم عليه السلام بل للجنس البشري كله لأن من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ليس آدم بالذات بل الآدمية^(٤٠) والانسانية على امتدادها التاريخي .

ويستمر السيد الصدر في تتبع مسار مفهوم الاستخلاف ليصل إلى أن استخلاف الله لخليفة في الأرض يشمل كل ما للمستخلف سبحانه وتعالى من أشياء تعود إليه ، والله

هو رب الأرض وخيرات الأرض ورب الإنسان وكل دابة تنتشر في أرجاء الكون الفسيح . وهذا يعني أن خليفة الله في الأرض مستخلف على كل هذه الأشياء . ومن هنا كانت الخلافة في القرآن أساساً للحكم ، وكان الحكم بين الناس متفرعاً على جعل الخلافة .^(٤١)

وبذلك يؤسس الشهيد الصدر لموقع الأمة ومسؤولياتها ليس تجاه المجتمع ومؤسساته بل تجاه الأرض والكون . وهو بذلك يجعل دور الأمة مبني على أساس عقائدي وشرعي ، رافضاً بذلك كل النظريات التي تعطي دوراً رئيسياً للشعب في إدارة الدولة وبناء مؤسساته ، كما في الديمقراطية الغربية التي تستند على (نظرية العقد الاجتماعي) . بالطبع يرفض بعض النظريات الإسلامية كنظرية القوة والتغلب ، أو نظرية التفويض الإلهي الاجباري ، أو النظريات الوضعية الأخرى كنظرية تطور الدولة عن العائلة ، والنظرية الشيوعية ، التي تلغي دور الأمة نهائياً في إدارة السلطة ، وترسخ أسلوب الاستبداد والدكتاتورية . فهو يضيف على الأمة دوراً ربانياً لا يمكن لأحد أن يتجاوزه أو يخرقه ، فالبعد العقائدي في دور الأمة يجعل الأمة في منأى عن الاجتهادات البشرية المتغيرة حسب الزمان والمكان . وبذلك يرسخ الشهيد الصدر أساساً قوياً في بناء أطروحته لدور الأمة في الدولة الإسلامية .

يحدد الشهيد الصدر أهم مميزات الأمة التي يمكنها ممارسة هذا الدور وتحمل مسؤوليتها الإلهية أي الاستخلاف ، وهي :

١- الالتزام بالحكم الإلهي

عندما يتناول قضية الحكم وإدارة الدولة ، وهي من القضايا الرئيسية المتعلقة بالأمة ، لا يكتفي بوضع الأمة في إطار عقائدي مقدس يمنحها القوة والاستمرارية ، بل يوجب عليها ، مقابل ذلك ، الالتزام بالحكم الإلهي وتشريعاته بخطوطه العامة ، تاركاً مساحة فقهية (منطقة الفراغ) لمستجدات العصر ومتطلبات كل شعب حسب ظروفه وزمنه . ولذلك يضع ضوابط لممارسة الأمة لهذا الدور فيقول إن (الجماعة البشرية التي تتحمل مسؤوليات الخلافة على الأرض إنما تمارس هذا الدور بوصفها خليفة عن الله . لهذا فهي غير مخولة أن تحكم بهواها أو باجتهادها المنفصل عن توجيهه الله سبحانه وتعالى لأن هذا يتنافى مع طبيعة الاستخلاف ، وإنما تحكم بالحق وتؤدي إلى الله تعالى أمانته بتطبيق أحكامه على عباده وبلاده) .^(٤٢)

وبذلك فالأمة غير مطلقة الحرية في ممارسة دورها ، أي يجب أن لا تخرج عن حاكمية الله في كل الأحوال . فليس من حقها الخروج عن حدود الشريعة . فيقارن

الشهيد الصدر بين طبيعة حكم الأمة في الدولة الإسلامية وحكم الشعب في الأنظمة الغربية فيقول (تتميز خلافة الجماعة بمفهومها القرآني والاسلامي عن حكم الجماعة في الانظمة الديمقراطية الغربية ، فإن الجماعة في هذه الأنظمة هي صاحبة السيادة ، ولا تنوب عن الله في ممارستها . ويترتب على ذلك أنها ليست مسؤولة بين يدي أحد ، وغير ملزمة بمقياس موضوعي في الحكم بل يكفي أن تتفق على شيء ولو كان هذا الشيء مخالفاً لمصلحتها ولكرامتها عموماً ، أو مخالفاً لمصلحة جزء من الجماعة وكرامته ما دام هذا الجزء قد تنازل عن مصلحته وكرامته . وعلى العكس من ذلك ، حكم الجماعة القائم على أساس الاستخلاف فإنه حكم مسؤول ، والجماعة فيه ملزمة بتطبيق الحق والعدل ورفض الظلم والطغيان ، وليست مخيرة بين هذا وذاك ، حتى أن القرآن الكريم يسمي الجماعة التي تقبل بالظلم ، وتستسيغ السكوت عن الطغيان بأنها ظالمة لنفسها ، ويعتبرها مسؤولة عن هذا الظلم ، ومطالبة برفضه بأي شكل من الأشكال ولو بالهجرة والانفصال إذا تعذر التغيير ، يقول تعالى ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾^(٤٣) (النساء : ٩٧) .

٢- الحرية

وفي سياق أطروحته ، يناقش السيد الصدر مسألة كلامية قديمة هي (مسألة الجبر والاختيار) فيميل إلى نفي الجبر ويؤمن بالاختيار . فالأمة مختارة في خياراتها وليست مجبرة مما يناقض الثواب والعقاب . إن تحمل الأمة هذه المسؤولية يقتضي أن تكون حرة ، تكوينياً ، أي غير مجبرة على أداء هذه المسؤولية . (إذ بدون الاختيار والحرية لا معنى للمسؤولية . ومن أجل ذلك كان بالامكان أن يستنتج من جعل الله خليفة على الأرض أنه يجعل الكائن الحر المختار الذي بإمكانه أن يصلح في الأرض ، وبإمكانه أن يفسد أيضاً ، وإرادته واختياره يحدد ما يحققه من هذه الامكانات) .^(٤٤)

وإدراج السيد الصدر بحث هذه المسألة هنا ، برأينا ، لا تفسير له إلا أنه جاء في سياق البحث العقائدي لنفي أية شبهة حتى ولو كانت شبهة كلامية عن الأمة ووصفها بأنها مكرهة على ما تفعل ، كي يستقيم بذلك البناء العقائدي الذي بناه .

إننا نعتقد أن الأمة لا تستطيع ممارسة دورها دون أن تتمتع بالحرية سواء من الناحية التكوينية أو في الواقع السياسي الذي تعيشه . فيجب أن تمارس دورها في إدارة الدولة دون أغلال سياسية أو قيود استبدادية لأنه لا معنى

أن تمنح حقها في إدارة الدولة من جانب ، ومن جانب آخر تكبلها القوانين وممارسات الحاكم وأدواته وأجهزته .

ثانياً : التأسيس الفقهي

الدولة في فكر السيد الصدر لها علاقة مباشرة مع خلافة الانسان لله من حيث هي أداة شرعية وضرورية للتغيير . فهي عنصر بنيوي لا في المشروع الحضاري الاسلامي فحسب ، بل عنصر جوهري في الاسلام نفسه : (هي واجب شرعي وظاهرة حضارية) حيث لا وجود لقطيعة بين المادي والروحي ، وبين السياسة والعبادة . فخلافة الانسان ليست حالة روحية منعزلة عن الجانب الاجتماعي والتاريخي للبشرية . فالسير في طريق تحقيق الخلافة عبر التاريخ يقتضي وجود دولة .^(٤٥)

في تسلسل منطقي في انتقال المسؤوليات من الله تعالى إلى البشر يستعرض السيد الصدر هذا الانتقال من خلال التحول التاريخي لمسؤولية الإشراف على الدولة عبر المستويات الثلاثة التالية :

١- الأنبياء

٢- الأئمة

٣- المرجعية التي تعتبر امتداداً للنبي والامام في خط الشهادة أي المراقبة والإشراف على التجربة الانسانية .

ممارسة أمورها عن طريق الشورى ما لم يرد نص خاص على خلاف ذلك . والنص الثاني يتحدث عن الولاية ، وأن كل مؤمن وليّ الآخرين . ويريد بالولاية تولي أموره بقرينة تفريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه . والنص ظاهر في سريان الولاية بين كل المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية (٤٧) .

السيد الصدر: من الشورى إلى ولاية الفقيه

يلاحظ أن السيد الصدر قد طوّر أفكاره من خلال تجربته والظروف السياسية والفكرية التي صاحبته . ففي بداية الستينات كان يعطي الأمة الدور الرئيسي في الحكومة الإسلامية . ففي بحثه الموسوم (الأسس الإسلامية) الذي صدر عام ١٩٦١ يعتبر أن (الحكم الشوري أو حكم الأمة في عصر الغيبة شكل جائز من الحكم ، فيصح للأمة إقامة حكومة تمارس صلاحياتها في تطبيق الأحكام الشرعية ووضع وتنفيذ التعاليم المستمدة منها . وتختار لتلك الحكومة الشكل والحدود التي تكون أكثر اتفاقاً مع مصلحة الإسلام ومصلحة الأمة . وعلى هذا الأساس فإن أي شكل شوري من الحكم يعتبر شكلاً صحيحاً ما دام ضمن الحدود الشرعية . وإنما قيدنا الكيفية التي تمارس بها الأمة حق الحكم بأن تكون ضمن الحدود الشرعية لأنها لا يجوز أن تختار الكيفية التي تتعارض مع شيء من الأحكام الشرعية ،

ولما كانت النبوة قد انقطعت بوفاة الرسول محمد ﷺ ، ودخول خط الإمامة في الغيبة الكبرى ، فلم يبق اليوم ما يمثل هذا الخط سوى المرجعية الدينية لأنها الامتداد الطبيعي للنبوة والإمامة .

والمرجع الشاهد ليس معين بالاسم ، بل معين من الله تعالى بالصفات والخصائص ، أي بالشروط العامة وهي :

١- أن يحافظ على الشريعة والرسالة ، ويرد عنها الشبهات والمكائد .

٢- أن يكون هذا المرجع في بيان أحكام الإسلام ومفاهيمه ويكون اجتهاده هو المقياس الموضوعي للأمة من الناحية الإسلامية . وتمتد مرجعيته في العناصر المتحركة لا العناصر الثابتة في التشريع الاسلامي .

٣- أن يكون مشرفاً ورقيباً على الأمة ، ويتدخل لإعادة الأمور إلى نصابها إذا انحرفت عن طريقها . (٤٦)

أما التأسيس الفقهي لدور الأمة فيستند السيد الصدر على مبدأ الشورى انطلاقاً من قوله تعالى :

- ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (الشورى : ٣٨)

- ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (التوبة : ٧١) .

ثم يستنتج أن (النص الأول يعطي للأمة صلاحية

كأن تسلّم زمام الأمر إلى فاسق أو فاسق لأن الإسلام نهى عن الركون إلى فاسق بالأخذ بقوله في مجال الشهادة فضلاً عن مجال الحكم ورعاية شؤون الدولة . فلا بد للأمة حين تختار كيفية الحكم والجهاز الذي يباشر الحكم أن تراعي الحدود الشرعية (٤٨).

يلاحظ في النص الآنف الذكر أن السيد الصدر :

١- اعتبر مبدأ الشورى هو الأساس في شرعية الحكم الشوري ، وليس بالضرورة المبدأ الوحيد . ففي موضع آخر يقول (من الواضح أن شكل الحكم في الوقت الحاضر لم تعالج في نص خاص على مذهبي الشيعة والسنة معاً) (٤٩).

٢- لم يحدد شكلاً معيناً للحكم وإنما أعطى هذا الحق للأمة فهي التي تختار نوع وشكل الحكم بما يتفق ومصلحة الإسلام ومصلحة الأمة .

٣- لم يفترض وجود دور معين للفقهاء المجتهدين في أصل شكل الحكم ، وإنما تطرق إليه أثناء حديثه عن محدوديات الحكم الشوري . فهو يميل إلى منح المجتهد دوراً رئيسياً حتى في نظام الشورى ، فهو الذي يتولى مسؤوليتين لا يشاركه فيهما غير المجتهدين الآخرين هما :

١- الإفتاء .

٢- والقضاء .

حيث قال : في الشكل الشوري للحكم ، الشكل الذي تقيمه الأمة في غياب المعصوم عليه السلام لا تملك الحكومة الحق في حصر ممارسة بيان أحكام الشريعة وتبليغها . كما لا تملك الحق في حصر ممارسة القضاء في الخصومات . كما لا يملك أحد من الحكومة أو غيرها حق القاضي الأعلى الذي يستطيع عزل القضاة وتعيينهم . ثم يتوصل إلى نتيجة أن هاتين المهمتين تنحصران بالمجتهد فقط فهو يبين الأحكام الشرعية على أساس الإفتاء ، وهو الذي يتولى القضاء لا غيره . (٥٠) أما الحاكم فلا يفترض أن يكون المجتهدين ، فإذا اختارت الأمة مجتهداً ليكون حاكماً ، فقد اجتمعت فيه صفتا الحكم والإفتاء . وإذا لم يكن الحاكم فقيهاً فيمكنه أن يختار اجتهداً من عدة اجتهدات ليتبناه في الحكم ورعاية شؤون الأمة (٥١) . يلاحظ أن اختيار الحاكم بيد الأمة وليس عليها أن تختار المجتهد بل الأصلح لأداء مهام الحكم ورعاية القوانين . ويؤكد السيد الصدر على حق الأمة في عزل الحاكم حيث يقول : تقوم الأمة بعزل السلطة الحاكمة واستبدالها بغيرها لأن العدالة من شروط الحكم في الإسلام ، وهي تزول بانحراف الحاكم المقصود عن الإسلام فتصبح سلطته غير شرعية (٥٢) . ويقترح السيد الصدر آلية مقاطعة للسلطة إذا لم ينصاع الحاكم لإرادة الأمة ويعتزل السلطة ، حيث تبدأ الأمة ، كما يقترح

الصدر ، بالممارسات التالية :

١- إمكانية عزل الحاكم بغير حرب أهلية .

٢- إذا فشلت الخطوة أعلاه ، يجب ردع الحاكم عن المعصية طبقاً لأحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٣- إذا استمر السلطة المنحرفة في الحكم فإن سلطتها تكون غير شرعية ولا يجب على المسلمين إطاعة أوامرها فيما يجب فيه اطاعة ولي الأمر إلا في الحدود التي تتوقف عليها مصلحة الاسلام العليا ، كما إذا داهم الدولة خطر مهدد وغزو كافر فيجب في هذه الحالة أن يقف المسلمون إلى صفها - بالرغم من انحرافها- وتنفيذ أوامرها المتعلقة بتخليص الاسلام والأمة من الغزو والخطر .^(٥٣)

يلاحظ في الاجراءات المفترضة أعلاه لعزل الحاكم افتقارها لمؤسسة دستورية أو صفة قانونية تمهد لعزل الحاكم ، فالسيد الصدر لم يتحدث عن مجلس شورى (برلمان) يتولى هذا الأمر بحجبه الثقة عن الحاكم ، أو محكمة دستورية تلاحقه قضائياً لفقدانه الكفاءة والشروط المطلوبة للحكم . وبقيت قضية العزل مبهمه حيث لم يتضح كيف تقوم الأمة بعزل الحاكم بالطرق السلمية كما يرتأي السيد الصدر ؟ وهل يكفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للتعامل مع السلطات الدكتاتورية والأنظمة الاستبدادية ؟ وكيف تتمكن الأمة أفراداً وجماعات من ردع الحاكم عن

المعصية دون أن تتعرض لعقوباته وممارسات أجهزته القمعية ، خاصة وأن موضوع النزاع هو السلطة ؟

وفي نهاية السبعينات يلاحظ أن قناعة السيد الصدر قد تبدلت نحو الأخذ بمبدأ (ولاية الفقيه) أساساً للحكم في الدولة الإسلامية . ففي بحثه القيم (لمحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية) الذي صدر بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ ، ينطلق السيد الصدر من وجود المجتهد المتصدي للحكم أساساً لشرعية الحكومة ، ثم من وجوده تكتسب بقية مؤسسات الدولة شرعيتها . ومع هذا الدور الخطير للولي الفقيه لكن الشهيد الصدر يرى أن دور الأمة لا يقيد وجود الفقيه ، بل تبقى تمارس دورها في الحكم من خلال :

١- انتخاب رئيس السلطة التنفيذية أو رئيس الجمهورية . ودور الفقيه هنا هو إمضاء فوز الرئيس واسباغ القدسية والشرعية عليه كحاكم .^(٥٤)

٢- انتخاب المجلس التشريعي (مجلس أهل الحل والعقد) . ويتولى هذا المجلس الوظائف التالية :

- منح الثقة لأعضاء الحكومة التي يشكلها رئيس السلطة التنفيذية .

- تحديد أحد البدائل من الاجتهادات المشروعة .^(٥٥)

- ملء منطقة الفراغ بتشريع قوانين مناسبة .

إن دور الأمة هنا قد اتسع بشكل بات فيه صاحبة القرار في :

١- اختيار رئيس الجمهورية (السلطة التنفيذية) ،

٢- انتخاب أعضاء البرلمان (السلطة التشريعية) .
ويعقب السيد الصدر على ذلك بقوله (وبهذا ترتفع الأمة وهي تمارس السلطة إلى قمة شعورها بالمسؤولية لأنها تدرك بأنها تتصرف بوصفها خليفة لله في الأرض)^(٥٦) .

٣- ولا يعني ذلك أن مهمة اختيار أو ترشيح الولي الفقيه أصبحت خارج نطاق مسؤوليات الأمة بل أن دورها متبلور حتى في هذا الموقع الهام . فالسيد الصدر يرى أن اختيار أو وصول المجتهد للقيادة^(٥٧) يكون معتمداً على شهرته وسمعته بين أفراد الأمة ، فيحيل قضية اختيار المرجع القائد إلى الطرق الطبيعية المتبعة عادة في الحوزة العلمية لاختيار المرجع المفتي ، فيشترط (أن تكون مرجعيته بالفعل في الأمة بالطرق الطبيعية المتبعة تاريخياً)^(٥٨) . وفي حالة تعدد المرجعيات المؤهلة للقيادة فيرى السيد الصدر أن يرجع في تحديد الأصلح للأمة عبر الانتخابات العامة ، فيقول (وفي حالة تعدد المرجعيات المتكافئة يعود إلى الأمة أمر التعيين من خلال استفتاء شعبي عام)^(٥٩) .

هذا التأصيل الفقهي لدور الأمة في الدولة الإسلامية قد أعطى زخماً فقهيّاً وسياسياً لنظام الحكم الإسلامي كنظام حضاري بإمكانه مواجه التغيرات السياسية والدولية والتكنولوجية . ولا ينسى السيد الصدر أن الحريات السياسية والدينية هي أقوى أسس أي نظام سياسي ، لذلك يؤكد على أهمية توفير حرية التعبير السياسي والفكري ، وحرية العمل السياسي سواء في تشكيل الأحزاب السياسية أو الجمعيات المهنية والنقابات ، أو في تأسيس الصحف والمجلات ووسائل التعبير الأخرى . فيصف الأمة بأنها (صاحبة الحق في الرعاية وحمل الأمانة . وأفرادها متساوون في هذا الحق أمام القانون ، ولكل منهم التعبير من خلال ممارسة هذا الحق عن آرائه وأفكاره وممارسة العمل السياسي بمختلف أشكاله كما أن لهم جميعاً حق ممارسة شعائرهم الدينية والمذهبية)^(٦٠) .

المرأة والأقليات في المجتمع الإسلامي

وفي تأصيل فقهي فريد يؤكد السيد الصدر على دور المرأة دورها في المجتمع الإسلامي ، فيمنحها صفة الولاية على بقية المجتمع دون تمييز أو تفاضل . ففي تفسيره لقوله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ (التوبة : ٧١) يقول : إن كل مؤمن وليّ الآخرين ، والنص ظاهر في سريان الولاية بين كل

المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية.^(٦١) وهذا الرأي بحاجة إلى مناقشة فقهية من أجل اكتشاف دور المرأة في المشاركة في السلطة وتولي المناصب العليا في الدولة الإسلامية . فالمرأة عانت من اضطهاد اجتماعي طوال التاريخ ، وإن كان الإسلام قد أنصفها ، لكن تلك المرحلة اقتصرت على العهد النبوي ، وشطراً من العهد الراشدي ، وسرعان ما أعيدت إلى الانزواء والعزل عن المجتمع في عصور الإنحطاط السياسي للمسلمين .

لا تقتصر هذه الحقوق والحريات على مواطني الدولة من المسلمين فقط بل يجب أن (تتعهد الدولة بتوفير ذلك لغير المسلمين من مواطنيها الذين يؤمنون بالانتماء السياسي إليها وإلى إطارها العقائدي ولو كانوا ينتسبون دينياً إلى أديان أخرى) .^(٦٢)

تأثير الصدر على دستور الجمهورية الإسلامية في إيران

لقد كانت لآراء ومؤلفات السيد محمد باقر الصدر تأثير كبير في إيران قبل الثورة وبعدها . وقد كتب بحثه (لمحمة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران) جواباً على سؤال وجهه جماعة من علماء المسلمين في لبنان . وقد (كتبه لكي تستفيد منه القيادة

الإسلامية في وضعها للدستور الاسلامي . وأرسله إلى الإمام الخميني بواسطة تلميذه البارز السيد محمد الهاشمي) .^(٦٣)

يوضح أحد الباحثين تأثير أفكار السيد الصدر على الساحة الإيرانية ، حيث يقول شأؤول نجاش (من جملة الكتب التي كان لها نفوذها الخاص كتاب «اقتصادنا» حيث كان مرجعاً للعلماء الإيرانيين الذين كانوا يبحثون عن مسوغ (شرعي) لتقييد الملكية الخاصة وتدخل الدولة في الاقتصاد) .^(٦٤) ويضيف نجاش (ولقد أظهرت نظريات الصدر في التشريع (التقنين) لعصر ما بعد الثورة أهميتها عن ثلاث طرق ، فقد قدم تعريفاً محدداً وشروطاً للملكية ، وأعطى الهوية لمساحة من الأحكام الثانوية والقوانين الاختيارية ، بحيث يكون للدولة الإسلامية في تلك المساحة صلاحيات واسعة من أجل تنظيم الأمور الاقتصادية) .^(٦٥)

لقد كان كتاب (الإسلام يقود إلى الحياة) يمثل مسعى جاداً لوضع أساس فلسفي-فقهية للثورة الإسلامية في إيران . وهذا الكتاب في حقيقته مسودة لدستور الجمهورية الإسلامية ، كتبه كي تستفيد من القيادة الإسلامية في وضعها للدستور الاسلامي . وهناك شواهد وأدلة عديدة على أن الصدر كتب مسودة دستور الجمهورية

الإسلامية قبل تدوينه من قبل مجلس الخبراء . وقام بعض الباحثين المعاصرين بمقارنة نصية موفقة بين مواد الدستور وبين ما ذكره السيد الصدر في بحثيه (لمحّة تمهيدية) (خلافة الانسان وشهادة الأنبياء) .^(٦٦)

دور الأمة في دستور الجمهورية الإسلامية

أدرج مدونو الدستور الإيراني عام ١٩٧٩ العديد من المواد الدستورية التي تمنح الأمة دوراً كبيراً سواء في الإشراف والمراقبة أو في الاختيار والانتخابات . فالمادة السادسة تحدد أسلوب الحكم بأنه (يعتمد على آراء الجماهير عن طريق الانتخابات : انتخابات رئيس الجمهورية ، وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان) ، وأعضاء مجالس الشورى المحلية ونظائرها ، أو الاستفتاء في الموارد التي تعين في المواد الأخرى من هذا الدستور) .

فيما عدا السلطة القضائية يمارس الشعب الإيراني دوره الرئيسي في اختيار السلطين التنفيذية والتشريعية والقائد أو الولي الفقيه . فالشعب ينتخب رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى بالاقتراع المباشر . أما انتخاب الولي الفقيه فيكون بصورة غير مباشرة ، حيث تنص المادة ١٠٧ على أن يقوم الشعب بانتخاب أعضاء مجلس الخبراء من

بين الفقهاء والعلماء المرشحين له ، ثم يقوم مجلس الخبراء بانتخاب الولي الفقيه من بين الذين لهم صلاحيات القيادة . وتمنح المادة ١١١ مجلس الخبراء حق عزل الولي الفقيه إذا عجز عن أداء الوظائف القانونية للقيادة أو فقد واحداً من الشروط المذكورة في المادة ١٠٩ .^(٦٧) ولا يحدد القانون مدة معينة لبقاء الولي الفقيه في السلطة شأنه شأن رئيس الجمهورية (أربع سنوات) أو أعضاء مجلس الشورى (أربع سنوات) أو مجلس صيانة الدستور (ست سنوات) أو مجلس الخبراء ، أي أنه لا ينعزل مادامت الشروط متوفرة فيه ، مما يشير إلى بقاءه في السلطة حتى وفاته أو إذا أصيب بمرض شديد أو عاهة دائمة تمنعه من مزاولة عمله .^(٦٨)

ولتجنب إفراغ مجلس الشورى الإسلامي من مضمونه ، ويغيب بذلك دور الأمة ، منح الدستور صلاحيات واسعة للمجلس حتى أصبح أقوى مؤسسة في البلاد . ولأول مرة في البلدان الإسلامية وبلدان العالم الثالث يصبح المجلس هو القوة الرئيسية في البلاد وليس المؤسسة العسكرية أو الحكومة . فمن صلاحية المجلس سحب الثقة عن رئيس الجمهورية وعزله .^(٦٩) ومن حق المجلس التدخل والتحقيق في جميع شؤون البلاد بلا استثناء (المادة ٧٦) ، كما أن من حق كل نائب إبداء وجهة نظره في كافة قضايا الدولة الداخلية والخارجية

(المادة ٨٤) . ولأجل ذلك منح النائب الحصانة القضائية التي تحميه من الملاحقة أو الاعتقال بسبب وجهات نظره التي يعلن عنها سواء في المجلس أو خارجه (المادة ٨٦) . والمجلس هو الذي يمنح الثقة للوزراء الذين يختارهم رئيس الجمهورية كأعضاء في حكومته (المادة ٨٧) . كما أن المجلس يحاسب ويستجوب الوزراء في أية قضية ، ومن حق المجلس عزل الوزراء أو مجلس الوزراء وذلك بحجب الثقة عنه (المادة ٨٩) . (٧٠)

وكي لا تنحصر مسؤولية إدارة الدولة بالبرلمان وحده رغم أنه منتخب مباشرة من قبل الشعب ، يؤكد الدستور على أهمية مشاركة كل مواطن حتى في أقصى قرية في صنع القرار وإدارة شؤون قريته ومدينته ، وذلك من خلال مجالس الشورى البلدية ، التي يجري انتخاب أعضائها من قبل سكان البلدة . فتؤكد المادة السابعة على أن (مجلس الشورى الاسلامي ، مجلس شورى المحافظة ، القضاء ، القرية ، المحلة وأمثالها من مراكز صنع القرار ، وإدارة شؤون الدولة) . هذا وتقرر المادة ١٠٣ على أن مسؤولي السلطة التنفيذية من (محافظين وقائمين ومدراء نواحي وكل المسؤولين المدنيين الذين يعينون من قبل الحكومة ملزمون بمراعاة قرارات مجالس الشورى المحلية التي تكون في نطاق صلاحياتها) .

هذا وقد أعطت قيادة الثورة الاسلامية للأمة حق

الانتخاب والاختيار للأمة حتى قبل وضع الدستور . فقد أجرت انتخابات واحدة واستفتاءين شعبيين :

- اختيار أصل النظام الاسلامي ، أي تم طرح السؤال التالي على الشعب : هل تريد الجمهورية الإسلامية أم لا ؟ فصوت لها ٩٨ . ٢% من المقترعين . وقد أجري الاستفتاء في العاشر والحادي عشر من شهر آذار عام ١٩٧٩ .
- انتخاب أعضاء لجنة وضع الدستور .

- استفتاء شعبي للموافقة على الدستور بعد تدوينه . (٧١)
الواقع أن الجمهورية الإيرانية قد التزمت بإجراء العديد من الانتخابات ، سواء انتخابات رئاسة الجمهورية أو انتخابات أعضاء مجلس الشورى أو انتخابات أعضاء مجلس الخبراء وانتخابات المجالس المحلية . ولم تتوقف عن إجراء الانتخابات حتى في ظروف الحرب مع العراق (١٩٨٠-١٩٨٨) حيث تعاقب ثلاثة رؤساء جمهورية أثناء فترة الحرب .

وتقرر المادة الثامنة مبدأ الرقابة الاجتماعية المتبادلة التي تدعو جميع أفراد الأمة لممارسة هذا المبدأ الاسلامي أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تعتبره مسؤولية جماعية ومتبادلة ، ليس بين الأفراد فحسب بل بين الجماعات والحكومة ، وذلك في عدة دوائر متداخلة هي :

- بين الناس بالنسبة لبعضهم البعض .

- الحكومة بالنسبة للناس

- الناس بالنسبة للحكومة .

وهذا المبدأ بحاجة إلى تجارب عملية في الواقع السياسي والاجتماعي للمجتمع الاسلامي كي لا يجري تقييده بالقضايا الدينية كترك الصلاة ولبس الحجاب وغيرها ، ولا بالأخلاقية كالامتناع عن الكذب والسرقة ، بل يجب أن يأخذ موقعه في الإدارة والسياسة والصحافة والاعلام كي يأخذ هذا المبدأ صفة واقعية تساهم في نضجه وتطوره ويعطي لأمة دورها الواضح في النقد والتقويم والتسديد .

استنتاجات

١- شهد التراث السياسي الاسلامي تغييراً لدور الأمة الاسلامية في الحياة السياسية . وجرى إفراغ مبدأ الشورى والبيعة من مضامينها حتى أصبح وجود الأمة لمبايعة الخليفة قضية شكلية يراد بها اقناع العامة بأن تولي الخليفة شرعي .

٢- ساعد فقهاء السلاطين على تغييب الأمة ودعم استبداد الحاكم من خلال آرائهم وفتاواهم وتنظيراتهم الفقهية التي أقصت دور الأمة ومنحت الخليفة والحاكم

كل الصلاحيات .

٣- في القرن التاسع عشر بدأت حركة الاصلاح السياسي من خلال بعض المصلحين كالسيد جمال الدين الأفغاني . ثم تطورت في بداية القرن العشرين عبر ثورة الدستور في إيران عام ١٩٠٥ ، واعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ حيث تم اقرار مبدأ مشاركة الأمة في السلطة عبر الانتخابات العامة ، وتحديد صلاحيات الحاكم دستورياً .

٤- انطلاقاً من منهجه في التفسير الموضوعي لاكتشاف النظرية القرآنية أكد السيد محمد باقر الصدر على دور الأمة في الدولة الإسلامية في (نظرية الاستخلاف) . وقام بالتأسيس لهذا الدور من منظور عقائدي أضفى عليه صبغة مقدسة حيث الانسان خليفة الله في الأرض ، وأنه مكلف برعاية الكون وتدير شؤون البشرية .

٥- في إطار التأصيل الفقهي يصل السيد الصدر إلى نتيجة تجعل دور الأمة رئيسياً في أي نظام إسلامي سواء انطلق هذا النظام من مبدأ الشورى أو من نظرية ولاية الفقيه . ففي كلتا الحالتين لا تفقد الأمة دورها .

٦- ساهم السيد الصدر في ترسيخ مبادئ دستور الجمهورية الإسلامية في إيران ، وبات تأثيره ملحوظاً في صياغة مواده .

المصادر

- ابن أبي الحديد المعتزلي (شرح نهج البلاغة) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت : ١٩٩٥
- صلاح عبد الرزاق (الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي) ، مؤسسة الأعراف للنشر ، قم : ١٩٩٩
- صلاح عبد الرزاق ، « جمال الدين الأفغاني : دراسة في مرتكزاته الاصلاحية » ، في مجلة (الفكر الجديد) ، العدد الثاني ، ص ١١٥-١٤٤ ، حزيران (١٩٩٢)
- جلال الدين السيوطي (تاريخ الخلفاء) ، منشورات الشريف الرضي ، قم : ١٩٩٠
- الدينوري ، (الأخبار الطوال) ، منشورات الشريف الرضي ، عن طبعة القاهرة : ١٩٦٠
- عبد الجبار الرفاعي (منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الاسلامي) ، مؤسسة التوحيد ، قم : ١٩٩٨
- عبد القادر عودة ، (التشريع الجنائي الاسلامي) ، مؤسسة البعثة ، طهران : ١٩٨٢
- علي بن حاج ، (فصل الخطاب في مواجهة ظلم الحكام) ، الجبهة الاسلامية للإنقاذ ، بلا مكان أو تاريخ الطبع
- الماوردي ، (الأحكام السلطانية) ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ؟
- محمد باقر الصدر (المدرسة الاسلامية) ، في (المجموعة الكاملة لمؤلفات السيد محمد باقر الصدر) / ج ١٣ / دار التعارف ، بيروت ١٩٩٠ .
- محمد باقر الصدر (الاسلام يقود الحياة) ، وزارة الارشاد الاسلامي ، طهران : ١٩٨٣
- محمد باقر الصدر ، (المدرسة القرآنية) ، دار التعارف ، بيروت : ١٩٨١
- محمد باقر الصدر (أهل البيت : تنوع أدوار ووحدة هدف) ، دار
- التعرف للمطبوعات ، بيروت : ؟
- محمد الحسيني ، (محمد باقر الصدر : دراسة في سيرته ومنهجه) ، دار الفرات ، بيروت ١٩٨٩
- محمد علي التسخيري ، (حول الدستور الإسلامي في مواد العامة) ، منظمة الاعلام الاسلامي ، طهران : ١٩٨٧
- محمد رضا النعماني ، (الشهيد الصدر : سنوات المحنة وأيام الحصار) ، اسماعيليان ، قم : ١٩٩٧
- محمد مهدي شمس الدين ، (نظام الحكم والادارة في الاسلام) ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت : ١٩٩١
- محمد جواد آل فقيه (أبوذر الغفاري) ، دار الفنون ، بيروت : ١٩٨٠
- محمد رشيد رضا ، (الخلافة) ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة : ١٩٩٤
- محمد رشيد رضا ، (مختارات سياسية من مجلة المنار) ، تقديم : وجيه كوثراني ، دار الطليعة ، بيروت : ١٩٨٠
- محمد تقى التبهاني ، (نظام الحكم في الاسلام) ، دار الأمة ، بيروت : ١٩٩٠
- محمد حسين جمشيدى ، « دور فكر الشهيد الصدر في الثورة الإسلامية في إيران » ، في مجلة (قضايا إسلامية) / العدد الثالث / ص ٢٥٨-٢٨٦ (١٩٩٦)
- محمد عبد اللاوي ، « فلسفة التاريخ من خلال كتابات الامام الصدر » ، في مجموعة باحثين (محمد باقر الصدر : دراسات في حياته وفكره) / ص ١٨٩-٢٩٦ ، دار الاسلام ، لندن : ١٩٩٦
- المسعودي ، (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت : ١٩٩١
- اليعقوبي ، (تاريخ اليعقوبي) ، منشورات الشريف الرضي ، قم : ١٩٩١ .

الهوامش :

[١] من ذلك عمله برأي (الحباب بن المنذر) في معسكر الجيش في (بدر) ، واستشارته أصحابه في ملاقاته المشركين في أحد ، فأخذ برأي القائلين بالخروج من المدينة . ومن ذلك استشارته

لسعد بن معاذ زعيم الأوس وسعد بن عباد زعيم الخزرج في إعطاء ثلث تمر المدينة لقبيلة غطفان لاقتناعها بالخروج من تحالف الأحزاب في معركة الخندق ، حيث استجاب لرأي سعد بن معاذ في عدم إعطائهم شيئاً . ومن ذلك العمل بمشورة سلمان الفارسي في حفر الخندق .

[٤] ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج ٢ / ص ٥٥
[٥] محمد رشيد رضا / مختارات سياسية من مجلة المنار / ص ٩٥ / تقديم ودراسة وجيه كوثراني .

[٢] مثلاً قول أحد الناس للخليفة الثاني عمر بن الخطاب وهو على المنبر في مسجد الرسول : لو رأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيفنا

[٦] في ندوة شارك فيها الدكتور حسن حنفي والدكتور حامد نصر ابو زيد في روتردام بهولندا بتاريخ ١٩٩٧/٥/٣٠

[٣] أمر عثمان بن عفان بضرب الصحابي الجليل عمار بن ياسر لأنه جاءه موفداً من بعض الصحابة ينتقدون أعماله (ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج ٢ / ص ٣٧-٣٨) . ونفى أبا ذر الغفاري لأنه اعترض على سياسته المالية والأوضاع السياسية (المسعودي / مروج الذهب / ج ٤ / ص ٣٧٨) .

[٧] جلال الدين السيوطي / تاريخ الخلفاء / ص ٢٤٦
[٨] أبي حنيفة الدينوري / الأخبار الطوال / ص ٣٤٨
[٩] تم ممارسة مبدأ الشورى في اختيار الخليفة الثالث ، (و) شورى الستة (اختارهم الخليفة عمر بن الخطاب ولم يكن للأمة أي دور في اختيارهم .

وأهان الصحابي عبد الله بن مسعود وأمر بضربه لأنه رفض إحراق المصحف الذي عنده (تاريخ يعقوبي / ج ٢ / ص ١٧٠) . ومنع دفن الصحابي المقداد بن عمرو لأنه كان يرى أن علياً أحق بالخلافة ، وغضب على عمار بن ياسر لأنه صلى على جنازة المقداد . ونفى مجموعة من الشخصيات البارزة في الكوفة منهم مالك بن الأشتر وصعصعة بن صوحان وأخيه زيد بن صوحان وعدي بن حاتم لأنهم اعترضوا على شعار رفعه والي الكوفة سعيد بن العاص بقوله (اغا السواد

[١٠] عبد القادر عودة / التشريع الجنائي الاسلامي / ص ٤٧
[١١] محمد مهدي شمس الدين / نظام الحكم والإدارة في الإسلام / ص ١٢١

[١٢] المصدر السابق / ص ١٢١
[١٣] محمد الشربيني / مغني المحتاج / ج ٤ / ص ١٣١ ، نقله محمد مهدي شمس الدين / نظام الحكم / ص ١٢٢
[١٤] أبي الحسن الماوردي (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) / ص ١١

[١٥] أذكر بعض النماذج التي أوردها جلال الدين السيوطي في كتابه (تاريخ الخلفاء) ، إذ يقول «تولى المعتز بالله بن المتوكل بن الرشيد سنة ٢٥٢ هـ وله من العمر ١٩ عاماً» (ص ٣٥٩) .

وتولى المقتدر بالله الخلافة سنة ٢٨٢ هـ وله ثلاث عشرة سنة (ص ٣٧٨) . وتولى المستظهر بالله سنة ٤٧٠ هـ وله ست عشرة سنة (ص ٤٢٦) . وتولى الأمر بأحكام الله الفاطمي الخلافة سنة ٤٩٥ هـ وله خمس سنوات (ص ٥٢٤) .

[١٦] كتب التاريخ تعج بفجور وفسق وجرائم الخلفاء سواء قبل توليهم الخلافة أم بعدها . أذكر هنا بعض ما أورده السيوطي في (تاريخ الخلفاء) حيث قال (وكان يزيد بن معاوية ينكح أمهات الأولاد ، والبنات ، والأخوات ، ويشرب الخمر ويدع الصلاة) (ص ٢٠٩) . و(كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي فاسقاً ، شريباً للخمر ، منتهكاً حرمة الله ، أراد الحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة ، فمقته الناس لفسقه . ولما حوصر قال له الناس : ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله . ولما قتل ، وقطع رأسه وجيء به يزيد الناقص نصبه على رمح ، فنظر إليه أخوه سليمان بن يزيد ، فقال : بعداً له ! أشهد أنه كان شروباً للخمر ، ماجناً ، فاسقاً ، ولقد راودني عن نفسي . وقال الذهبي : لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة ، بل اشتهر بالخمر والتلوط) (ص ٢٥٠-٢٥١) . وذكر السيوطي : قال ابن جرير : لما ملك الأمين (بن هارون الرشيد العباسي) ابتاع الخصيان ، وغالى بهم ، وصيرهم لخلوته ، ورفض النساء والجواري (ص ٣٠١) .

[١٧] محمد تقي النبهاني / نظام الحكم في الاسلام / ص ٦٠

[١٨] علي بن حاج / فصل الكلام في مواجهة الحكماء / ص ٣٧ .
وبن حاج أحد قياديي الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر

[١٩] المصدر السابق / ص ٤٤

[٢٠] يرد علي بن حاج على الماوردي في أسلوب العهد لتولي السلطة ليصل إلى نتيجة أن (العهد بمعنى توارث الحكم أمر لا يجوز شرعاً) / المصدر السابق / ص ٤٠

[٢١] تناول الفقهاء أسباب عزل الحاكم مثل فقد العقل ، فقد الحواس ، فقد الأعضاء ، الكفر ، الفسق وغيرها ، لكن لم يجز تطبيق هذه المبادئ في التاريخ الإسلامي ، بل جرى العزل أحياناً لأسباب سياسية وتنافس الخصوم السياسيين والطامعين بالخلافة .

[٢٢] ص تنص المادة (١١١) من الدستور الإيراني على أنه من صلاحيات مجلس الخبراء عزل القائد (مرشد الجمهورية الإسلامية) ، ولم تتم لحد الآن ممارسة هذا الحق كي يتسنى لنا تقييم هذا الأمر ، وربما بقي نظرياً كما في كتب التراث الفقهي .

[٢٣] جعفر عبد الرزاق / جمال الدين الأفغاني : دراسة في مرتكزاته الإصلاحية ، في مجلة الفكر الجديد / العدد : ٢ / ص ١١٥-١٤٤ / حزيران ١٩٩٢

[٢٤] جعفر عبد الرزاق / الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي / ص ٤٤-٤٥

[٢٥] المصدر السابق / ص ٥١

[٢٦] المصدر السابق / ص ٥٢

[٢٧] المصدر السابق / ص ٤٧-٤٨

[٢٨] عبد الجبار الرفاعي ، منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر

الاسلامي / ص ٥٤ ، في (سلسلة رواد الإصلاح : ١)

[٢٩] محمد باقر الصدر ، لمحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية ، في (الاسلام يقود الحياة) / ص ٩

[٣٠] محمد باقر الصدر ، المدرسة الإسلامية ، ضمن (المجموعة الكاملة لمؤلفات الصدر) / ج ١٣ / ص ٣٣

[٣١] محمد عبد اللاوي ، «فلسفة التاريخ من خلال كتابات الامام الصدر» ، في (محمد باقر الصدر لمجموعة باحثين) / ص ٢٠٢

[٣٢] محمد باقر الصدر ، «عناصر المجتمع في القرآن الكريم» ، في (المدرسة القرآنية) / ص ١٤٢

[٣٣] محمد باقر الصدر ، «عناصر المجتمع في القرآن الكريم» ، في (المدرسة القرآنية) / ص ١٣٩

[٣٤] محمد باقر الصدر ، «التفسير الموضوعي للقرآن الكريم» ، في (المدرسة القرآنية) / ص ٢٠

[٣٥] محمد باقر الصدر ، «التفسير الموضوعي للقرآن الكريم» ، في (المدرسة القرآنية) / ص ٢١

[٣٦] محمد باقر الصدر ، «التفسير الموضوعي للقرآن الكريم» ، في (المدرسة القرآنية) / ص ٢٧

[٣٧] خاطب الشهيد الصدر الشعب العراقي في ثلاث بيانات قبل استشهاده يؤكد لإيمانه بدور الأمة حيث يقول (الجماهير دائماً أقوى من الطغاة مهما تفرعن الطغاة) / البيان الثاني الصادر في ١٠ شعبان ١٣٩٩ الموافق ٢٥ حزيران ١٩٧٩ . محمد رضا النعماني / الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار / ص ٢٨٦) . وخاطب الأمة في البيان الثالث والأخير قائلاً (فلتتوحد كلكمتمكم ، ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الإسلام ، من أجل إنقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلطة ، وبناء عراق حر كريم ، تغمره عدالة الاسلام ، وتسوده كرامة الانسان ، ويشعر فيه المواطنون جميعاً على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم بأنهم إخوة ، يساهمون جميعاً في قيادة بلدهم وبناء

وطنهم ...) (محمد رضا النعماني / مصدر سابق / ص ٣٠٧) . كما خاطب الشعبين الإيراني والأفغاني في الأحداث الخطيرة (مجموعة باحثين ، محمد باقر الصدر : دراسات في حياته وفكره ، / ص ٧٣٧ و ٧٥٦ .

[٣٨] محمد باقر الصدر ، «لمحة تمهيدية» في (الاسلام يقود الحياة) / ص ١٥

[٣٩] قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ... ﴾ (البقرة : ٣٠)

[٤٠] وقوله تعالى ﴿ إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ (الأعراف : ٦٩) ، وقوله تعالى ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ﴾ (ص : ٢٦) ، وقوله تعالى ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ (فاطر : ٣٩)

[٤١] محمد باقر الصدر ، «خلافة الانسان وشهادة الأنبياء» في (الإسلام يقود الحياة) / ص ١٣٠

[٤٢] المصدر السابق / ص ١٣٤

[٤٣] المصدر السابق / ص ١٣٦

[٤٤] المصدر السابق / ص ١٣٧

[٤٥] المصدر السابق / ص ١٣٧

[٤٦] محمد عبد اللاوي ، «فلسفة التاريخ من خلال كتابات الامام الصدر : ، في مجموعة باحثين (محمد باقر الصدر) / ص ٢٤٠

[٤٧] محمد باقر الصدر ، «خلافة الانسان وشهادة الأنبياء» في (الإسلام يقود الحياة) / ص ١٧٠

[٤٨] المصدر السابق / ص ١٧١

مشاكل مثل مشكلة الأراضي الزراعية التي يملكها الإقطاعيون الكبار ، ومشكلة الإيجارات والتجارة الخارجية ، ومشكلة ممتلكات الأثرياء الهاربين التي صادرتها حكومة الثورة في بداية انتصارها .

[٥٧] محمد باقر الصدر ، «لحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية» في الإسلام يقود الحياة / ص ١١

[٥٨] بعد وفاة الإمام الخميني في مايس ١٩٨٩ اضطر مجلس الشورى الإيراني إلى اجراء تعديل يقضي بالفصل بين المرجعية الدينية وبين القيادة السياسية للدولة ، أي عدم اشتراط أن يكون القائد مرجعاً دينياً .

[٥٩] محمد باقر الصدر ، لحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في الإسلام يقود الحياة / ص ١٣

[٦٠] المصدر السابق / ص ١٤

[٦١] المصدر السابق / ص ١٤

[٦٢] المصدر السابق / ص ١٧١

[٦٣] المصدر السابق / ص ١٤

[٦٤] محمد حسين جمشيدى / دور فكر الشهيد الصدر في الثورة الإسلامية في إيران / في مجلة (قضايا إسلامية) / العدد الثالث / ص ٢٧٢ (١٩٩٦)

[٦٥] المصدر السابق / ص ٢٧١

[٦٦] المصدر السابق / ص ٢٧١

[٦٧] المصدر السابق / ص ٢٧١

[٦٨] منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية عام ١٩٧٩ تولى اثنان من الفقهاء منصب القائد أو الولي الفقيه هما الإمام الخميني للفترة (١٩٧٩-١٩٨٩) والسيد علي الخامنئي (١٩٨٩-) . ولم

[٤٩] محمد الحسيني ، محمد باقر الصدر : دراسة في سيرته ومنهجه ، /

ص ٣٥١

[٥٠] حسين بركة الشامي / المرجعية الدينية : من الذات إلى المؤسسة

/ ص ٥٠٨

[٥١] المصدر السابق / ص ٥٠٨-٥٠٩

[٥٢] المصدر السابق / ص ٥٠٨

[٥٣] حسين بركة الشامي / المرجعية الدينية : من الذات إلى المؤسسة

/ ص ٤٩٩

[٥٤] حسين بركة الشامي / المرجعية الدينية : من الذات إلى المؤسسة

/ ص ٥٠٠

[٥٥] محمد باقر الصدر ، «لحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية» في الإسلام يقود الحياة / ص ١٢

[٥٦] وهذه المهمة تعني أن بإمكان المجلس التشريعي رفض اجتهاد

الولي الفقيه واختيار اجتهاداً آخر لفقيه آخر ، سواء كان في

السلطة أو خارجها . ولم يوضح السيد الصدر كيفية حل هذا

الإشكال . إذن ماذا سيبقى من دور لاجتهاد الولي الفقيه ؟

وهل يرضى هو بتنحية رأيه الفقهي من أخذ دوره في سير

الحكم والتشريعات ؟ في عهد الإمام الخميني (١٩٠٠-

١٩٨٩) الذي دام عشر سنوات (١٩٧٩-١٩٨٩) كان مجلس

صيانة الدستور هو الذي يقرر الأخذ باجتهاد معين ، وليس

بالضرورة رأي الإمام الخميني . لذلك اضطر الإمام عدة مرات

للتدخل في دعم توجهات حكومة رئيس الوزراء مير حسين

موسوي التي كانت تميل نحو العدالة الاجتماعية في توزيع

الثروات ، بينما كان أعضاء مجلس حماية الدستور يميلون إلى

اقتصاد السوق وحرية العرض والطلب . وتجلى ذلك في عدة

يمارس مجلس الخبراء حق عزل الفقيه لحد الآن لكنه مارس شيئاً قريباً من ذلك عندما قام بعزل آية الله حسين علي منتظري من منصبه كنائب ومرشح لتولي القيادة بعد الإمام الخميني . وكان مجلس الخبراء هو الذي انتخب منتظري لهذا المنصب الفخري .

[٦٩] هناك من ينادي الآن بضرورة انتخاب الولي الفقيه من قبل الشعب مباشرة ، وبتحديد سقف زمني لتوليه السلطة مثله مثل رئيس الجمهورية .

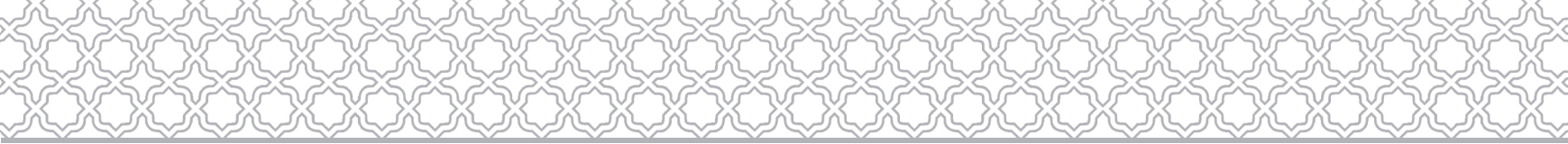
[٧٠] مارس المجلس هذه الصلاحية عام ١٩٨٠ حيث صوت مجلس الشورى الإيراني على حجب الثقة عن أول رئيس جمهورية إيراني هو أبي الحسن بني صدر فتم عزله ، وأجراء انتخابات

عامة جاءت بالرئيس الثاني محمد علي رجائي .
[٧١] اجراءات منح الثقة لكل وزير تكون فردية أي يصوت لكل وزير على حدة . وتسبق التصويت مناقشة وضع الوزير المرشح الشخصي وخبرته وماضيه وأهليته لتولي المنصب . ويقوم أعضاء مجلس الشورى بجمع معلومات كبيرة عنه ، ويعرضونها أثناء المناقشة ، فيتحدث المؤيدون والمعارضون لترشيحه . وبعدها يجري التصويت ، ويحدث أحياناً أن يرفض ترشيحه ، فيطلب من رئيس الجمهورية ترشيح آخر محله .
[٧٢] محمد علي التسخيري / حول الدستور الاسلامي في مواده العامة / ص ٩٥

سُبُلُ بِنَاءِ الْقَاعِدَةِ الْجَاهِزِيَّةِ
فِي الْمُنْظُومَةِ الْفِكْرِيَّةِ
لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ صَادِقِ الصِّدْرِ

❖ أ.م.د. حيدر عبد الزهرة التميمي (*)

(*) كلية التربية (ابن رشد) / جامعة بغداد.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف
الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد
المصطفى (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين) .

أمّا بعد :

إنّ النظر بعين الباحث المنصف المتجرد عن الأهواء
والميول إلى شخصية السيد محمد صادق الصدر عليه السلام
يفضي إلى أنّ السيد الصدر شخصية خالفت المألوف في
عصره من جوانب عدّة يمكن تلمسها لمن يتطلع إلى
حياته ، ومسيرته الجهادية العلمية في مجتمع له
خصوصيته التي تميّزه عن غيره ، وله طبيعته الاجتماعية
الخاصة .

تلك الظروف التي عاشها مجتمعا ، والضغوطات التي
حاولت تغييب ملامحه الحقيقة ومسوخ الصبغة الدينية التي

تمثل حقيقة الواقع العراقي ، والمحاولات التي رامت
طمس الهوية الإسلامية للمجتمع . وتطبيع أبنائه على
واقع الخنوع والذلة ، والرضوخ إلى أوامر الطغاة ، فضلاً
عن نشر ثقافات وأفكار منحرفة أدت إلى خلق واقع لا يفرح
له كلّ من يغار على دينه ومعتقداته .

تلك الهموم عاشها السيد الصدر وفكر فيها جلياً وأدرك
أهمية التغيير في المجتمع وهو يعيش أوضاع العراق
السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، فكان ينبغي أن
يرسم سبيلاً يستطيع به أن ينهض بالواقع الذي كان لا
يفرح من يعنيهم أوضاعه . فقد « رأى السيّد الصدر ومن
تجربة الانتفاضة الشعبانية أنها تعيش في علاقة جدلية
تحتاج إلى دراسة وبناء فكري استراتيجي يقرأ الواقع ويضع
الحلول ^(١) »

وهذا الذي دفع بالسيد الصدر أن يمارس قراءة ثالثة
لواقع الاجتماعي . . . قراءة تتعلق بوعيه الديني ووعيه

مجالاته المتنوعة ومظاهره المختلفة التي تتحدد على أساس حاجة الواقع الاجتماعي ، فقد يفرض الواقع في بعض الفترات أن يكون مجال الإصلاح في البناء الفكري ، وقد يفرض في فترات أخرى الحركة السياسية أو الموقف الثوري . وهنا يأتي دور الرمز المصلح المجدد وقدرته في تحديد الخيار المناسب ^(٥) « إذ إنّ السبل والأساليب التي يعتمدها المراجع تختلف من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر

وكان المجتمع وبناءه الهم الأكبر الذي عاش في نفس السيد الشهيد عليه السلام فقراءة مسيرته تفصح عن « التركيز الواضح من لدن السيد الصدر الثاني على المجتمع بعده الأرضية الخصبة لأي تحرّك مهما كان سياسياً أو غيره ^(٦) »

لهذا تأمل السيد الصدر في هذا الواقع المرير ، وشخص العلل التي أصابته ، وحاول أن يتلمس سبلاً ناجعة تأخذ بيد هذا المجتمع نحو الصلاح ، وتبرئته من علله .

والمتتبع لمسيرة السيد الصدر النهضوية يقرأ بوضوح اهتمامه ببناء القاعدة الجماهيرية التي تكون أدوات المهمة لتحقيق مشروعه الإصلاحي . فقد كان هدفه الأول سحب الجماهير فاقدة القيادة إلى ساحته ، ودفعهم

السياسي من جهة . . . وتعلق بواقعه السلوكي والقيمي ، والظواهر المعبرة عنه والتي راكمتها في جزء منها القطيعة التاريخية مع خطاب الفقيه المباشر للأمة من جهة أخرى ^(٧) وهذه الدراسة المتأنيّة للواقع الاجتماعي في العراق أدت به إلى أن يلتقط كثيراً « من الإشارات على أهمية وخطورة إهمال المجال المجتمعي ، والتنقّط إشارات أخرى ربّما ضخمة فيما يمكن أن يؤدبه المرجع الديني في هذا المجال . إلا أن هذه الإشارات والدلالات والمضامين تدخل في حيز التحفيز الذي يتحول إلى قناة بضرورة التحرك على الأمة ^(٨) »

وتلت مرحلة الدراسة الدقيقة للواقع المجتمعي مرحلة أخرى تُعنى بخلق السبل وبدء المشروع التغييري فقد « بذل جهداً جباراً لاكتشاف الاجرائيات التي تعطي مشروعه جانبه العملي - التطبيقي ، والتي تحقق الجانب الميداني من المشروع الذي أخذ خصوصيته منه ^(٩) »

ولعلّ الذي ينظر جلياً في المشروع الإصلاحي للسيد الصدر يكتشف أنّه أدرك أنّ البقاء على منهج واحد لاجراء التغيير المراد مع اختلاف العصور ، وتنوع الأوضاع المجتمعية ، وتباين الأجناس التي يتعامل معها المصلحون لا يحقق الغاية المنشودة « وإذا كان الإصلاح والتجديد فعلاً حظارياً محركاً في الحياة الاجتماعية وله

ورسمه الملامح العامة لمنهجه الإصلاحية الذي حدد فيه أهم السبل الناجعة لانتشال المجتمع من واقعه « أحياء الناس مرة أخرى ، عرفهم بالإسلام . . . كشف لهم الحقائق وعرفهم بالكثير من المفاهيم . . . ربطهم بالحوزة وشدهم إليها . . . أحياء فيهم الأمل ووجدوا فيهم قائداً بمستوى طموحاتهم وآمالهم . . . خلق جيلاً رسالياً في سنوات محدودة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة »^(١٠)

وكان هذا النجاح ناتجاً عن الأسلوب الذي اعتمده فقد « مارس السيد الشهيد الصدر أسلوباً رسالياً راقياً في مشروعه الإصلاحية ، وهو أسلوب محاكاة الجماهير فكان خطابه الجماهيري هو أبرز عناصر النجاح التي رافقت مشروعه التغييرية »^(١١)

ويمكن القول : « إنّ الصدر الثاني لم يكتف بشمولية الخطاب ، وملاحقة الظواهر الاجتماعية إنّما كان يحاول أن يضع آليات التحشيد المجتمعي »^(١٢) فحدد سلسلة من الخطوات المنظمة يتلمسها من يتبع مسيرته الجهادية ، ومحاولته التغييرية . وهذه الخطوات هي المحور الذي يقوم عليه هذا البحث ، إذ حاول أن يقف على أهم السبل التي اتبعها السيد الصدر لبناء قاعدته الجماهيرية ، وقد جعلنا كلّ واحدة من هذه السبل محوراً من محاور هذا البحث ، بيناه ووضحنا أهميته ؛ لتتضح ملامح المنظومة الفكرية

للالتفات حول مرجعيته . وبذلك يكون قد امتلك أهم الأسلحة التي تمكنه من تحقيق أهدافه على وفق خطوات متسلسلة ، ومنظمة .^(٧) و« يمكن القول إنّ الثقل الأساسي الذي اتخذته تجربة الشهيد محمد صادق الصدر في الواقع العراقي ، هو الثقل الاجتماعي ، فلقد طغى هذا الجانب الاجتماعي على الكثير من مضامينها وآليات وأساليب عملها وحتى على ما يميزها - أي هذه التجربة - عن غيرها من تجارب العمل والتحرك المرجعي . وكذلك في وعيها المسبق لضرورة رصد الحركة الاجتماعية وعلاقاتها بصورة عامة أي : علاقتها مع المؤسسة الدينية ، علاقتها مع السلطة »^(٨) .

ولا يستطيع منكر أن ينكر النجاح الساحق الذي حققه السيد الصدر عليه السلام ببناء قاعدته الجماهيرية إذ « إنّ أعظم إنجاز حققه فضلاً عن نشر الكثير من المفاهيم التربوية هو التفاعل مع الجماهير الذين أحسّوا بصدق احساسه وعمقها في التعامل معهم ، كان يتناول الكثير من قضاياهم اليومية ومشاكلهم ومعاناتهم ، كان له منهج خاص في التربية بشكل مؤثر وفعال وتدرجي »^(٩)

فالحقبة التي عاشها السيد الصدر عليه السلام ، شهدت خملاً في علاقة المجتمع مع الحوزة الدينية في الأعم الأغلب لأسباب كثيرة . لكنه استطاع بفكره وقراءته للواقع ،

لدى السيد الصدر ، وأيدولوجيته الإصلاحية التي تبناها لتغيير واقع المجتمع العراقي ، ومن ثم الوقوف على ثمار تجربته ، وإمكانية الاستفادة من هذه التجربة لتحقيق الإصلاح ، وبناء المجتمعات على وفق الأسس الإسلامية الحقيقية .

وأهم هذه الخطوات هي :

- تحديد القائد :

إن الظروف التي مرّ بها بلدنا الحبيب ، أفقدت مجتمعنا القائد الذي يلتجئ إليه في محنه ، وقد رأى السيد الصدر ﷺ إن هذا الأمر أهم المرتكزات التي يجب أن تُبنى عليها القاعدة الاجتماعية ، وهذا ما دفع به إلى أن يطرح نفسه قائداً لها . فقد « نموذجاً للقيادة الإسلامية قاربت في سلوكها وتصديها النماذج الناصعة في التاريخ الإسلامي العريق ، وكان يهتدي ويحتذي بذلك بالرسول الأكرم والأئمة الأطهار من حيث الزهد والتواضع ونكران الذات والبساطة والاندفاع في خدمة الإسلام ، وبذلك فإنه وضع مقياساً عملياً للقيادة الإسلامية الحقيقية التي ينبغي أن تستلهم الصدر نموذجاً حياً متحركاً »^(١٣)

وكان هذا التصدي بدافع الشعور بالمسؤولية ، وإيماناً منه بأن هذا الأمر جزء من المهام التي يجب أن تضطلع

بها المرجعية ف « من أهم معالم النظرية السياسية للسيد محمد الصدر هو إيمانه بدور المرجعية في قيادة الأمة ، وإيمانه بنظرية ولاية الفقيه في وقت مبكر قياساً مع غيره من العلماء في الساحة العراقية »^(١٤)

يقول السيد ﷺ : « الأساس العام الذي تقوم عليه هذه البيانات ، هو : إن لمسلمين الممثلين لخط الأئمة عليهم السلام وقواعدهم الشعبية الكبرى يجب أن لا تبقى - في زمن الغيبة وانقطاع القيادة المعصومة ومصدر التشريع - خالية عن المرشد والموجه والفكر المدبر . . . يعطيهم تعاليم دينهم ويرتفع بمستوى إيمانهم وعقيدتهم ، ويشرح لهم إسلامهم ، ويوجههم في سلوكهم إلى العدل والصلاح »^(١٥)

وقد باشر عملياً ولي على مستوى التنظير فحسب بممارسة دوره القيادي فإننا « نجد العديد من الشواهد التي يظهر منها سعة حركة السيد محمد الصدر وهو يمارس دوره بصفته (ولي أمر المسلمين) وضمن دائرة الممكن ، وهي دائرة واسعة انطلاقاً من قاعدة (لا يترك الميسور بالمعسور) بل إن السيد بتبنيه لهذه النظرية التي عبّرت عنها فتواه كان يؤسس أرضية صلبة للدخول المستقبلي إلى الدوائر المغلقة أنياً بلحاظ الظروف القاسية ، وهو ما حصل فعلاً لاحقاً عندما انتقل من مرحلة الهدنة إلى مرحلة المواجهة »^(١٦)

- ولّد وجود القائد راحة واطمئناناً في نفوس المجتمع ،
إذ كان الشارع العراقي يشعر بالأمان بوجود قائدهم
المصلح ، يهرعون إليه في الشدائد ، ويستلهمون منه
العزيمة للمضي قدماً بأجراء مراحل التغيير ، واستكمال
المشروع الإصلاحي .

- حققت بشكل ما ضعف القيادة الحاكمة آنذاك ، لأنّ
وجود القائد الشرعي أبان عدم شرعية تلك الحكومة ، وهذا
ما دفع الحكومة إلى اتخاذ التدابير التي تنهي حركة السيد
الشهيد الإصلاحيّة .

فعرض السيد الشهيد الصدر رحمته الله نفسه قائداً لمجتمعه
بكل ألوانه سمة تميّز به المشروع النهضوي الذي تبناه ،
وبان للقاصي والداني ، أهمية تلك السمة في النسيج
المجتمعي الذي التف حول السيّد الصدر في حياته ،
والحزن البالغ الذي عاشه الشارع العراقي بعد استشهاده .
والولاء المطلق للخط الصدري ، فكل ذلك نجم عن التأثير
الذي خلفه قائد الجماهير في نفوس محبيه ، ومن آمنوا
بمشروعه النهضوي الإصلاحي .

- مخالفة المؤلف

إنّ الواقع الذي عاشه السيّد الصدر رحمته الله ، وتأمّل فيه
كشف له أنّ المعتاد من في طبيعة النهج الحوزوي ، لا

وكان إيمانه بمبدأ ولاية الفقيه الذي تعامل معه
بموضوعية وواقعية يحتم عليه التحرك نحو المجتمع
لتطبيق آلياته . فإنه رحمته الله « يفتح على موضوع ولاية الفقيه
إلى أبعد حد يمكن أن يمنحه هذا المفهوم من قوة للفقيه
جامع الشرائط . . . وحاول تطبيقها بشكل واضح على
المستويات الجماهيرية ، إذ أصدر فتاوى تجسد تطبيقه
لهذا المفهوم محاولاً إبراز شخصية الولي الفقيه كقيادة
ربانية على الساحة العراقية »^(١٧)

وهذا الذي جعله يتحرك إلى الجماهير ، لا أن ينتظر
مجيئهم إليه « فالشاهد الصدر يرى إنّ من واجب الفقيه
أن يبادر باتجاه المجتمع خطاباً وفقهاً وفكراً ، لا أن ينتظر
فقط المبادرة من الآخرين »^(١٨)

وقد حقق وجود القائد في المجتمع العراقي آنذاك ثماراً
كثيرة أهمها :

- التفاف الجماهير حول شخصية إسلاميّة ، تنصاع
إليها ، وتأتمر بأوامرها ، عوضاً عن القيادة غير الشرعية
التي مارست الظلم والطغيان ضد الشعب آنذاك .

- شكّلت شخصية القائد مصدراً مهماً من مصادر التعبئة
الجماهيرية ، وتثقيف الشارع العراقي بالفكر الديني ،
والأخلاق والقيم الإسلاميّة .

يجدي نفعاً في تحقيق التغيير الجذري الذي كان يبتغيه ، فضلاً عن أن كان يدرك أن عامل الوقت مهم جداً ؛ لأنه لا يدري كم سيمهله القدر ، وكم سيتاح له من الوقت لتحقيق برنامجه الإصلاحية ، فأراد أن يحقق أكبر قدر من المنجزات المتوخاة في أقل وقت ممكن . وسلك لأجل هذا سبيل المخالفة ، وكسر المألوف . ف « القراءة في المشروع الإصلاحية للسيد الشهيد تجعلنا نرى الأدوار تتعدى ما هو مألوف ؛ لأنه كان مدركاً لصعوبة المهمة مما حدا به أن يكسب قاعدة شعبية ؛ لأنها هدفه وغايته وهي الوسط الذي يعمل داخله » (١٩) .

وقد آمن السيد الصدر عليه السلام أن هذا الأسلوب سيحقق له ما يبتغيه فقد (اعتمد الشهيد (رض) بعقريّة فائقة على مبدأ مخالفة المألوف لاستفزاز مواطن الوعي في ذهن القاعدة التي كان يقصدها وكذلك لتحريك المناطق الراكدة في تفكيرها بواسطة الفتاوى التي أصدرها التي تميّزت بالجرأة والغربة ليُجعل من شخصه محلاً للتساؤل والبحث لتحفيز الجماهير على الاقتراب منه ومن ثم التعرف على أفكاره ورؤاه » (٢٠)

وهذا السبيل يُعد قفزة على الواقع المعهود و « منهجاً متميزاً وجديداً في الواقع العراقي عامة وفي الواقع الحوزوي والمرجعي بشكل خاص ، بالمقارنة مع مناهج التحرك التي

اعتمدها فقهاء ومراجع دين آخرون » (٢١) .

وقد بدا موضوع مخالفة المألوف في أكثر من مفصل من مفصل شخصية السيد الصدر عليه السلام ، وحياته ومنهجه . وله أكثر من صورة ، منها :

مخالفته لعادة المفسرين في تفسير القرآن « فلقد خرق سيدنا عليه السلام عادة المفسرين في تفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة مبتدئاً بالعكس من سورة الناس وهو منهج في البحث لم يسبقه إليه - فيما أظن - سابق » (٢٢) .

ومن صور مخالفته المألوف تناوله للظواهر الاجتماعية التي يعيشها مجتمعنا آنذاك ، وتشخيصه لما يعانيه من أمراض مجتمعية ، ومحاولة إيجاد الحلول لها فقد « تناول الظواهر الاجتماعية ، وهذا ما لم يعهده الناس لدى رجال الدين سابقاً ومن ضمن الإصلاحات الاجتماعية : عمل اتصالات مباشرة ودورية مع الوكلاء للاطلاع على أمورهم وأمور الناس من خلالهم ، وإرسال الوكلاء عنه لحضور المناسبات الدينية والاجتماعية . . . وغير ذلك » (٢٣)

وقد كان منبر الجمعة المباركة وسيلة مهمة من الوسائل التي اعتمدها لمعالجة ما يعانيه الشارع العراقي إذ « كان يطرح الخطب لمعالجة الكثير من الظواهر الاجتماعية التي كانت تعتبر بالميزان الإسلامي ظواهر سلبية تؤدي إلى الانحراف عن شرع الله . . . إن بعض

هذه الظواهر لم يتطرق إليها أحد قبله أو بالأحرى لم يكونوا يعطونها هذه الأهمية»^(٢٤)

ومن تلك القضايا التي تحدث عنها السيد الصدر رحمته ، وتناولها في خطبه الأمور التي يرتضيها الإسلام مما يحدث في المناسبات كالأعراس وغيرها فيقول : « ما يتخذه الناس من أساليب الخلاعة والازعاج في مناسبات الأعراس ، وحتى المحجبات يسفرن في هذه المناسبة والسير في الشوارع وقطع طرق المسلمين ، ومن قطع طريقهم فليس بمسلم . إضافة إلى إحياء الحفلات الغنائية ودعوة الفسقة إليها وتوزيع الخمر فيها وكل تلك الأمور محرمة »^(٢٥)

وحديثه عن الرياضة وحرمة الإسراف في الانشغال بها صورة أخرى من صور اهتمامه بقضايا المجتمع فيقول عنها : « وأفضل طريقة في الغرب هي إلهائهم عن الخوض في مشكلات مجتمعاتهم »^(٢٦) .

وكأنه ينبه المجتمع آنذاك بأن الوضع يتطلب منا اليقظة والحذر ، والتنبيه للواقع لا الانشغال عما يلهينا عن متابعة الأمور ، وهذا غاية ما تروم تحقيقه السلطة آنذاك ، وهذا التنبيه فضلاً عن كونه ينطوي تحت باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي عمل بها السيد الصدر آنذاك ، كان لوناً من ألوان التحدي للسلطة الحاكمة آنذاك فقد

« كان يخاطب الجماهير متحدياً سلطة الطاغوت بكل جرأة غير آبه بقوة صدام ولا جبروته ولا طغيانه . . . وكان هذا أعظم درس قدمه للأمة »^(٢٧) .

علاوة على ذلك أن الشهيد الصدر رحمته أدرك أن أبناء المجتمع آنذاك قد تكاسلوا عن الوصول إلى فكر المراجع آنذاك ، أو خافوا من ذلك ، لسطوة الحكم آنذاك . فحاول أن يصل إليهم هو بنفسه ، ويدخل إلى بيوت المجتمع ، ونفوسهم ، ليحقق الغاية المنشودة وهي بناء القاعدة الشعبية التي كان طالباً إياها . فقد « تطلب بناء القاعدة الشعبية تجاوز خطاب (الفقيه) المكتوب إلى خطاب الفقيه المسموع ، وإلى تنشيط الاتصالات مع الناس وإلى مواكبة همومهم وشؤونهم والعمل بفقهِه الواقع أو فقهِه الحياة بكل ما تلد من جديد مع مرور الزمن . فضلاً عن التواجد الميداني معهم »^(٢٨) .

واستطاع بتلك الخطوات ، وذلك الأسلوب أن يبني قاعدة رصينة ، إذ أصبح الشارع العراقي والبيت العراقي ، وكل الأوساط في ذلك الوقت تتحاور ، وتجادل ، وتتناقل كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالسيد الصدر رحمته من آرائه ، وفتاويه ، وأبحاثه وكتبه .

وقد ساعد على تحقيق هذا الموضوع الوكلاء الذين اعتمدتهم السيد الصدر رحمته الذين كان لهم منهج يختلف

أيضاً ، ومشروع رسالي جديد ، وهو جزء من المنظومة الإصلاحية التي تبناها السيد الصدر عليه السلام .

- إقامة صلاة الجمعة

كانت صلاحة الجمعة صرخة كبيرة أطلقها السيد الصدر عليه السلام ، وخطوة محفوفة بالمخاطر ، على أكثر من صعيد من أصعدة الفكر الاجتماعي والديني ، وهي أهم مرتكز من مرتكزات المشروع النهضوي للسيد الصدر عليه السلام فقد « كانت صلاة الجمعة واحدة من تجلياته ، أو ربّما أهم تجلياته ، ومحورها الأساسي ، إذ تحت كل ظروف العراق المعروفة استطاع الصدر أن يستنفر كل الممكنات لاتنزاع أرضية إزاحة النمط القديم بين المرجع والأمة وتأسيس نمط آخر لتحقيق التواصل والتفاعل والاندكاك في شؤون الأمة ، ومعرفة مشكلاتها وطموحاتها وتعقيدات أوضاعها الاجتماعية والفكرية والسياسية » ^(٢٩)

أمر السيد وكلائه في جميع محافظات العراق بإقامة صلاة الجمعة ، وبعد فترة من إقامة صلاة الجمعة من قبل وكلائه في أغلب مدن العراق قام هو بإقامتها في الكوفة . وكان الحضور يعد بعشرات الآلاف إن لم يكن بمئات الآلاف في الكثير من المناسبات .

وقد رام من تلك الصلاة تحقيق مجموعة من الأهداف

التي خطط لها إذ إنّ الهدف الأساسي لصلاة الجمعة بعد رضا الله تعالى هو أن تكون صلاة الجمعة حجر عثرة ضد الطغيان الإسرائيلي والصدّامي . يقول السيد الشهيد الصدر : « فيامكاننا مجابهة إسرائيل بنفسها بما يحصل فينا من تكاتف وتضامن وعزّة وحسن توفيق وعزّة بالحق ، وعزّة بأهل البيت ، وإطاعة الله وأهل البيت » ^(٣٠) .

فضلاً عن أنّ السيد الصدر أراد من تلك الصلاة أن تكون « جسراً تواصلياً بين المرجع والأمة من خلال لقاء دوري شمولي عام وليس لقاءً خاصاً شخصياً مع المرجع ، فقد لا يتسنى للكثير من الناس الذين لم تتح لهم الظروف الالتقاء بالمرجع . أو أنّهم لا يعرفون آليات الوصول إليه وبالتالي فهم يتواصلون معه عبر أدبيات فتواه فقط من دون أن يعيشوا تصوراتهم وجهاً لوجه ومن دون أن يعيش تصوراتهم بصورة مباشرة » ^(٣١) .

فإنّ صلاة الجمعة تعدّ استنفاراً أسبوعياً للشارع العراقي الذي لم يعتد من قبل اجتماعاً جماهيرياً يختزن التماسك الاجتماعي وشعور الفرد أنّه منتمي إلى شعب عريق وقوي يعبر عن مشاعره ويعزز ثقته بنفسه من خلال عملية تواصل وبناء فكري وتثقيف سياسي ^(٣٢)

والهدف الآخر الذي سعى إليه الشهيد الصدر عليه السلام من وراء صلاة الجمعة هو تعزيز حالة الانتماء الجماهيري

للمرجع وتمسكاً به ؛ لأنَّهم يتفاعلون معه عبر المشهد البصري ، والاستجابة السمعية لخطبه . « فهي وسيلة للوصول إلى المجتمع للارتقاء به إلى آفاق الإسلام الرحبة ، وسوقه إلى طاعة الباري وعبوديته ، وتحريره من كل قيود المعصية والرذيلة وإطاعة حكام الجور والطغيان »^(٣٣) .

ومن أهم أهداف صلاة الجمعة نشر الوعي الديني . إذ إنّ اللقاء الأسبوعي الذي ينعقد بوساطة تلك الصلاة يحقق أثراً إيجابية على الجانب الديني للفرد . إذ إنّّه يزوده بالأفكار الإسلامية ، ويطلعه على آخر المستجدات في واقعه الاجتماعي ، ويبث في نفسه معالم الدين الإسلامي وأخلاقه ، ويفقهه في دينه ، فضلاً عن معرفة ما هو مكلف به من قبل مرجعه وقائده الحقيقي ، ومرشده الروحي .

وهكذا فإنّ المداومة على صلاة الجمعة ، وسماع خطبة المرجع تمثّل مرتكزاً أساسياً لقيام الدين ، ونشره في المجتمع ، فضلاً عن بث الأفكار التي يريد المرجع إيصالها إلى قاعدته الجماهيرية . وغرسها في نفوسهم .

ومما أراداه السيد الشهيد الصدر عليه السلام من صلاة الجمعة هو تحقيق البعد الاجتماعي إذ إنّ التعاقب على الحضور لأداء هذه الصلاة يقوي الأواصر الاجتماعية ويجعل أبناء المجتمع وحدة واحدة يصعب على الأعداء كسر هذه

العصبة التي اجتمعت من أجل عبادة الواحد الخالق . إذ إنّها تربط بعضهم مع بعض ، وتحقق التلاحم بين المصلين ، وهذا ما لم يحققه محفل آخر .

لقد أراد السيد الشهيد الصدر عليه السلام من صلاة الجمعة أن تحقق بعداً تعبويّاً سياسياً ، فابتغى أن يتولد بوساطة هذه الصلاة لدى الجماهير احساس ثوري ضد القمع والطغيان ومصادرة الحريات . إذ « إنّ صلاة الجمعة ليست مناسبة سنوية أو شهرية . إنّما هي تقام أسبوعياً وهذه الإقامة الدورية المتقاربة لها تعطيها بعداً أكبر من تراكم الوعي السياسي لدلالاتها ، وبعبارة أخرى إنّها إجراء مفتوح ومتواصل إذا صحّ التعبير لضخّ وتراكم الدلالة السياسية في الوعي الجمعي للأمة . وهي إذن تفصيل متواصل ، وإحضار دائم للخطاب الإسلامي والوعي الإسلامي في الساحة ، ومن ثم ضخه لطاقة وزحم ما يتطلبه هذا الوعي العام من تفاصيل ومسار الصراع المحتدم ، ولذا فإنّها بهذه الصفة التكرارية الزمنية لها ستشكل محور المواجهة ، ومحور الإصرار على إقامتها دون غيرها من الأمور التي لا ترتقي لأهميتها ودورها »^(٣٤)

لقد أدرك السيد الشهيد الصدر عليه السلام إنّ العلاقة بين المرجع والأمة علاقة تكاد تكون منحسرة ، أو مقتصرة على ناس محددين ، فأتاحت صلاة الجمعة هذه الفرصة

لكلّ الناس إذ إنّ العلاقة بالمرجع كانت ضعيفة . إذ لا يعلم أكثرهم كيف يستطيع الوصول إلى المرجع . أو أسباب أخرى قد تكون سياسية تحول دون الوصول إلى لقاء المرجع ف « إنّ ظروفاً سياسية وغير سياسية قاهرة أدت إلى نمط من العلاقة المحدودة بين المرجعية والأمة لقد أدى هذا النمط إلى انحسار في التفاعل أو إلى غموض حول دور المرجع ووظائفه ومهامه ولاسيما في ساحة مثل الساحة العراقية كانت أسباب انعزال المرجعية في ظل قمع السلطة ومحاصرتها وبحثها عن ذرائع لإيذاء المرجعية الأمر الذي انعكس سلباً على دور المسيرة الإسلامية في حجبها ونفوذها »^(٣٥) .

وهكذا عُدَّت صلاة الجمعة منبر الأحرار ، ومصنع الأبطال ، ومحفل يلتقي فيه طلاب الحرية ، ممن أرادوا الوقوف بوجه الطغاة ، ومحاربتهم ، وبناء أنفسهم بمستوى يجعلهم مؤهلين للنهوض بواقعهم ، وتحقيق الأهداف المنشودة التي كان يروم تحقيقها قائدهم وإمامهم .

الانفتاح على طبقات المجتمع المتنوعة

إنّ من أهم السمات التي ميّزت المشروع الإصلاحى للسيد الشهيد الصدر رحمته الله انفتاحه على جميع أطياف المجتمع العراقي ، وهذا مصداق لفكرة أنّه قائد الجماهير

لا قائد فئة محددة . وهذا نابع من فكره الذي بُني على أساس أنّ تغيير الواقع الاجتماعي يتطلب تغيير المجتمع بأسره ، لا انحصار التغيير بمجموعة دون أخرى . فضلاً عن شعوره بأهمية التلاحم بين أطياف المجتمع العراقي ووحدتهم لتحقيق الهدف المنشود ، وتغيير الواقع المرير الذي كان يعيشه الشعب العراقي آنذاك . فقد « انفتح الشهيد الصدر الثاني على الأمة وبأوسع نطاق من خلال نشر وكلائه في مختلف المناطق فضلاً عن المحاكم الشرعية التي أنشأها في أغلب مدن العراق كما ذكرنا ورسالته العملية ومجموعة من الكتيبات التي تناولت مواضيع مختلفة وبعد هذا التركيز قام بتحركه الكبير في إقامة صلاة الجمعة ، وألزم بها الرجال جميعاً سواء كانوا مقلدين له أو غير مقلدين من مبدأ الولاية . »^(٣٦)

وقد مثّل هذا الانفتاح ركيزة أساسية من الركائز التي بني عليها مشروعه الإصلاحي و« كان هذا الانفتاح والخطاب يشكّل العمود في صياغة وتوجيه نظريته السياسية الوجه الصحيح »^(٣٧)

وكأنّه أراد تعميم مشروعه إذ « اعتمد الشهيد الصدر الثاني منهجاً تغييرياً يشمل جميع الشرائح الاجتماعية في المجتمع العراقي ، فلم يقتصر خطابه الجماهيري على أوساط الحوزيين أو المتدينين أو الحاضرين في صلاة

وتوجه إلى رؤساء العشائر قائلاً : « الآن توجه كلامنا إلى رؤساء العشائر ومشايخها خاصة وإلى أفراد العشائر عامة . لأنّ النظام الذي يمشي عليه هؤلاء هو نظام باطل وغير شرعي وغير مرضي لله عزّ وجل » ^(٤٢) .

وتجاوز في هذا الموضع حد النصح والإرشاد وتوجيه التعليمات إنّما « تحرك معهم ميدانياً . . . وحقّق انجازات ضخمة . . . لقد اجتمع بزعمائهم واتفق معهم لإلغاء السنيّة العشائريّة القائمة على أسس جاهلية ، ثم أنشأ صيغة وقعها مع الكثير من زعماء العشائر مبنية على سنيّة عشائريّة دينية طبقاً لأحكام الحوزة العلمية » ^(٤٣)

وشعر أنّ واجبه الشرعي يحتم عليه أن يلقي بالنصح والإرشاد إلى الموظفين على اختلاف مناصبهم الوظيفية ف « توجه إلى طبقة الموظفين والسياسيين فوجد منهم تجاوباً ليس على المستوى المطلوب ، ولكنّه استدرك وقال انه يعتقد أنّ تجاوبهم معه لا بدّ أن يكون واسعاً ولكن الضغط الاجتماعي هو الذي يمنع عن بيانه وإبرازه » ^(٤٤)

وكان من أولويات مشروعه الإصلاحية خلق الوحدة الإسلاميّة والتقريب بين المذاهب لذلك امتدت يده الطاهرة إلى أهل السنة ، وتوجه إليهم « وبين في كلمته بأنهم قد تجاوبوا معه تجاوباً واضحاً ومسرّاً ، والظاهر أنّه كان ينسق معهم ولم يكشف عن تفاصيل ذلك التنسيق

الجمعة - رغم تنوع انتماءاتهم الاجتماعية- بل استطاع بفهم عميق بمكونات مختلف الطبقات الاجتماعية ومتابعة دقيقة لنمط تفكيرها أن يخاطبها بالأسلوب الذي تفهمه ، بما يقربها من الاسلام وتعاليمه » ^(٣٨)

فلم يكن خطاب السيّد الشهيد الصدر رحمته الله مقتصرًا على فئة معينة بل إنّ توجهه في تحركه لكافة قطاعات المجتمع وكان في كثير من الأحيان يوجه خطبتي الجمعة لشريحة معينة من شرائح المجتمع ^(٣٩)

فبدأ بمخاطبة الحوزة الشريفة بكل تمفصلاتها إذ « أراد السيّد إصلاح الوسط الحوزوي قدر الإمكان كي يتحمل هذا الوسط مسؤوليته العظيمة وتأثيره في المجتمع . ولكي يتمكن من أداء رسالته يجب أن يتخلص من بعض الأعراف والتقاليد التي تشكل حاجزاً بين الحوزة وجماهير الأمة » ^(٤٠)

وخاطب السدنة وعدهم « مرجعاً دينياً لكن مرجعيته تختص في الصحن والحضرة ، وليست عامة لكل المجتمع . وهذا يعني التحلي بالكثير من الصفات التي يفتقدها السدنة ومن أهمها التفقه في الدين وبالفضل وبالفهم . ويحرم أن يكون الجاهل سادناً لأنّ السدانة مع المعصومين مسؤوليتها مباشرة ، وكذلك يتصرف بأموال المعصوميت وبسمعة المعصومين » ^(٤١)

ولكنّه قال أنّ العلاقة معهم (أنتجت أفضل النتائج) «^(٤٥)

وأثمر هذا التوجه في مسيرة السيّد الشهيد الصدر « فقد بنى علاقات مع أهل السنة ، أفراداً وأئمة جماعات ومساجد . وأصدر توصياته بانفتاح الأوساط الشيعية عليهم والتعاون معهم وحضور مساجدهم والصلاة خلفهم . فقد تمكن من بناء علاقات وثيقة مع أهل السنة بشكل جعلهم يأتون إلى مسجد الكوفة للمشاركة في صلاة الجمعة وكان يستقبلهم ويحييهم في خطبة الجمعة . «^(٤٦)

وإيماناً منه بشمولية مشروعه الإصلاحى خاطب المسيئين والطبقات التي تسمع يوماً نداء أحد لها فقد « توجه على هذا المنوال في خطبتين أخرتين إلى الغجر (الكاولية) متناولاً تاريخهم وعلاقتهم بالغجر في باقي أنحاء العالم ، ثمّ ذاكراً تصرفاتهم وطرق كسبهم للمال الحرام ، وأثر ذلك المال على واقعهم في الحياة الدنيا وآثاره في الآخرة »^(٤٧)

ولم يكن من في داخل العراق همه الوحيد فقد « سعى الشهيد الصدر الثاني إلى تقوية علاقته بالأمة خارج العراق رغم الحصار الدولي المفروض على العراق . وقد حيّا الجماهير العراقية في المهجر بقوله : « وحيّا الله العراقيين النازحين من بلادهم بغير حق إلا أن يقولوا ربّنا

الله . «^(٤٨)

وهذه الخطوات التي اختطها تشير إلى « أنّ تحرك الشهيد الصدر على هذا المنوال يعني أنّه كان سائراً في اتجاه قيادة كافة قطاعات الشعب العراقي وبالتالي تفريغ السلطة من قيادتها للشعب »^(٤٩).

وهذا ما كان يبغي تحقيقه ، والوصول إليه ، لإكمال مشروعه ، وتحقيق أهدافه المنشودة .

اعتماد الشباب في تصدير حركته الفكرية

تطلع السيّد الشهيد الصدر عليه السلام إلى الواقع المجتمعي العراقي ، وقدرّ الهم الذي يعيشه ، وحدد سبلاً لإخراجه من واقعه ، وكانت تلك السبل مبنية على وفق منظومة إصلاحية ، رام تحقيق قسم منها في الوقت القريب ، وآخر على المدى البعيد ، وأدرك صعوبة المهمة الملقاة على عاتق من يتكفل بالإسهام في تحقيق هذا المشروع الإصلاحي ؛ لذلك توجهت أنظاره إلى طبقة الشباب من المجتمع ، فقد عوّل عليهم وعقد عليهم الآمال . ليكونوا أداة لتصدير أفكاره ، وممارسة الأسس التي تبناها في المجتمع .

فقد اهتم الصدر الثاني كثيراً ببناء جهاز مرجعي متطور قادر على مواكبة أفكاره ونشاطاته ، وركز على تربيّة طلابه

السلطة على هذه الكوكبة من الشباب الرسالي بعد استشهاد السيّد الصدر فهجر من هجر واستشهد من استشهد إلا أنّهم لم يتهاونوا في نشر الأفكار التي آمنوا بها ودافعوا عنها دفاعاً كبيراً وهذا دليل على دقة الاختيار وسلامة الانتخاب لمن يحملون المنهج الرسالي للسيّد الشهيد الصدر عليه السلام.

الخاتمة :

لقد كان مشروع السيّد الشهيد الصدر مشروعاً إصلاحياً كبيراً ولد في ظروف مريّة فقد مثّل نقلة نوعية بحسب كلّ المعطيات ، وسيبقى رافداً لكلّ الأحرار الذين ينشدون الحرية والكرامة . وأهمّ ما ميّزه أنّه نتج عن دراسة واعية للواقع الاجتماعي العراقي فجاء ملائماً لذلك الواقع ، ولذلك الظرف ، فقد شخّص الواقع ، ووضع يده على الجروح التي ، واختار سبلاً ناجعة من شأنها أن تُبرأ ذلك المجتمع من أمراضه ، وتنجيه من محنه ، وتخرجه من الدهاليز التي كان قابلاً به .

وقد أثمر هذا المشروع وجنى ثماره من عاش مع السيّد الصدر عليه السلام ، وتعلّم منه ، واستفاد من فكره وتعاليمه ، فضلاً عن الذين اطلعوا على حياة السيّد الصدر عليه السلام وجعلوه نبزاً يقتدون به في حياتهم .

واختيار وكلائه بين الشباب الجامعي المثقف حيث إن الكثير من وكلائه من خريجي الجامعات . . . وكان أغلبهم من فئة الشباب الذين يشكّلون جزءاً حيويّاً من شروط التفاعل مع أجيال الأمة الجديدة لصناعة المستقبل ^(٥٠)

وكان السيّد الصدر يُعنى كثيراً بهذه الطبقة ، وقد أولى هذه الشريحة الاجتماعية اهتماماً عبر نقد مصادر الثقافة المنحرفة التي تسوغ للشباب الانحراف والانحلال الأخلاقي ^(٥١) يقول السيد : « لولا وجود الشباب المؤمن الواعي الذين يتصدون للذهاب إلى مناطق العشائر هدايتهم بين حين وآخر ، جزاهم الله خير جزاء المحسنين » ^(٥٢).

وقد أحسن الاختيار حقاً ، فقد كان انتقاؤه لهذه الطبقة اجراءً بدت حسناته في حياة السيّد الصدر عليه السلام ، بما حققه من انجازات في وقت قياسي بدت ملامحه على الشارع العراقي الذي تفاعل مع مشروع السيّد الصدر عليه السلام ، وتأثر به . فضلاً عن أنّ « الأحداث بعد استشهاد الصدر الثاني أثبتت أن البناء الهيكلي لمؤسسة المرجعية ومؤسسة الوكلاء بالخصوص للسيّد الشهيد كان بناءً متماسكاً وواعياً لمسؤولياتها وتعكس مدى اهتمام السيّد بهذه المؤسسة من خلال اختياره وتربيته لوكلائه في مثل هذه الظروف القاسية » ^(٥٣)

على الرغم من كلّ الضغوطات التي مُرست من قبل

دماؤهم بإعلاء كلمة الحق ، والحفاظ على بيضة الإسلام .

وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وحرري بنا وبقاتنا أن لا نغفل عن كل القيم التي أشاعها السيّد الصدر رحمته الله وحاول غرسها في نفوس أبناء المجتمع .

فسلام عليه ، وعلى كلّ الشهداء الذين أسهمتم

روافد البحث :

- أين نحن من الصدر وصلاة الجمعة : عبد الجليل الندوي ، إصدارات مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر رحمته الله ، دار القارئ ، الطبعة الأولى ، بيروت - لبنان ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

- تاريخ الغيبة الصغرى : محمد الصدر ، دار التعارف ، الطبعة الأولى ، (د . م) ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- خطب الجمعة : السيد الشهيد محمد الصدر رحمته الله .

- شذرات من الأفكار والممارسات الحديثة للمرجع الشهيد محمد الصدر رحمته الله : سعيد العذاري ، مركز الشهيدان الصدرين

للدراست والبحوث ، قم المقدّسة ، (د . ت) .

- الشهيد الصدر الثاني رجل الانتفاضة الشعبانيّة : أثر نجاح حسن ، مركز الشهيدان الصدرين للدراست والبحوث ، الطبعة

الهوامش :

[١] الشهيد الصدر الثاني رجل الانتفاضة : ٥٤ .

[٢] ينظر : السيّد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (العلاقة بين الفقيه والمجتمع) ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراساته في فكره وجهاده) ، ٢٩٠ .

[٣] المصدر نفسه : ٢٧٥ .

[٤] المصدر نفسه : ٢٩٧ ،

[٥] المرجعيّة الدينيّة من الذات إلى المؤسسة ، ٢٩٩ .

[٦] الشهيد الصدر الثاني رجل الانتفاضة الشعبانيّة ، ٤٦ .

[٧] ينظر : محمد الصدر (دراسة في خطابه الفقهي والاجتماعي)

ضمن كتاب (محمد الصدر ثورة الكلمة في زمن الصمت) ،

الصدر عليه السلام ، ضمن كتاب (محمد الصدر ثورة الكلمة في زمن

الصمت ، ١٥٢ .

[٢٠] المصدر نفسه ، ١٥٢ .

[٢١] إمام جمعة الكوفة ودجال بغداد ، ضمن كتاب (الصدر الثاني

دراسات في فكره وجهاده) ، ١٧٣ .

[٢٢] شذرات من الأفكار والممارسات الحديثة للمرجع الشهيد محمد

الصدر عليه السلام ، ١٤ .

[٢٣] الإصلاح الاجتماعي في فكر السيد الشهيد محمد محمد صادق

الصدر عليه السلام ، ضمن كتاب محمد الصدر ثورة الكلمة في زمن

الصمت ، ١٥٥ .

[٢٤] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء

سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره

وجهاده) ، ١٦٥ .

[٢٥] خطبة الجمعة رقم ٢٢ .

[٢٦] خطبة الجمعة رقم ١٣ .

[٢٧] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء

سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره

وجهاده) ، ١٦٦ .

[٢٨] محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ، ٣٠٠ . (بتصرف) .

[٢٩] محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ، ١٤٩ - ١٥٠ .

[٣٠] خطبة الجمعة رقم ٢٠ .

[٣١] محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ، ١٤٨ .

[٣٢] ينظر : المصدر نفسه ، ١٤٨ .

[٣٣] أين نحن من الصدر وصلاة الجمعة ، ١٩٧ .

[٣٤] أين نحن من الصدر وصلاة الجمعة ، ١٤٤ - ١٤٥ .

١٥١ .

[٨] السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر العلاقة بين الفقيه

والمجتمع ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره

وجهاده) ، ٢٧٣ .

[٩] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن

العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره

وجهاده) ، ١٦٠ .

[١٠] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء

سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره

وجهاده) ، ١٦٢ .

[١١] القيادة في نهج الأنبياء ، ١٣٧ .

[١٢] محمد محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ، ١٣٣ .

[١٣] التوعية الجماهيرية عند السيد الشهيد الصدر الثاني عليه السلام ، ضمن

كتاب (الصدر الثاني . . دراسات في فكره وجهاده) ، ٣٨١ .

[١٤] نظرية العمل السياسي عند السيّد الشهيد محمد الصدر ، ضمن

كتاب (الصدر الثاني . . دراسات في فكره وجهاده) ، ٢١٠ .

[١٥] تاريخ الغيبة الصغرى ، ٢١٨ .

[١٦] نظرية العمل السياسي عند السيّد الشهيد محمد الصدر ، ضمن

كتاب (الصدر الثاني . . دراسات في فكره وجهاده) ، ٢٥٢ .

[١٧] الشهيد محمد الصدر القيادة الاستثنائية في تاريخ العراق المعاصر

٨٨ - ٨٩ .

[١٨] السيّد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (العلاقة بين الفقيه

والمجتمع) ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره

وجهاده) ، ٢٩٤ .

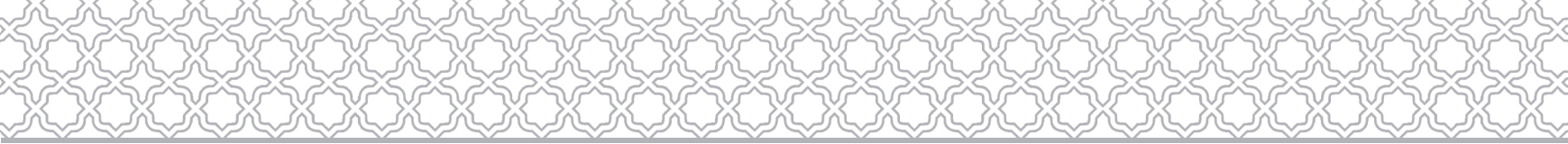
[١٩] الإصلاح الاجتماعي في فكر السيد الشهيد محمد محمد صادق

- [٣٥] المصدر نفسه ، ١٤٨ .
- [٣٦] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ١٦٠ .
- [٣٧] الشهيد محمد الصدر القيادة الاستثنائية في تاريخ العراق المعاصر ، ٤٨ .
- [٣٨] آلية العلاقة بين المرجع والأمة ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ٣٣٩ .
- [٣٩] ينظر : مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ١٦٢ .
- [٤٠] آلية العلاقة بين المرجع والأمة ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ٣٣٩ .
- [٤١] آلية العلاقة بين المرجع والأمة ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ٣٤٢ .
- [٤٢] خطبة الجمعة رقم (٢١) .
- [٤٣] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ١٦٣ .
- [٤٤] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ٣٨٣ .
- وجهاده) ، ١٦٥ ، وينظر : خطبة الجمعة رقم (٤٥) .
- [٤٥] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ١٦٥ .
- [٤٦] آلية العلاقة بين المرجع والأمة ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ٣٥٦ .
- [٤٧] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ١٦٤ .
- [٤٨] محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ٣٦٨ .
- [٤٩] مرجعية السيّد الشهيد محمد الصدر هدم ركام التقليد وإحياء سنن العصر ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ١٦٤ .
- [٥٠] ينظر : محمد صادق الصدر مرجعية الميدان ١٦٠ ، وآلية العلاقة بين المرجع والأمة ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ٣٢٨ .
- [٥١] آلية العلاقة بين المرجع والأمة ، ضمن كتاب (الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده) ، ٣٤٣ .
- [٥٢] خطبة الجمعة رقم ٢١ .
- [٥٣] التوعية الجماهيرية عند السيد الشهيد الصدر الثاني رحمته الله ، ضمن كتاب (الصدر الثاني . . دراسات في فكره وجهاده) ، ٣٨٣ .

دَوْرُ الْفَرْدِ
فِي الْاِقْتِصَادِ الْاِسْلَامِيِّ
فِي فِكْرِ الشَّهِيدِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بَاقِرِ الْحَكِيمِ

❖ الأستاذ محمد جابر كاظم (*)

(*) أكاديمي تربوي من العراق.



للفرد دور بالغ الاهمية في الاقتصاد الاسلامي ، فهو قوام هذا الاقتصاد فدوره يشغل مساحة واسعة من التحرك باتجاه بناء اقتصاد نام سليم .

ويرى الشهيد الحكيم عليه السلام ان البحث عن مسؤولية الفرد في النظرية الاسلامية للاقتصاد ينقسم الى ثلاثة اقسام اساسية تمثل المذهب الاقتصادي الاسلامي وهي :

اولا : مسؤولية الفرد في الانتاج والتنمية

ثانيا : مسؤولية الفرد في التوزيع وتحقيق العدالة الاجتماعية

ثالثا : مسؤولية الفرد في التبادل التجاري

وبهذه النقاط الثلاثة يحدد الشهيد الحكيم عليه السلام معالم المذهب الاقتصادي الاسلامي .

ويعبر الاقتصاد الاسلامي للفرد اهمية بالغة في الانتاج والتنمية ، كما ان للفرد دور اساسي للتأثير

على التوزيع وتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال الضمان الاجتماعي والتوازن الاجتماعي ، وذلك لان هنالك معنى في غاية الاهمية وهو ان الاسلام يستهدف من وراء بناء اقتصاده الفرد كموضوع اساسي وكغاية يكون الانتاج والعمل والتنمية والتوزيع والتبادل التجاري لها وسيلة .

والانسان وهو خليفة الله في الارض قد خُول بالتصرف بخيراتها من معادن وشجر وحيوان على ان يكون ذلك التصرف وفق اوامر ونواهي المخول وهو الله سبحانه ، فالنظرية الاسلامية للملكية تتلخص بما يلي :

١- ان كل ما موجود في الكون فهو ملك لله سبحانه فهو الخالق والبارئ من غير مثال سابق وهو المنعم والمتفضل على عباده . قال تعالى : ﴿لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ...﴾ .

٢- ان الله سبحانه وتعالى قد خول عباده للتصرف في

الخيرات وكل ما موجود . قال تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِقِينَ فِيهِ ﴾ الحديد/ ٧ (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (يونس / ١٤)

٣- بما ان الانسان ليس مالكا حقيقيا للاشياء بل هو يقتنيها ويتصرف بها على نحو الاصلاح بحكم الاستخلاف والتحويل من قبل المالك الحقيقي ، لذا لا يجوز له التصرف كمالك حقيقي بل يتصرف على نحو الاعتبار ، والنتيجة لا يجوز للانسان ان يتصرف على خلاف ما يراه المالك الحقيقي وجوبا وحرمة .

وعن اسباب الملكية في النظرية الاسلامية فهي غير مطلقة ايضا بل منوطة برضا الخالق والواهب (المستخلف) بالكسر ، فلا يمكن ان يملك الفرد دون قيود الشريعة المقدسة .

وعن اسباب الملكية في الاسلام :

اولا : العمل وهو اساس الملكية

ثانيا : البيع : فمع استيفاء الشرائط اي شرائط المتبايعين وشرائط العين المباعة يصبح الفرد المشتري مالكا للعين (المثلن) والبائع مالكا (للمثلن) .

ثالثا : الهبة : اذا كانت ذات معاملة صحيحة .

رابعا : الوراثة : حسب ما تقتضيه قوانينها

النظرية الاسلامية للملكية

ان مفهوم الملكية من وجهة نظر الاسلام يأخذ معنى لا يتحدد بالملكية الخاصة ، وانما هو أعم من ذلك . وهنا سأشير الى ما ذكره السيد الشهيد محمد باقر الصدر في تعريف الملكة وهي : -

١- الملكة العامة : (هي ملكية للمال تعود الى الدولة بوصفها المنصب الالهي في الامة ، او الى الامة الاسلامية)^(١)

٢- ملكية الدولة : هي ملكية النبي ﷺ او الامام عليه السلام باعتباره منصبا (إلهيا) وينوب عنهما الحاكم الشرعي الذي يتمتع بصلاحياتهما القيادية شرعا)^(٢)

٣- ملكية الامة : (هي كل ملكية للمال تعود الى الامة الاسلامية بوصفها امة وعلى امتدادها التاريخي)^(٣)

٤- الملكية الخاصة : (هي كل ملكية للمال تعود الى فرد او مصلحة خاصة ويصبح المالك بموجبها غير مسؤول عن دفع تعويض الى الامة

والدولة في مقابل منفعة ذلك المال ^(٤) .

ان اسباب الملكية في النظرية الاسلامية غير مطلقة بل منوطة برضا الخالق والواهب (المستخلف) بالكسر ، فلا يمكن ان يمتلك الفرد دون قيود الشريعة المقدسة ، ومن اسباب الملكية في الاسلام : -

أ - العمل وهو اساس الملكية

ب - البيع : فمع استيفاء شرائطه اي شرائط المتبايعين وشرائط العين المباعة يصبح الفرد المشتري مالكا للعين (المثلن) والبائع مالكا (للثلن) .

ج - الوراثة : حسب ما تقتضيه قوانينها

د - الهبة : اذا كانت ذات معاملة صحيحة

وهناك اسباب اخرى لا يسع المقام لذكرها

المبحث الأول

مسؤولية الفرد في الانتاج والتنمية

ينقسم هذا المبحث الى ثلاثة اقسام رئيسية وهي :

سبيل الله ^(٥) والعمل عبادة والعامل للقوت افضل من العابد ، وقد رفع الرسول ﷺ يد عامل مكدود فقبلها ، وقال : (طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة) ^(٦) .

القسم الأول : دور الفرد في عملية الانتاج والتنمية

(وللفرد دور في استثمار الثروات الطبيعية سواء عن طريق احياء الارض البائرة ، وحفر الابار وغرس البذور او بحيازة المباحات كاستخراج المعادن ، وتطوير المواد الأولية واخراجها) ^(٧) .

ويرى الشهيد الحكيم ان مثل هذه الثروات الطبيعية اما انها مملوكة بالملكية العامة ، كالانفال او من المباحات العامة كالمياه والاسماك والطيور وغيرها وهي بذلك تتصف في اصلها بالملكية الخاصة .

يعبر الاقتصاد الاسلامي للفرد اهمية بالغة في عملية الانتاج والتنمية ، وحث الاسلام على العمل باعتباره اساس الملكية الخاصة ، وهذا العمل مرتبط بالانتاج وهو يعبر عن كرامة الانسان ، والعمل المثمر لا تقل اهميته في الاسلام عن الجهاد في سبيل الله ، وفي بعض الاحاديث بينت ان العامل له اجر يفوق اجر المجاهد . فقد روي عن الامام الرضا عليه السلام انه قال : (الذي يطلب من فضل الله ما يكف به عياله أعظم اجرا من المجاهد في

ان الشريعة المقدسة وقفت ضد فكرة تعطيل بعض الثروات الطبيعية قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَئِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرَ هُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(٨) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾^(٩)

وأكد الاسلام على الملكية الخاصة واعتبر ان العمل الانتاجي هو سبب هذه الملكية ، سواء عن طريق استثمار الثروات الطبيعية او عن طريق عمارة الارض او عن طريق الثروة المنتجة ، وبالتالي يؤدي هذا العمل الى التملك وحق التصرف ، ويبدو منه واضحاً دور الفرد في عملية الانتاج والتنمية لان العمل هو انتاج الفرد الانساني بشكل خاص .

وقد فضل الاسلام الانفاق الانتاجي على الانفاق الاستهلاكي ، فقد جاءت نصوص تنهي عن بيع العقار والدار وتبذير الثمن في الاستهلاك^(١٠)

بما ان الاسلام اعطى الحق للانسان بالتملك وحق التصرف في استثمار الثروات واعمار الارض ، فهو الاذن في استثمار هذه الثروات في مختلف مجالات الاستثمار ، سواء في الاستثمار الزراعي او الكثير وغيرها ، ليبين ان للفرد دور اساسي في عملية الانتاج والتنمية للثروة

المنتجة واستغلالها استغلالاً صحيحاً .

ان الشريعة المقدسة تعطي للعمل اهمية لما للعمل من قيم معنوية واخلاقية والدور المهم في تكامل الانسان ليرضى بالمجتمع وتحقيق الرفاه الاقتصادي والسعادة للأفراد في معيشتهم ، وهذا العمل متمثل بالمسؤولية الاساسية التي يقوم بها الفرد في الانتاج والتنمية ، وهذا ما اكد عليه الشهيد الحكيم (ع) (للعمل اهمية في الاعلام وقيمه المعنوية والاخلاقية ودوره في الشامل الانساني)^(١١)

القسم الثاني : دور الفرد في سياسات الانتاج

بين الاسلام ان للفرد دور رئيسي لا يقل عن دور الدولة وولي الامر ، وهذا الدور للفرد يسعى لتحقيق التنمية وزيادة الانتاج ، لذلك وضع الاسلام مجموعة من الاجراءات الشرعية التي تمثل المعالم الاساسية السياسية الاسلامية .

(فيرى الشهيد الحكيم ان هنالك عشرين خط من خطوط السياسة العامة التي وضعها الاسلام للتنمية والانتاج في المجتمع الاسلامي ويتحمل الافراد مسؤولية عشرة خطوط منها بشكل مباشر)^(١٢) :

١- تنتزع الارض من الافراد في حال تعطيلها وعدم

استثمارها . ٩- منع الاسلام القادرين على العمل من الاستفادة من

قوانين الضمان

١٠- اوجب الاسلام على المسلمين تعلم جميع الفنون

والصناعات على نحو الكفاية لديمومة عملية الانتاج واثارها
وادامتها .

القسم الثالث : دور الفرد في تحقيق الهدف من الانتاج

ان الهدف الرئيسي للفرد في تحقيق الانتاج هو
الحصول على الثروة ولكي يتضح لنا هذا الهدف لا بد من
التعرف على نوعين من الاحاديث في الشريعة الاسلامية
على وجهة نظر الاسلام في الثروة : -

١- وردت في النصوص العديدة في الحث على اهمية
قيمة الثروة للانسان ودورها في حياته .

وقبل التعرف على نصوص النوع الاول لا بد من معرفة
ان هذه النصوص قد تبدو لأول وهلة تناقضا في معطياتها
الفكرية عن الثروة ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ (نعم
العون على تقوى الله النفس)^(١٣)

وعن الامام الصادق عليه السلام : (إن نعم العون على
الآخرة الدنيا)

٢- يحرم الكسب بلا عمل كالايجار بمقدار ثم التأجير
بمقدار اكبر .

٣- تحريم الفائدة الربوية ليتسنى لرأس المال بالانتاج
في المجتمع بالشكل الطبيعي لا بالزيادة الربوية .

٤- منع الاسلام من اكتناز الذهب والفضة والنقود عن
طريق فرض ضريبة على المكتنز من النقود والذهب
والفضة واستطاع الاسلام بتحريمه هذا ان يتخلص من
المشاكل الرأسمالية الناشئة من شذوذ الدور الرأسمالي
للنقد .

٥- تحريم اللهو والفجور فقد جاء في الاحاديث النهي
عما يلهو عن ذكر الله ، لانه يؤدي الى تمييع شخصية
الانسان وعزلها عن الانتاج .

٦- تقليص المناورات التجارية غير المنتجة .

٧- منح الاسلام الملكية بعد موت المالك للأقرباء وهو
الجانب الايجابي للارشاد ، حيث يحفز الانسان على
العمل .

٨- وضع الاسلام قوانين الضمان الاجتماعي حيث يولد
لدى الفرد الاحساس بقسط كبير من المسؤولية ويدفعه
للإبداع وتطوير الانتاج .

ويتضح من هذه النصوص انها تحت على الزهد في الدنيا وعدم الثروة وهذا التناقض بين النوعين من الاحاديث يمكن حله ، فالثروة سلاح ذو حدين فهي من وجهة نعم العون على الآخرة وهي رأس كل خطيئة من وجهة نظر اخرى .

والانسان يسعى من وراء الحصول على الثروة لتحقيق حاجاته والوفاء والتكامل للوصول الى العدل الالهي واصبحت نعم العون للعبد على الآخرة .

وعن الامام الباقر عليه السلام : (إن نعم العون الدنيا على طلب الآخرة)^(١٤)

ويبدو من النصوص الشريفة ان الاسلام يحث على الغنى وزيادة الثروة والترغيب عليها .

٢- فقد وردت مجموعة من النصوص تحت على الزهد وعدم الثروة والانتاج ، ورد عن رسول الله ﷺ : (من احب دنياه أخر آخرته)^(١٥) ، وعن الصادق عليه السلام : (رأس كل خطيئة حب الدنيا)^(١٦) وعن امير المؤمنين عليه السلام : (إن من أعوذ الاخلاق على الدنيا الزهد في الدنيا .

المبحث الثاني

مسؤولية الفرد في التوزيع وتحقيق العدالة الاجتماعية

دوره اساسياً ، لانه هو الذي يخلق العمل ويكون العمل اساس للتوزيع ، وكلما زاد جهد الانسان وعمله كلما كانت نتائج التوزيع منسجمة مع وتيرة العمل ^(١٧)

ان عمليات الانتاج التي يمارسها الفرد تعتبر مرحلة تطبيق للقواعد العامة للتوزيع ، فإحياء الارض الميتة ، واستنباط عين الماء واستخراج المعادن ، كلها عمليات انتاج ، وهي في نفس الوقت تؤدي الى تطبيق القواعد العامة للتوزيع على الثروات المنتجة ، فمجال الانتاج اذن هو ظرف لتطبيق قواعد التوزيع ^(١٨) وتنشأ المذهبية وترجع الى تطبيق الموجه ، وتتمثل هذه الصلة في سلطة ولي الامر في التدخل للمدمن تطبيق القاعدة تطبيقاً

ويقسم هذا المبحث الى ثلاثة اقسام اساسية وهي :

القسم الاول : دور الفرد في الصلة بين الانتاج والتوزيع

ان الاسلام يعتبر الفرد مكوناً للمجتمع ، وليس هناك انفصالا بين الفرد والمجتمع ، فقد وضع لكل منهما حقوقه التي هي شرط إسعاده ، وعلى هذا لم يحرم الاسلام الفرد من نتائج عمله ، ويعتبر الانتاج احد الاسس الرئيسية في التوزيع .

(وهنا نجد ان الفرد في هذا البعد من التوزيع يصبح

يتنامى مع العدالة .

فنمو الانتاج قد يفرض التدخل في الانتاج والتحديد في تطبيق قواعد التوزيع دون ان يمس جوهرها ، فمبدأ (تدخل الدولة) هو المبدأ الذي اثبت لقواعد التوزيع مرونة جعلته يلائم كل الظروف^(١٩)

القسم الثاني : دور الفرد في الضمان الاجتماعي

ان للفرد دور اساسي في التوزيع بمجال الضمان الاجتماعي للأفراد العاجزين عن العمل ، أو الذين لم يتوفر لهم فرص العمل ، او الذين لم تصل بهم نتائج عملهم الى الحد المعقول من المستوى المعيشي للجماعة التي يعيش الفرد في كنفها . فان مثل هؤلاء الافراد تبنى المذهب الاقتصادي في الاسلام ضمان معيشتهم . من خلال اربعة ضوابط وهي :

١- الضرائب الثابتة التي وضعها الاسلام على الاموال ، كالخمس والزكاة التي تصرف على الفقراء والمساكين وابن السبيل وغيرهم من المحتاجين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢٠) .

(وقد انعكس اهتمام الاسلام بهذا الركن الرئيسي من

اقتصاده في أول خطاب ألقاه النبي ﷺ وفي أول عمل سياسي باشره في دولته الجديدة فقد حث المسلمين على الانفاق ولو بشق تمرة ومن لم يجد فبكلمة طيبة ثم أخص بين المهاجرين والانصار فطبق مبدأ التكافل العام تحقيقاً للعدالة الاسلامية المتوخاة^(٢١)) .

٢- الضريبة المفروضة على الافراد الميسورين في المجتمع الاسلامي بكفالة الفقراء من اخوانهم الذين يعيشون في دائرتهم بصورة مباشرة اذا لم تسمح لهم الظروف للدولة الاسلامية او لم تسمح ظروف المجتمع الاسلامي ضمانتهم بطريقة اخرى ، حيث ورد التأكيد على ذلك في مجموعة من الروايات ، منها : -

عن سماعة قال : (سألت ابا عبد الله ، قلت : قوم عندهم فضل وبإخوانهم حاجة شديدة وليس يسعهم الزكاة ، أيسعهم ان يشبعوا ويجوع اخوانهم ؟ فان الزمان شديد ، فقال : ان المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحرمه ، فيحق على المسلمين الاجتهاد والتواصل والتعاون عليه والمواساة لأهل الحاجة . . .)^(٢٢)

وفي حديث آخر : (أيما مؤمن منع مؤمناً مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه من عنده او من عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه مغולה يداه الى عنقه فيقال : هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به الى النار)^(٢٣)

القسم الثالث : دور الفرد في التوازن الاجتماعي

إن للفرد دور بالغ الأهمية في تحقيق التوازن الاجتماعي وبدوره سوف يقضي على الطبقة في المجتمع والفوارق بين الافراد ويعالج الاسلام هذه الفوارق في المجتمع والطبقة من خلال النقاط التالية : -

أولاً : توفير حد ادنى من اليسر والرفاه لكل افراد المجتمع ، وذلك بالارتفاع بمستويات المعيشة المنخفضة الى ذلك الحد .

والثاني : التحديد من الانفاق والمنع من تجاوز مستوى المعيشة بصورة حادة المستوى المعقول للرفاه الذي يمكن توفيره في المجتمع وفقاً للقاعدة . وبهذين الامرين يتحقق التوازن الاجتماعي مستوى المعيشة .

ثالثاً : الحيلولة دون احتكار الثروة وتكوين الاموال في ايدي طبقة خاصة ، والسعي من اجل توفير إمكانيات العمل وفرص الانتاج للجمع^(٢٦) .

(ان المذهب الاسلامي ينظر الى الحاجة بجهاز (التوزيع) هي البلمس الشافي للمجتمع ، فيقوم جهاز التوزيع ان لم يكن (العمل) هي البلمس للعامل سد حاجاته التي تلحقه بالمستوى العام الذي يعيشه المجتمع ، او في فرض لم يكن له مواهب وطاقات قابلة للعمل لذوي العاهات والمعلولين)^(٢٤) .

وعلى هذه الفلسفة المتقدمة من جعل (الحرية) هي المحور للاقتصاد الرأسمالي جعل (التوزيع) مربوطاً بـ (الثمن) الذي يعني (ان من لا يملك ثمن السلعة ليس له حق في العيش والحياة ، وبذلك يقضي بالموت والحرمان على من كان عاجزاً عن اكتساب هذا الثمن لعدم قدرته على المساهمة في انتاج السلع والخدمات ، او لعدم تهيؤ فرصة للمساهمة)^(٢٥)

٤- الاموال التي يضمها بيت المال من الخراج او الاموال العامة كالانفال وغيرها والتي يجب على الامام ان يؤمن من خلالها المستوى المناسب من المعيشة للافراد الفقراء .

المبحث الثالث

دور الفرد في التبادل التجاري

المقايضة ، كما وضع الاسلام قيودا على تبادل المال كذلك وضع قيودا على الانفاق لاشباع الحاجات ، وذلك بتحريم الاسراف وتحريم التبذير^(٢٧) .

عن امير المؤمنين عليه السلام قال : (اتجروا بارك الله لكم ، فاني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : الرزق عشرة اجزاء تسعة اجزاء في التجارة وواحدة في غيرها)^(٢٨)

كما انها في بعض الاحاديث اعتبرت سببا للعز والشرف : (قال ابو عبد الله عليه السلام لمولى له : غدوك الى سوقك وإكرامك نفسك)^(٢٩)

وقد ورد في القرآن الكريم الاهتمام بها وتفضيلها على الربح الربوي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم

ان التبادل التجاري يعتبر من اهم الاعمال الاقتصادية وقد اعارها الاسلام اهمية خاصة بحيث ، اعتبر الزق كما ورد في بعض الروايات على عشرة اجزاء ، تسعة في التجارة .

وقد اتخذت المبادلة في المرحلة الاولى شكل المقايضة ، فكان المنتج لنوع من السلعة يقدم ما يزيد على حاجته من تلك السلعة لمن يحتاجها ويحصل منه على ما يحتاجه من السلع الاخرى التي ينتجها الفرد الاخر ، فكل من الطرفين في عقد مقايضة كان منتجا من ناحية ومستهلكا من ناحية اخرى ، أي ان الانتاج كان يوازيه استهلاك مماثل .

اما المرحلة الثانية فاتخذت استهلاك المال بدلا عن

بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ... ﴿٣٠﴾

نتائج البحث

١- ان العمل اساس الملكية ومفتاح السعادة البشرية يظهر ذلك جليا في سيرة الانبياء والائمة عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة والمصادر التاريخية الاخرى .

٢- ان الانسان ليس مالكا حقيقيا للاشياء ، بل هو يقتنيها ويتصرف بها على الاصلاح بحكم الاستخلاف والتخويل من قبل المالك الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى .

٣- ان للفرد دور اساسي وبالعالم الاهمية في الاقتصاد الاسلامي ، وذلك لان هنالك معنى في غاية الاهمية وهو ان الاسلام يستهدف من وراء بناء اقتصاده الفرد كموضوع اساسي وكفاية يكون الانتاج والعمل والتوزيع والتبادل التجاري لها وسيلة .

ويرى الشهيد الحكيم ان الفرد هو الذي يتحمل المسؤولية الاساسية في العملية التبادلية ، خصوصا اذا لاحظنا احكام القبض وشروط التعاقد وغيرهما يبدو فيها العنصر الفردي الانساني واضحا .

كما ان احكام المنع من الاحتكار وتوصيات امير المؤمنين عليه السلام بطبقة التجار تؤشر على هذه المسؤولية .

كما يرى الشهيد الحكيم رحمته الله ان الفرد الانساني هو المحور الاصيل في الخلافة الربانية ، وهو موضوع المسؤولية في هذه الحياة وفي الدار الآخرة وهو محط الامانة الربانية التي عرضها على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان . كما ان الفرد الانساني هو الذي يملك الطاقات والامكانات الهائلة التي زوده الله بها . ويصبح من الطبيعي حينئذ ان يتحمل الانسان الثقل الاكبر من المسؤولية في العمليات الاقتصادية .

مصادر البحث

- ٤- الاسلام يقود الحياة ، محمد باقر الصدر ، الناشر مجمع الثقلين العلمي ، ١٤٢٨-٢٠٠٧ م .
- ٥- المشكلة الاقتصادية بين المذاهب الوضعية والاسلام ، حسن علي الرازي ، دار المفيد للطباعة والنشر بيروت - لبنان ، ٢٠١٠ .

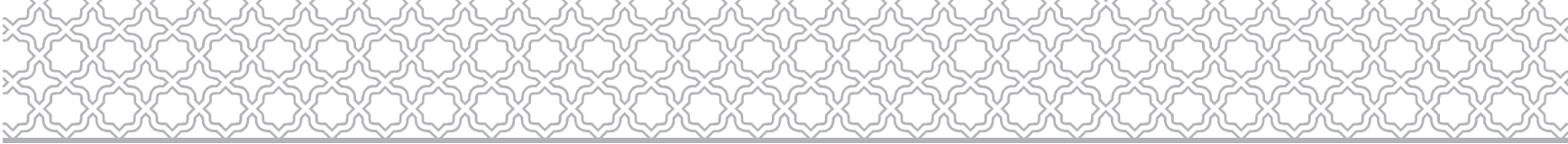
- ١- القرآن الكريم
- ٢- دور الفرد في الاقتصاد الاسلامي ، محمد باقر الحكيم .
- ٣- اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) .

- كتاب وسائل الشيعة/ ج ١٢، ص ٤٣
- ١٠- دور الفرد في الاقتصاد الاسلامي، محمد باقر الحكيم، نقلا عن كتاب الكافي، ٥: باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة، ٢: باب حب الدنيا والمحرص عليها، ٤: باب البخل والشح، ٥: ٣١٩/ ح ٥٩.
- ١١- دور الفرد في الاقتصاد الاسلامي، محمد باقر الحكيم، نقلا عن كتاب تهذيب الاحكام/ ٧/ باب فضل التجارة.

- ٦- المخطوط الاساسية للاقتصاد الاسلامي، مكارم شيرازي، الطبعة الاولى، مطبعة امير المؤمنين (عليه السلام) - قم، ١٤٢٥هـ.
- ٧- الاقتصاد مناهج في دروس، محمد علي التسخيري، منشورات دار الثققلين - بيروت/ لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٨- دور الفرد في الاقتصاد الاسلامي، محمد باقر الحكيم، نقلا عن كتاب بحار الانوار/ ١٠٠: ٩، ٧٠: باب حب الدنيا وذمها.
- ٩- الاقتصاد مناهج في دروس، محمد علي التسخيري، نقلا عن

الهوامش:

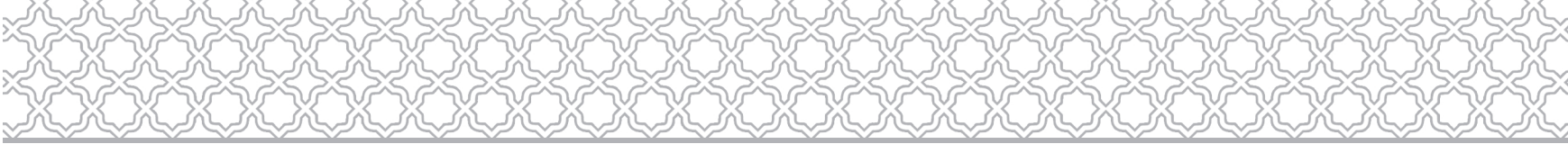
- [١] الاسلام يقود الحياة، قسم ٣، ص ٢٢، محمد باقر الصدر (عليه السلام)
- [٢] المصدر نفسه
- [٣] المصدر نفسه
- [٤] المصدر نفسه
- [٥] وسائل الشيعة/ ج ١٢، ص ٤٣
- [٦] بحار الانوار/ ج ١٠٠، ص ٩
- [٧] المخطوط الاساسية للاقتصاد الاسلامي
- [٨] المائدة/ ١٠٣
- [٩] الملك / ١٥
- [١٠] الاقتصاد مناهج في دروس / محمد علي التسخيري، ص ٣١٢
- [١١] دور الفرد في الاقتصاد الاسلامي / الشهيد الحكيم، ص ٣١
- [١٢] دور الفرد في الاقتصاد الاسلامي: الشهيد الحكيم (عليه السلام) ص ٣٤
- [١٣] الكافي/ ٥/ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة
- [١٤] المصدر نفسه
- [١٥] بحار الانوار: ٧٠: باب حب الدنيا وذمها
- [١٦] الكافي/ ٢/ باب حب الدنيا والمحرص عليها
- [١٧] دور الفرد في الاقتصاد الاسلامي/ ص ٤٥
- [١٨] اقتصادنا/ ص ٦٤٠
- [١٩] الاقتصاد مناهج في دروس ص ٣٢١
- [٢٠] التوبة/ ص ٦٠
- [٢١] محمد علي التسخيري/ الاقتصاد مناهج في دروس ص ٢٠٨
- [٢٢] الكافي/ ٤/ باب البخل والشح
- [٢٣] المصدر السابق
- [٢٤] المشكلة الاقتصادية بين المذاهب الوضعية والاسلام، ص ٥١
- [٢٥] اقتصادنا، ص ٢٧٩
- [٢٦] الاسلام يقود الحياة، ص ١٤٨
- [٢٧] الاسلام يقود الحياة ص ١٤٩
- [٢٨] الكافي/ ٥/ ٣١٩/ ح ٥٩
- [٢٩] تهذيب الاحكام/ ٧/ باب فضل التجارة
- [٣٠] النساء/ ٢٩

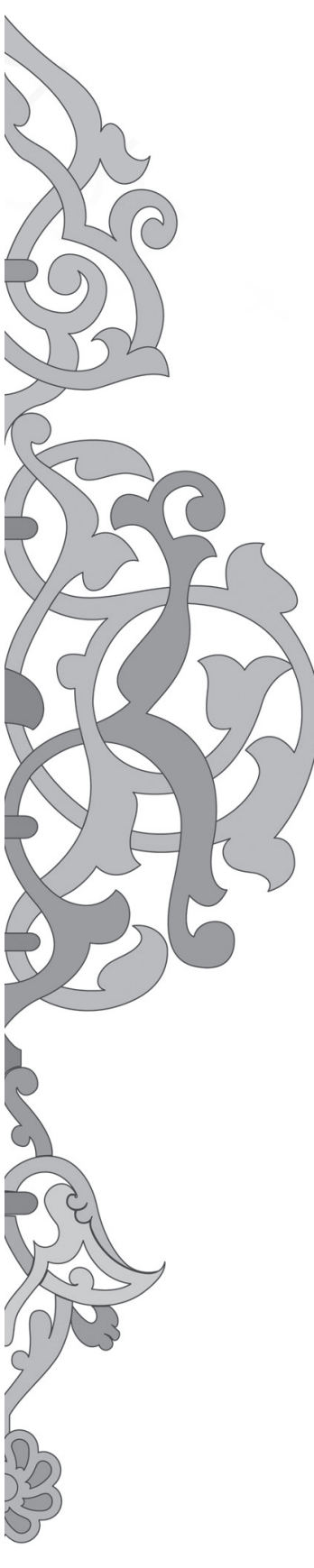


ملف العدد:

الحوزة العلمية وبناء الأمة التأنيخ - المواقف - الأهداف

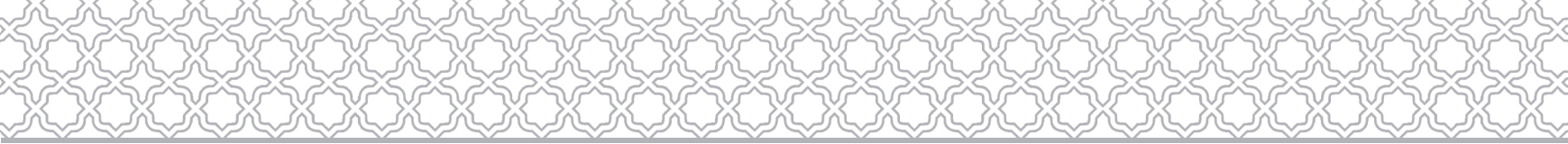
- ❖ الحوزة العلمية وأدوارها الريادية (المعالم والخصائص)
- ❖ المحورات العلمية وخصائصها وتواجدها على المستوى العالمي
- ❖ أساطين الحوزة ووحدة الأمة
- ❖ دور المرجعية في نهضة الأمة
- ❖ الحوزة العلمية ومواجهة الانحراف والفساد الفكري





المُحَوِّزَةُ الْعِلْمِيَّةُ وَأَدْوَامُهَا الرَّيَّادِيَّةُ - الْمَعَالِمُ وَالْخَصَائِصُ -

❖ آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي (*)



هذه الدراسة لسماحة الشيخ رحمته الله عن الحوزة العلمية ودورها من أهم الدراسات في هذا الصدد وهو أمر غير مستغرب منه رحمته الله وقد ارتأت المجلة إعادة نشرها وفاءً لفكر الشيخ الثوري والخالد .

تاريخ المدرستين

يرجع تاريخ الجامعة العلمية في قم إلى الربع الأول من القرن الرابع الهجري في عصر البويهيين ، عاش في هذه الفترة في قم والري علماء كبار أمثال الشيخ الكليني المتوفى ٣٢٩ هـ وابن بابويه المتوفى في نفس السنة ، وابن قولويه المتوفى في سنة ٣٦٩ والشيخ الصدوق المتوفى عام ٣٨١ هـ ، وغيرهم من كبار المحدثين والفقهاء ، وعليه فان تاريخ هذه الحوزة العلمية يرجع إلى أحد عشر قرناً ، واستمرت هذه المدرسة منذ ذلك الحين إلى اليوم تمارس نشاطها العلمي في الحديث والفقه في مد

وجزر .

ويرجع تاريخ الجامعة العلمية في النجف (العراق) إلى ٤٤٨ هـ أي منتصف القرن الخامس الهجري ، عندما انتقل الشيخ الطوسي رحمته الله إلى النجف لما كُبس على داره ببغداد ، وأخذ ما وجد فيها من دفاتره وكتبه ، ومنذ ذلك الحين استمرت مدرسة النجف (بجوار الكوفة) في ممارسة نشاطها العلمي إلى اليوم في مد وجزر كذلك ، وهذه المدة تقارب الألف عام .

ولقد كتب نجم الدين المحقق الرضي الاسترآبادي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ كتابه الكبير المقيّم في شرح الكافية في النجف قبل ٧٣٤ سنة ويكتب في نهايته : قد تم تمامه في الحضرة المقدسة الغروية ، على مشرفها صلوات الله العزة سنة ست وثمانين وستمائة .

النجف وقم هما الجامعتان الفقهيتان الأم في مدرسة

أهل البيت عليه السلام وهما من أعرق الجامعات الإسلامية ، أو الحوزات العلمية كما يسميها أبناء هذه الجامعة .

وقد أكسبت هذه العراقة التاريخية هاتين الحوزتين الكثير من الخبرة في القرآن والحديث والفقه ، وهي أمهات العلوم في هاتين الجامعتين .

ولأن هاتين المدرستين كانتا تحتلان موقعاً سياسياً واجتماعياً في أوساط اتباع أهل البيت عليه السلام ، فإنهما كسبتا خلال الفترة خبرة سياسية واجتماعية وعلمية وأخلاقية وتربوية كبيرة .

وسوف نعكس في هذه الدراسة إن شاء الله طرفاً من هذه الخبرة في المجال السياسي والاجتماعي من جانب ، وفي المجال العلمي من جانب آخر ، وفي المجال التربوي من جانب ثالث .

١- في المجال التعليمي والاجتماعي

أ - الاستقلال السياسي :

ومن أهم هذه الخبرات الاستقلال السياسي لهذه المدارس عن الأنظمة والحكومات التي كانت تحكم هذه البلاد في فترات التاريخ المختلفة .

وذلك لأن مسؤولية الفقهاء والعلماء هي الرقابة العامة

على كل المرافق والمؤسسات الاجتماعية ونقدها ومحاسبتها وعلى رأس هذه المؤسسات مؤسسة الدولة بكل أجهزتها ودوائرها الفرعية ، فإذا تحولت الجامعة الدينية إلى مؤسسة تابعة لمؤسسات النظام وملحقة بها لم تعد تملك القدرة الكافية على رقابة هذه المؤسسة والمؤسسات التابعة لها ونقدها ، ولو تحول الفقهاء إلى موظفين في الدولة لم يملكو القدرة على النقد والرقابة البتة .

ب - الاستقلال الاقتصادي :

والاستقلال السياسي يتبع الاستقلال الاقتصادي فلو كانت المؤسسة الدينية تابعة اقتصادياً لمؤسسة الدولة ، لا تستطيع بالضرورة ان تحافظ على استقلالها السياسي . . . القضيتان تؤلفان معادلة واحدة لا يمكن فصل بعضها عن بعض ، والاستقلال الاقتصادي لا يتحقق إلا بالاكتمال الذاتي .

وتعتمد حوزاتنا الفقهية ومساجدنا في إدارة شؤونها على الحقوق الشرعية من الزكوات والأخماس .

ويعتقد فقهاء الإمامية ان تشريع الخمس اوسع من خمس غنائم الحرب الذي ورد في آية الخمس من سورة الانفال : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴿١﴾ فهذه الآية تخص مفردة من مفردات الخمس .

وقد صح عندنا من حديث رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ كان يأمر بجباية خمس فائض رأس المال .

والخمس والزكاة تغطيان مساحة واسعة من نفقات الحوزات والمدارس الدينية والمساجد والمؤسسات الثقافية التابعة للمؤسسة الدينية الكبيرة .

مطاوعة الجمهور

وهذه الأطروحة تمكّن المؤسسة الدينية من القيام بمسؤولياتها في إدارة الشؤون الدينية في المجتمع ، ولكن النقطة السلبية في هذه الأطروحة انها تقود المؤسسة الدينية باتجاه تبعية الجمهور ، ومطاوعة الرأي العام ؛ وذلك لأن المؤسسة الدينية عندما تحاول ان تحقق لنفسها حالة الاكتفاء الاقتصادي من ناحية الحكومات فلا محالة تعتمد في تمويل مؤسساتها وأعمالها على إنفاق الناس . . .

والاعتماد على الناس في التمويل من الممكن ان يسلبها استقلالية الرأي والقرار ، تجاه الجمهور ، حتى لو كان هذا الإنفاق ضمن الحقوق الشرعية ، وعليه فإن المؤسسة الدينية تحتاج إلى جهد ذاتي كبير لتحفظ نفسها

من الانقلاب من حالة التبعية الرسمية لمؤسسة الدولة إلى حالة مطاوعة الجمهور .

ثقة الجمهور وطاعتهم للفقهاء

قلما نجد نظيراً لهذه الثقة والطاعة من ناحية الجمهور للفقهاء ، ولست أقول لا نجد ، واتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام يعرفون بهذه الميزة ويشتهرون بها .

وسبب ذلك يعود أولاً إلى تعليمات أهل البيت عليه السلام لشيعتهم بطاعة الفقهاء ، والثقة بهم ، والالتفاف حولهم ، وقد تكرّر الأمر والتوصيات بذلك من ناحية أئمة أهل البيت عليه السلام ، وهذه التعليمات أكسبت موقع الفقاهاة عند الإمامية قيمة اجتماعية وسياسية كبيرة .

والعامل الآخر هو سلوك الفقهاء تاريخياً إلى اليوم ، فإن المعروف منهم الإعراض عن الدنيا ومتاعها ، والزهد فيها ، وعدم الاستغراق في لذاتها وطيباتها أولاً ، والاهتمام بشؤون الناس وهمومهم ومطالبهم ثانياً .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية في صفة العلماء : (وما أخذ الله على العلماء ألا يقراروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم) ، أي : لا يسكتوا عن تخمة ظالم ولا جوعة مظلوم . . . وهذا الاهتمام بشؤون الناس والمراعاة لحقوقهم والدفاع عنهم في مقابل الظالمين ،

بالإضافة إلى ما عرف عنهم تاريخياً من الإعراض عن الدنيا والزهد فيها . . . من عوامل طاعة الناس لهم وثقتهم بهم ومحبتهم لهم ، وهذه الحالة لا تزال إلى اليوم باقية ، وإن كان يصيبها مدّ وجزر أحياناً .

وكان المرحوم السيد حسن الشيرازي قد حرّم استعمال التبغ على المسلمين بعد أن أعطى الشاه حق احتكار التبغ لشركة انجليزية ، تستأثر به في اطماعها الاستثمارية ، فامتنع المسلمون في إيران جميعاً عن استعمال التبغ ، استجابة لحكم الفقيه ، فلما طلب الشاه من زوجته داخل قصره أن تأتي إليه بما اعتاده من شرب التبغ يومياً امتنعت ، فلما زجرها قالت له : الذي أحلني عليك حرّمها عليّ .

هذه الثقة الغالبة والطاعة النادرة بمثابة عتلة قوية استخدمها الإمام الخميني رحمته الله في حياتنا المعاصرة في الإطاحة بالنظام البهلوي الفاسد وإقامة دولة إسلامية محله ، ولولا هذه الثقة وهذه الطاعة النادرة لم يكن مثل هذه الثورة العامة بمقدور أحد من الناس .

وليس من شك أن هذه عطية إلهية جليّة ، حبا الله بها الفقهاء ، وعليهم المحافظة عليها ، والمحافظة عليها تكون بالمحافظة على مسيرة السلف الصالح من الفقهاء ، بالإعراض عن الدنيا والزهد فيها ، والاهتمام بهموم

الناس ، ومعايشة الناس في سرائهم وضررائهم ، وعدم حجب الناس عنهم ، والاهتمام بقضايا الجمهور السياسية ، وعدم الخضوع لابتزاز الأنظمة ، ونفوذ أنظمة الاستكبار العالمي ، فإن الجمهور يحمل فطرة سليمة في التقويم والتقدير ، يضع الثقة حيث تجب الثقة ، وتحجب الثقة حيث لا يستحق الثقة ، فإذا حجب الجمهور ثقته عن شخص فالأحرى به أن يراجع نفسه وعمله قبل أن يتهم الناس في إقبالهم وإعراضهم ، أو يشك في سلامة تقديرهم ، فقد دلتنا التجارب الكثيرة ، إنّ الله تعالى زوّد جمهور المؤمنين بحسّ مرهف دقيق في التوثيق والتقييم .

الدفاع عن قضايا المسلمين

وجدنا الفقهاء دائماً خلال تاريخنا المعاصر في المقدمة من خط المواجهة في كل القضايا السياسية المصيرية التي تتعرض له بلاد المسلمين .

ففي ثورة العشرين في العراق ، قاد فقهاء النجف جمهور العراقيين لطرد الانجليز من العراق .

وفي ثورة الدستور في إيران ، قاد العلماء الجمهور إلى المطالبة بالدستور في إيران .

وتحرك الإمام الحكيم في وجه المد الأحمر الشيوعي

في العراق .

ونهب العلماء بقيادة الإمام الخميني رحمته الله لإسقاط حكومة البهلوي الفاسدة .

وقاد العلماء انتفاضة الشعب العراقي ضد النظام الدكتاتوري لحزب البعث ، وقد قدّمت الحوزة العلمية في النجف الأشرف في عهد النظام البائد مئات الشهداء من العلماء والخطباء وطلبة العلوم الدينية .

ولم يقتصر اهتمام فقهاء أهل البيت بالقضايا التي تخصّ الأقطار ذات الأغلبية الشيعية ، وإنما كانوا يحملون هموم قضايا العالم الإسلامي في شتى أقاليم المسلمين ، مثل قضية الجزائر ، وفلسطين وكشمير ، والبوسنة والهرسك ، والشيشان ، وأفغانستان ، وعرّة ، ولبنان وسائر الجروح في جسم العالم الإسلامي المثخن بالجراح .

ولا يختلف عندهم أن يتعرض للظلمة شيوعي أم سني ، فالمسألة عندهم الإسلام والكفر .

وقد رأينا وقوف علماء الشيعة بكلمة واحدة أمام الاحتلال الانجليزي إلى جانب العثمانيين عندما اشتبكت القوات العثمانية والانجليزية في حروب ضارية في العراق ، وكانت غاية الانجليز إخراج آل عثمان من العراق .

والذين يعرفون تاريخ العراق المعاصر يعرفون ماذا لقي

شيعة العراق وهم أكثرية الشعب ، من ظلم آل عثمان وعدوانهم خلال فترة حكمهم في العراق . . . ومع ذلك لما جدّ الجدّ واشتبكت الجيوش العثمانية بالجيوش الانجليزية في العراق هبّ علماء الشيعة في العراق لمواجهة الانجليز واتبعهم الناس كافة ، سنة ، وشيعة ، وكان القائد التركي يقول عن ساحة المعركة : كلما ضاقت بنا الحرب واشتدت بنا الأزمات ، كنت انظر إلى خيمة فقيه الشيعة شيخ الشريعة الأصفهاني في قلب المعركة تحت وابل الرصاص وهو ثابت مطمئن في شيخوخته وعجزه ، فاكسب منه القوة والطمأنينة والثقة في الموقف العسكري .

الدعوة إلى التقريب

ومن اهتمامات فقهاء الشيعة الدعوة إلى وحدة المسلمين وملء الفجوات التي أحدثها أعداء الإسلام فيما بين المسلمين ، والعمل الجاد لتوحيد الرأي والموقف السياسي في كل القضايا الاساسية التي تهم العالم الإسلامي وإزالة الحدة والتشنج من الخلافات التاريخية والعقائدية والفقهية بين المسلمين ، وليس معنى التقريب أن يتحول السني إلى الشيعي ولا العكس ولكن معنى التقريب إزالة التشنج والحدة من هذه الخلافات أولاً ، وطرح المسائل العلمية التي يختلف فيها المسلمون في

الكريم ، وما صحَّ من السنة الشريفة عند الشيعة وأهل السنة .

كما كان للإمام كاشف الغطاء جولات واسعة في سبيل توحيد كلمة المسلمين ، ومؤلفات وخطب ومقالات كثيرة .

وكان الإمام السيد حسين البروجردي الزعيم والمرجع الديني المعروف من دعاة التقرب ، وممن ساهم في تشييد صروح التقريب ، وكان بينه وبين الإمام الشيخ محمود شلتوت شيخ جامع الأزهر رحمته الله مراسلات وتعاون في أمر التقريب . وللمرجع الديني المعاصر السيد علي السيستاني (حفظه الله) اهتمام بليغ بأمر التقريب ، وقد استطاع بفضل اهتمامه بأمر التقريب أن يحفظ إلى حدود كبيرة الانسجام والتفاهم الإسلامي للشعب العراقي في ظروف صعبة للغاية وبين فتن طائفية مثيرة ومدبرة ، رحم الله الماضين ، وحفظ لنا الباقيين .

٢- في مجال الدراسات الفقهية

لأن فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام لم يغلقوا باب الاجتهاد قط ، واستمرت حركة الاجتهاد في حلقات متصلة ، متواصلة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام . . . هيأت هذه الحركة فرصاً جيدة لتكامل ونضج وتطور الآليات الفقهية للاجتهاد في هذه المدرسة .

ضوء البحث العلمي الموضوعي النزيه ثانياً ، كما يتفاهم فقهاء طائفة واحدة فيما بينهم ، والبحث عن المفاهيم المشتركة ، والتصورات المشتركة ، والأحكام والقواعد المشتركة ، والأصول الفقهية المشتركة ، والأحاديث المشتركة ، لتكون قاعدة للتلاقي بين المسلمين ثالثاً ، ورابعاً : السعي الجاد لتوحيد الموقف السياسي في القضايا الإسلامية الاساسية مثل قضية فلسطين وأفغانستان والعراق وسائر مصائب المسلمين .

وقد أثرت الأعمال الكبيرة التي نهض بها فقهاء أهل البيت عليهم السلام في إيجاد أرضية واسعة وخصبة للوحدة الإسلامية .

فمن الناحية العلمية دوّن علماء الشيعة مدونات واسعة في الحديث المشترك ، والأسانيد الروائية المشتركة بين الشيعة والسنة ، والتفسير المقارن والحديث المتفق عليه ، والفقه المقارن بين الشيعة والسنة ، والأصول المقارن ، والقواعد الفقهية المقارنة .

كما كتب السيد عبد الحسين شرف الدين رحمته الله كتاباً في تحديد عنوان (الإسلام) ، وحرّمات المسلمين التي لا يجوز انتهاكها بحال . وسّماه (الفصول المهمة في تأليف الأمة) ، وهو كتاب قيّم يحسن بكل دعاة التقريب قراءة هذا الكتاب ، الذي استقى المؤلف مفاهيمه من الكتاب

الآليات الفقهية للاجتهاد في هذه المدرسة

وظهر خلال هذه الفترة فقهاء كبار أحدثوا تغييرات واسعة في منهج الاجتهاد وتطويره ، وظهرت مدارس فقهية جديدة مكّنت الفقهاء من ممارسة الاجتهاد بدرجة عالية من الكفاءة والدقة ، والفرز الدقيق لموارد استخدام الأدلة والحجج .

وفيما يلي نشير إلى بعض هذه النقاط بصورة إجمالية ونترك البحث التفصيلي والفني عنها إلى مواضعها :

١- الموازنة بين العقل والنقل :

(النص) هو المصدر الاساسي للاجتهاد بلا شك ، سواء كان النص من الكتاب ، أم من السنة .

غير ان نصوص السنة لابد ان تناقش من حيث السند بصورة دقيقة ، لتمييز الصحيح منها عن غير الصحيح .

والفقيه يتعامل مع النص من منطلق الحجية والتعبد ، ولا يصحّ له ان يتجاوز النص ، أو يطوّع النص لرأيه ، أو يحمله على غير معناه الصريح الذي يكون نصّاً فيه ، أو يحمله على غير معناه الظاهر ، ان كانت الآية أو الرواية ظاهرة في معناها ، ولم تكن نصّاً .

ولا اجتهاد في مقابل النص ، وكل اجتهاد أو رأي في

مقابل النص فهو باطل البتة . . . ولا يلجأ الفقيه إلى الاجتهاد الا عند فقدان النص أو إجماله أو تعارض النصوص .

وعليه فان النص هو المصدر الاساس للفقيه في فهم الحكم الشرعي . . . وهذا هو الجانب النقلي من الاجتهاد ، وهو البعد الأول والأهم في الاجتهاد وإلى جانب هذا البعد العقل في الاجتهاد .

وللعقل ثلاثة ادوار في الاجتهاد :

الدور الأول : في فهم النص .

فقد يحتاج الفقيه في فهم النص واكتشاف آفاقه ومجالات تطبيقه إلى الدقة العقلية ، وهذا التدقيق في فهم النص لا ينافي ما ذكرنا آنفاً من منهج (الاستظهار) ، وعدم العدول عن صريح الكلام في النصوص وعن ظاهر الكلام في الظواهر .

والدور الثاني في الأدلة العقلية المستقلة وغير المستقلة ، والعقل بمعنى القطع واليقين حجة يحتاج الله تعالى بها عباده ، وقد تكون مقدمات الدليل كلها عقلية ، وقد تكون بعض هذه المقدمات شرعية وبعضها عقلية ، والنوع الأول من الأدلة العقلية هو المستقلات العقلية والنوع الثاني هو غير المستقلات العقلية ، وكلاهما من

الأدلة العقلية ، وهذا باب واسع من العلم ، لا يسعنا ان نتحدث عنه الآن بأكثر من هذه الإشارة .

والدور الثالث للعقل : الأصول العقلية التي يلجأ إليها الفقيه عندما لا يجد سبيلاً إلى الدليل الشرعي ، وهذه الاصول تقرر الوظيفة العقلية للمكلف عند الجهل بالحكم الشرعي .

وهكذا نجد ان الفقيه يوظف العقل لخدمة النص وفهم الحكم الشرعي طبقاً لقانون الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع أو الوظيفة العقلية عند الشك في الحكم الشرعي في ثلاثة اتجاهات : في فهم النص ، وفهم مجالات تطبيقه أولاً ، وفي اكتشاف الحكم الشرعي عن طريق العقل بقانون الملازمة بين الحكم العقلي والشرعي ثانياً . وفي تحديد الوظيفة العقلية عند فقدان الدليل ثالثاً .

وهذا الاستخدام الواسع للعقل في عملية الاجتهاد لا يُحجّم دور الدليل النقلي في عمل الفقيه ، إذا عرفنا ان الدليل النقلي الذي يتبعه الفقيه هو الاساس في عملية الاجتهاد وفهم الحكم الشرعي .

٢- الموازنة بين الأصولية والتطوير :

الاصولية هي الصيغة العامة للاجتهاد ، والفقيه المتمرس في الفقه يعطي قيمة كبيرة لكلمات الفقهاء

المتقدمين والاجماع الفقهية التي يركن إليها الفقيه في الاستنباط وحتى للمرتكزات الفقهية ولسيرة المتشعبة .

ويحافظ الفقيه على المنهج الفقهي المألوف والموروث ، ويعتبر هذا النهج أساساً صحيحاً للاستنباط تركن إليه النفس .

وإلى جنب هذه الصيغة الأصولية العريقة في الاستنباط ، والتي توليها الحوزات العلمية التابعة لمدرسة أهل البيت (عليه السلام) اهتماماً كبيراً . . . نجد ان هناك سعياً جاداً لتطوير آلية الاستنباط .

والذي يتبع التطور العلمي الحاصل في هذه المدرسة ، يجد ان فقهاء هذه المدرسة اكتشفوا خلال عملهم العلمي آليات جديدة في عملية الاستنباط .

واضرب على ذلك مثلاً تقسيم الفقهاء الأدلة والحجج في أصول الفقه إلى طائفتين : (الامارات) و (الأصول) ويتم تنظيم العلاقة بينهما من خلال قاعدتي (الحكومة) و (الورد) .

وإذا عرفنا ان ترتيب الادلة من المسائل الاساسية التي يواجهها الفقيه في عملية الاستنباط ويحوج الفقيه إلى نظام واحد في الفقه ، لتقديم الادلة بعضها على بعض ، ولا يمكن الاكتفاء بالعلاجات والحلول الموضوعية . . .

الطلبة والأساتذة وبين الطلبة أنفسهم ، وبين الفقهاء وأساتذة الدراسات العليا على أعلى المستويات .
ويتناقل الطلبة أجواء هذا النقاش وقناعاتهم العلمية ، ويتمخض هذا النقاش عن تكامل حركة الاجتهاد .

يُقال : ان فقيهين معاصرين هما الفقيه المحدث البحراني رحمته الله صاحب الموسوعة الفقهية (الحدائق الناضرة) في الفقه ، والفقيه الأصولي الوحيد البهبهاني صاحب كتاب (الفوائد الحائرية) تلاقيا بعد صلاة العشاء في ساحة الحائر الحسيني بکربلاء ، فأخذوا في نقاش مسألة فقهية حتى آن وقت إغلاق أبواب الروضة ، فطلب منهما سادن الروضة ان يخرجوا عن ساحة الروضة فخرجوا ، ووقفوا خارج ساحة الروضة ، وهما يواصلان النقاش في نفس المسألة ، فذهب السادن إلى بيته للنوم ولما عاد فجراً لفتح أبواب الجامع لصلاة الفجر سمع من بعيد نقاشهما كما تركهما عند غلق الأبواب ، فذكرهما بقرب دخول وقت صلاة الفجر فرجعا إلى الجامع للاستعداد للصلاة .

ويؤاخذ البعض حالة الانفتاح على الرأي الآخر ، وحرية النقاش في هذه الحوزات بالمبالغة في الانفتاح . . .
ومهما يكن نصيب هذه المؤاخذة من الصحة ، فإن أمثال هذا الانفتاح وحرية إبداء الرأي والمناقشة ضمن ضوابط

نعرف قيمة هذا الكشف العلمي الذي توفيق له الفقيه الشيخ الأنصاري رحمته الله لأول مرة في تاريخ الفقه ، وتترتب على هذا الكشف آثار كبيرة في تقديم الأدلة بعضها على بعض .

ان الاجتهاد عملية صعبة ، يتعمّد بتطبيق الثابت على المتغير ، فان شريعة الله ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ، وظروف الحياة الاجتماعية متغيرة شديدة التغير ، ومهمة الاجتهاد هي تطبيق ثوابت الشريعة على متغيرات الحياة ، وهي مهمة شاقة تحتاج إلى جهد متواصل في تطوير آلية الاجتهاد ليكون قادراً على تحقيق هذه المهمة .

٣- الموازنة بين حرية الرأي وانفتاح باب الاجتهاد ، وبين الالتزام بالحجة وضوابط الاجتهاد .

اشتهر فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالانفتاح على الآراء المختلفة ، وقبول تعددية الرأي في الفقه ، ولم ينغلق باب الاجتهاد في هذه المدرسة قط ، وقد أثمر هذا الانفتاح ثمرات طيبة في تنامي وتكامل الدراسات الفقهية .

وتتميز الدراسات الفقهية في الحوزات العلمية التابعة لهذه المدرسة بإفساح المجال لمناقشة الرأي الآخر وحرية إبداء الرأي ، والنقاش العلمي يجري على كل الأصعدة بين

٣- في المجال التربوي

للعلماء موقع حساس آخر في هذه الأمة ، وهو موقع التوجيه والتثقيف والتربية والإصلاح .

وليس العلم كل شيء في شخصية العالم الديني ، الذي يتخرج من الحوزات العلمية ، وإنما هو أحد شطري شخصية العالم الديني ، والشرط الآخر والأهم في هذه الشخصية هو الخلق الإسلامي وتهذيب النفس ، وما لم يكتسب العالم الديني هذه الخصال الحميدة لا يستطيع ان يؤدي حق العلم ، فان الناس يأخذون من العالم خصاله الحميدة أكثر مما يستمعون إليه ، ويقتبسون من عمله أكثر مما يُصغون إليه . . . وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه كان يقول لأصحابه : (كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم) .

ومهمة العالم الديني ليس هو التعليم فقط ، وإنما التعليم والتزكية معاً في امتداد خط الأنبياء عليهم السلام ، ﴿ يزيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ . ولا تتيسر التزكية للعالم الديني إلا إذا كان مُعَلِّم التزكية هو على درجة عالية من التزكية .

ولذلك فان منهج التهذيب والتزكية في مقدمة المناهج والأعمال التي تعنى بها الحوزات العلمية التابعة لمدرسة

الاجتهاد ، يؤدي إلى تنضيج وتكامل هذه الحركة .

ونحن من خلال التجربة الطويلة في هذه المدارس نعرف جيداً ان هذه الحرية في نقد الرأي ، والانفتاح على الرأي الآخر ، يتم ضمن ضوابط الاجتهاد الدقيقة . . . ووجود هذه الضوابط يحفظ حركة الاجتهاد من الانفراط والخروج عن الحدود ، ولذلك استمرت حركة الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليه السلام بين المحافظة على التراث والمعاصرة وبين الأصولية والتطوير ، ولم تخرج هذه الحركة عن الخطوط العامة المقبولة في هذه المدرسة .

الاستناد إلى الحجة

ان القيمة العلمية في هذه المدرسة للحجة فقط ، وما لم يعتمد الرأي على الحجة القطعية لا يكون مقبولاً ولا صواباً ، والشك في الحجية يساوق دائماً القطع بعدم الحجية .

إذن لابد ان يستند الرأي أخيراً إلى الحجة حتى يكتسب الصفة العلمية ، وهذه القاعدة تحفظ حركة الاجتهاد في هذه المدرسة عن الزيغ والخطأ ، في الوقت الذي تحرص فيه هذه المدرسة على فسح المجال للتعددية في الرأي الفقهي وتلاقح الآراء والأفكار .

أهل البيت (عليهم السلام) . . . ويدخل شباب الطلبة من بلاد شتى ، ومن أمزجة وأخلاق وسلوكيات نفسية متعددة في الحوزة العلمية فتصهرهم الحوزة العلمية ، في أجوائها خلال سنوات عديدة ، وتطبعهم بطابعها الخاص ، فيغلب عليهم الخشوع ، والتفكير ، وخشية الله ، وحب العبادة ، والاشتغال بذكر الله ، والتقوى .

وطبيعي أن يكون ذلك بدرجات مختلفة ، وليس كلهم يبلغ القمة في ذلك ، إلا أنهم جميعاً يسلكون هذا الطريق ، وتصهرهم الحوزة بحرارتها التربوية العالية ، إلا من شذ منهم .

ومن الطبيعي أن هذه الحالة من الانصهار قد هبطت بنسبة ما مع التوسع الكبير الذي حصل أخيراً للحوزة ، ولم يعد اليوم كما كان قبل خمسين سنة ، ولكنها باقية إلى الآن وفاعلة ، ومؤثرة وإن كانت دون الطموح .

ويدرس اليوم أساتذة الحوزة طريقة معالجة هذا الهبوط الروحي النسبي في نفوس الطلبة في ظروف التوسع الكمي الذي اكتسبته الحوزات العلمية في السنين المتأخرة وتعتقد لذلك مؤتمرات ولجان عمل لتحقيق الطموح الذي تطمح إليه الحوزة العلمية في أبنائها .

وثمره هذا الجهد التربوي الذي تهتم به الحوزات العلمية ، ثمرة طيبة فقد أنشأت هذه الحوزة عباداً صالحين

لله ، رزقهم الله حظاً كبيراً من تهذيب النفس وتزكيتها ، وأدقهم حلاوة ذكره ، وشغلهم به تعالى عن غيره ، ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ ، يدخلون معنا في ساحات حياتنا في السوق ، والمدارس ، والدوائر ، والشوارع ، ويعيشون كسائر الناس ، إلا أن شيئاً من ذلك لا يشغلهم عن ذكر الله تعالى ، ويصح فيهم بشكل دقيق حديث الحاضر الغائب ، فهم حاضرون في مجامع الناس بأبدانهم وغائبون عنها بقلوبهم ، حاضرون في مجامع الناس بأبدانهم لأداء المهمات التي ألقاها الله تعالى على عواتقهم ، غائبون عنها لأن قلوبهم معلقة بعز قدسه ، ومشغولة عن الناس ، وهموم الحياة بذكر الله ، وشغوفة بحب الله ، وشائقة إلى لقاء الله ، وخائفة وجلة من عقوبة الله ، ومولهة بجمال الله وجلاله .

وأمثال هؤلاء متواجدون في هذه الحوزات ، رجالاً ونساء ، وشباباً وشيوخاً ، ولو خليت - كما يقال - لقلت ، وليتكم ترونهم أيها الأخوة ، وهم يقومون بين يدي الله في الأسفار خاشعين للصلاة ، فتجري دموعهم على خدودهم وتسمع زفيرهم وأنينهم ، ونشيج بكائهم ، أو ترونهم وهم سجود بين يدي الله ، يحثون إلى ربهم حنين الواله المشتاق ، وترتعد فرائصهم من خشيته ، وتخشع جوارحهم وجوانحهم بين يدي الله رب العالمين . . . ولو

رأيتهم في صلاتهم في الأسحار لشغلك ذلك عن نومك وصلاتك ووددت لو يطول بك هذا المشهد ، ولا يفتح ظلام الليل على الإصباح .

ومن هذه المناهج منهج التأمل والتفكير ، والاستغراق في التأمل والتفكير ، ومن مسالك التأمل والتفكير مسلك التأمل في النفس ، فإن التأمل في النفس من أفضل مداخل التفكير في الله وذكر الله ، وقد جعل القرآن الكريم التفكير في النفس قبل التفكير في الآفاق ، وكلاهما هاديان إلى الله ، ولكن التفكير في الأنفس أسرع وصولاً بالإنسان إلى الله من التفكير في الآفاق ، رغم أن أياً منهما لا يغني عن الآخر بالضرورة .

ومن هذه المناهج منهج الذكر والعبادة والاشتغال بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن ، وهو من أهم هذه المناهج وأكثرها شيوعاً .

ولسنا نقصد بالنهج الأول الاشتغال بالتأمل والتفكير عن العبادة والعمل ، فهذا ما لا تسوّغه روح هذا الدين ، ولكن أقصد بمنهج التفكير والتأمل ان تكون الصيغة العامة للمنهج هو التفكير والتأمل . . . وأما المنهج الثاني فهو الاستغراق في الصلاة والدعاء ، والذكر ، وهؤلاء يدأبون في تلاوة القرآن والدعاء ، وقيام الليل والمواظبة على النوافل ، ويعشقون الليل عشقاً ، فإذا حلّ بهم الليل ،

وهدأت من حولهم الأصوات ، وغلقت الأبواب ، وذهب الناس إلى مضاجعهم ، قاموا إلى صلاتهم كما يقول ربنا تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ ، فلا تستقر جنوبهم على المضاجع حتى يهتّبوا إلى عبادة الله .

ولليل دولة وللنهار دولة ، وكلتاهما دولة الصالحين ، وهناك أبطال لدولة الليل رجالاً ونساءً ، وهناك أبطال لدولة النهار ، وأبطال دولة النهار لا بد لهم من دولة الليل حتى يتمكنوا من القيام بأعباء عبودية الله تعالى وطاعته والدعوة إليه في النهار ، وأبطال دولة الليل لا بد لهم من دولة النهار ، حتى لا تعزلهم دولة الليل عن الانصراف إلى مسؤولياتهم في النهار ، فإذا تكاملت دولة الليل ودولة النهار عندئذ يتكامل الإنسان ويؤدي حق هذين الشطرين العظيمين من حياته .

والعلماء أمراء دولة الليل والنهار ، ولذلك يجب عليهم ان يحرصوا على ان يعطوا حق الليل والنهار بشكل كامل .

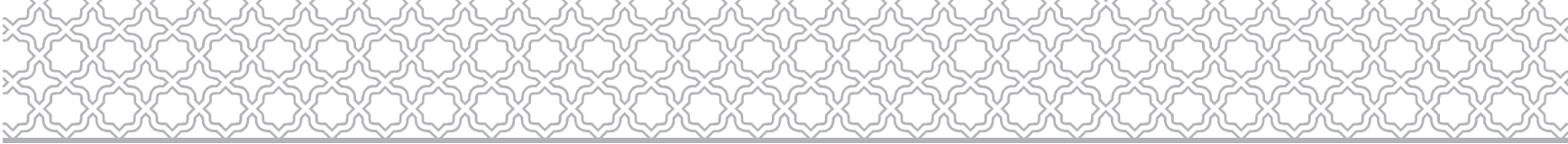
يقول أمير المؤمنين عليه السلام : (اما الليل فصافون أقدامهم يرتلون القرآن ترتيلاً ، ويستثيرون به دواء دأئهم . . . أما النهار فحلما علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف بري القداح) .

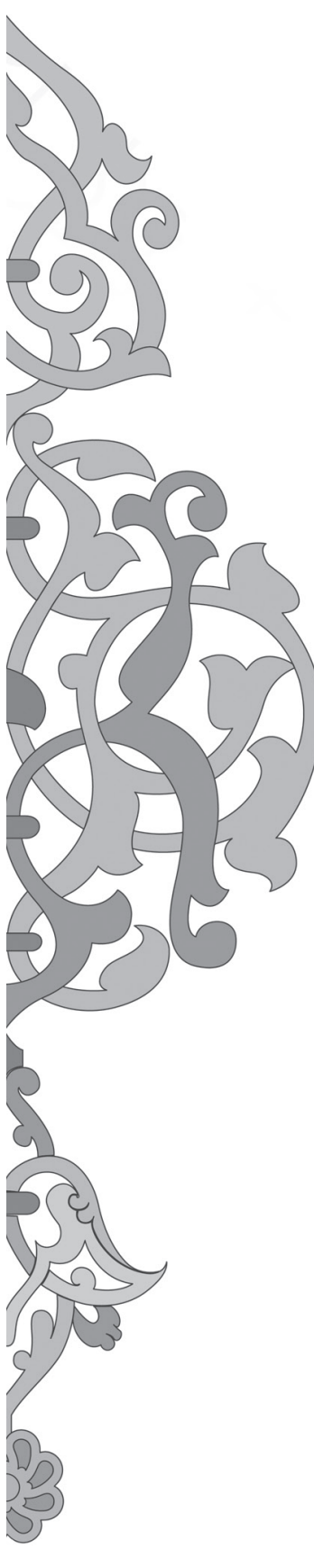
ومن مناهج التربية والتزكية ترويض الجسم والنفس ، ومن مفردات الترويض الصيام ، والكف عن لذائذ الطعام ،

عليه ، وتطبيبه بما خلق الله تعالى له من الطيبات والعلاج ، فإن الجسم مركب الروح والنفس ، ومن دون الجسم لا يستطيع الإنسان أن يبلغ ما أراد الله تعالى له من السعي والكدح إلى جنبه الكريم ، ولكن بشرط أن لا يبالغ الإنسان في ذلك ، وبشرط أن يأخذ الإنسان نفسه ببعض التضييق والتشديد في لذاته ، حتى يفتح الله تعالى عليه لذات الروح والنفس ، ولذات الروح والنفس لا تضاهيها لذة لمن طعم هذه اللذات .

والكف عن الاستغراق في النوم . . . وبين الجسم والروح علاقة عكسية فكلما بالغ الإنسان في لذات جسمه ، حتى المحللة منها تضاعل حظه من المعرفة ، والبصيرة ، والخشوع ، والاناة ، والدعاء ، والمناجاة . . .

وهو رزق تتلقاه النفوس من عند الله ، كما تتلقى الأجسام المطاعم ، والمشارب ، والمناكح من عند الله ، وكل منهما رزق الله ، ولكن الإكثار من الأول يؤدي بصورة قهرية إلى تحجيم وتحديد حظ الإنسان من الرزق الثاني ، ولابد للإنسان من رعاية الجسم ، والمحافظة





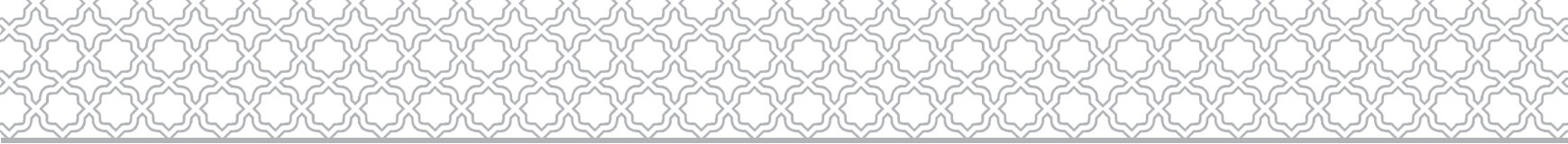
المُحَوِّزَاتُ الْعِلْمِيَّةُ

وخصائصُ تَواجِدِهَا عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَالِيِّ

❖ الشيخ يحيى ميرزائي (*)

❖ ترجمة : حسن مطر الهاشمي

(*) استاذ في حوزة قم.



بفضل الثورة الإسلامية هناك الكثير من الفرص المتاحة للحوزة العلمية الشيعية كي تسجّل حضورها وتواجهها في العالم الإسلامي والغربي ، وهنا يمكن التساؤل عن المجالات التي يمكن للحوزة أن تتواجد فيها ؟ والأدوار التي يمكن للحوزات أن تقوم بها على نحو أفضل وأكثر تأثيراً ؟

يمكن لفهم رسالة الدين الإسلامي العالمية والإنسانية بشكل صحيح ، ويمكن لفهم الخصائص الفكرية والمنهجية والاجتهادية لمدرسة أهل البيت عليه السلام بشكل عميق ، ويمكن لاستيعاب الوضع الراهن للخصائص الفكرية والسياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي – وربما العالم كله – أن يشكل مثلثاً للدخول إلى هذا المبحث .

فإنّ تواجد الحوزة العلمية وحضورها العالمي إذا لم يتوفر على واحدة من هذه الركائز ، لن يكون قائماً على

رؤية وبصيرة إسلامية عميقة ، وسيكون هناك تشكيك في مدى جدوائية هذا الحضور . كما أنه لا يمكن لهذا الحضور حينها أن يكون عن تخطيط دقيق ، ولن تكون الخصائص الإدارية والبنوية والكادر الإنساني والمضموني لهذه الحركة ، بل والنهضة كلها الشكل المطلوب والمناسب .

من هنا يجب أن نبحت في هذه الركائز والمحاور الثلاثة بشكل جذري كي نتمكن من الإجابة عن سؤالكم الآتف - ونظراً لتجربتي المتواضعة - لديّ بعض الإجابات الارتكازية عن هذه المحاور الثلاثة . من هنا فإنني سأكتفي بذكر بعض الموارد استناداً لذلك على نحو الإجمال كالاتي :

١ - محور الفلسفات الدينية الأساسية .

٢ - محور إدارة التيارات الفكرية في العالم المعاصر .

٣ - محور العالم الإسلامي وتنظيم المباحث المتعلقة بـ

(الأئمة الواحدة) ، ونهضة الحضارة الإسلامية .

٤ - محور التعاطي والحوار بين الأديان ، وتجسير العلاقات المنطقية في إطار التواصل مع الحضارات ، مع الحفاظ على المرجعية المضمونية لفكر الإسلام التوحيدي الشامل .

٥ - محور إعداد النخب والقيادة ، وتوجيه الثورة المعلوماتية ، وحركة الانتاج الفكري .

وبالالتفات إلى ما ذكرناه فإنّ تقييم وضع الحوزة العلمية الراهن ، والحكم بشأنها لن يكون عملية دقيقة ومنطقية ، إلا في ظلّ وجود تصوّر دقيق عن وضعها المناسب . وهنا نعيد القول بأنّه ومن خلال الالتفات إلى وجود نوع من الرؤية والمعرفة - القائمة على تجربتي المحدودة - يتعيّن عليّ القول بشأن الوضع المناسب للحوزة العلمية في العالم المعاصر : إنها في وضعها الراهن لا تقوم على أيّ من الخصائص العالمية على المستوى المقبول بالمعنى الواقعي للكلمة . من باب المثال : إذا نظرنا إلى مسألة التعليم الإسلامي العام وعرض المعارف الإسلامية على العالم ، سنصل إلى نتيجة مفادها : إننا من أجل هذه المسألة نحتاج قبل كلّ شيء إلى معرفة دقيقة بواقع الآراء الموجودة في العالم المعاصر ، مع التفكيك بين الطبقات الفكرية العامة ، ومختلف فئات

المجتمعات العالمية ، وكيفية نظرتها إلى الإسلام ، والنماذج والمفاهيم والأحكام والأنظمة الدينية في الإسلام على مستوى العالم المعاصر .

وعليه يتعيّن عليّ القول في هذا الشأن : إننا - وللأسف الشديد - نفتقر إلى مثل هذه الرؤية والمعرفة المسبقة . وبالتالي لن يكون هذا التخطيط ممكناً . وهكذا يتعيّن علينا أن نشهد تواصل التعليمات العامة كلها - على المستوى العالمي - على أساس من الأذواق الشخصية والدوائر الضيقة والمحدودة من الناحية الكيفية .

وفيما يتعلق بالتعليم العام تعتبر وسائل الإعلام ، وكذلك الحضور المجازي ، وتوظيف تكنولوجيا الارتباطات الحديثة من أهمّ البحوث القابلة للعرض ، وأحد أكثر الأساليب جدوائية في تحقيق أهداف التعليم العام . وهنا علينا أن نتساءل : ما هو حجم مسؤولية الحوزة العلمية في قم المقدسة بوصفها المرجعية الأولى في عالم التشيّع ، بل وحتى الإسلام المعاصر ؟ وما هو مقدار ما تمتلكه الحوزة العلمية من وسائل الإعلام العالمية الناجحة والتي تستقطب جمهوراً واسعاً من المشاهدين والمستمعين على اختلاف أذواقهم وانتماءاتهم ، والتي يمكنها أن تنافس غيرها من وسائل الإعلام العالمية الأخرى ؟ أو إذا لم تكن الحوزة العلمية ، وكادرها الرفيع - لأيّ سبب كان -

على تماس مباشر مع الطاقم الإداري لهذه الوسائل الإعلامية العالمية والدينية ؟ فما هو حجم حضور العنصر الحوزوي في إشباع هذه الوسائل الإعلامية بالمضامين ؟ وما هي النسبة المئوية من حضورنا في البرامج الدينية في وسائل الإعلام التي تعنى بنشر التعاليم الدينية والفكر الإسلامي العام ؟ يجب عليّ هنا إعادة القول : إنّ حضورنا في هذه البرامج - وللأسف الشديد - قليل جداً . بل حتى مقدار حضورنا في بعض القنوات المناوئة ، من قبيل : القنوات المتطرّفة في معاداتها للتشيع ، يتمّ في الغالب على أساس من الإنفعال والغفلة عن الشراك التي نصبها الأعداء والتي تهدف إلى الوقعة بيننا ، وإلى تمزيق العالم الإسلامي من خلال بيان رسم صورة متطرّفة للنموذج الشيعي .

كما أنّ البحث في أوضاع الحوزة العلمية في الأقسام الأخرى من هذا المحور لا يعطينا نتائج أفضل من ذلك . أنظروا إلى مؤسسات إعداد النخب والكوادر ، فما هو مقدار نسبة النجاح في إعداد الطاقات الخبيرة والمؤثرة في مجال التعليم العام ومخاطبة مختلف فئات العالم الإسلامي والغربي ، بحيث يمكن - من خلال المهارات المتنوعة في هذا المجال - توجيه الأفكار العامة ونشر المعارف بين جيل الشباب الغارق وسط المستنقع الـ (هولي وودي) وما له

من الجاذبية والقدرة على استقطاب المشاهدين ؟ كان هذا بأجمعه يرتبط بموضوع ومحور التعليم العام . فانظروا الآن إلى وضع رسالة الحوزة العلمية فيما يرتبط بالمجالات التخصصية ، وإعداد الخبراء والمتخصصين في الشأن الديني من الطراز الأول ممّا يُعدّ من المهام الأساسية الملقاة على عاتق بعض المؤسسات الحوزوية . فهل تجدون هذه الرسالة الخطيرة قد تكللت بنجاح مقبول من خلال تواجدها وحضورها على المستوى العالمي ؟ وهل تمكنت الحوزة العلمية - كما قال سماحة السيد القائد - من إيجاد مواقع فكرية في مختلف بقاع العالم ، وأن تقيم فيها محاور لانتاج حركة النهضة الإسلامية ؟ يبدو أنّ هذا الأمر يفتقر من الناحية العملية إلى الوجود الخارجي بمقدار كبير جداً . وإننا نشهد أفقاً مظلماً فيما يتعلق بواقع النخب التي تتمتع ببصيرة إسلامية عميقة ، ووضع العلماء من الطراز الأول الذي يتمكن من إدارة وهداية مراكز البحوث الجذرية في العالم المعاصر . وهكذا الأمر بالنسبة إلى وضع التبليغ والارتباطات الإسلامية ، والبحوث والتحقيقات الناجعة ، والأنظمة المعرفية الناطرة إلى أسلمة العلوم الإنسانية العالمية ، وانتاج المحاصيل الثقافية الإسلامية بأسلوب فني يراعي مذاق واقتضاءات كلّ شريحة وطبقة ومنطقة وثقافة ولغة وسائر جغرافيا

العالم المعاصر ، حيث تعاني من الضعف والاضطراب .

المخاطر والتحديات

إنَّ أكبر خطر يتهدد إدارتنا على نحو عام هو الضعف في التبصّر والأفكار الجذرية ، وغياب الموقف العميق والشفاف والدقيق بشأن المحاور الثلاثة التي سقتها في معرض الإجابة عن السؤال الأول . وفي الحقيقة فإنَّ كمية وكيفية جميع المنظومة الإدارية ومساها التنفيذ على الصعيد العالمي للحوزة العلمية رهنٌ بسلامة وعمق الرؤية في هذه الطبقات التحتية . هناك أشخاص ما أن يسمعو باسم الخارج حتى يختلقوا المعاذير للتقاعس عن تبرير هذا الحضور وأخذة على محمل الجدّ . بل ويخالف تعاطي الحوزة العلمية معه من الأساس ، أو أنهم يتعاطون مع المسألة برؤية ضيّقة ومحدودة . ومن الطبيعي أن تحول هذه الرؤية الضيّقة دون عالمية الحوزة العلمية .

من هنا يبدو أنَّ التنمية الثقافية والرؤية التأسيسية واجبة على الحوزة العلمية بوصفها رسالة إلهية . كما إنَّ الاستراتيجية الداعمة للحوزة بين جميع الحوزات أمرٌ لازم وضروري . وبالالتفات إلى خريطة العالم المعاصر وجغرافيته المرنة يجب على كلّ طاقة علمية وتربوية وإدارية ، وكلّ مؤسسة حوزوية أن تعمل كل ما بوسعها

وتبذل كلّ مجهودها في هذا الإطار . ليس هناك حالياً شيء اسمه مانع يحول دون التبادل الفكري والثقافي ، وإننا في هذا الملف على مفترق طريقين ؛ فإما أن نتغلب على الخصم أو أن نترك الساحة لصالحه ، وليس هناك من خيار ثالث . وعلينا أن ندرك أن خصمنا قوي وعنيد ، وأنَّ يده مطلقة وغير مكتوفة .

لقد تضافرت جميع المافيات الاقتصادية العملاقة ، وآلاف القنوات الإعلامية العامة والخاصة ، وآلاف المراكز التحقيقية ، ومئات الغرف الفكرية الناشطة على المستوى العالمي ، والتي تتلقى الدعم المكشوف والمستور من المراجع ومصادر القرار السياسي والدول المستكبرة والعميلة ، وحتى المنظمات العالمية ، وهي تحشد كل طاقاتها من النخب العلمية والجامعية والفنية والمرنة من أجل القضاء على الجبهة الإسلامية . في حين أننا هنا - للأسف الشديد - لا نمتلك حتى تصوّراً عاماً عن هذه الحرب الشرسة التي تستهدف الشباب المسلم والأسر المؤمنة على مدار الساعة وفي الليل والنهار ، فتقطع أوصالهم وتمزق شملهم وتفرق أشلاءهم ، وتقذف بجميع أسلحتها بوجه الأسس الأخلاقية في الأسرة ، بل والمنظومة الإنسانية والبشرية بأسرها .

والعجيب أننا نمتلك كامل العدة والعدد لمواجهة العدو

في الحرب المادية ، ولكننا فيما يتعلق بالحرب العالمية الناعمة والغزو الثقافي واستهداف القيم الإنسانية ، إما أن لا نمتلك برنامجاً عالمياً (وربما داخلياً) واضحاً ، أو إننا نمتلك مؤسسات عسكرية لا تصلح إلا لمواجهة التهديدات المادية ، إلا أنها تسعى إلى الدخول في معركة ناعمة مع العدو الخارجي بمعداتها الصلبة لتملأ الخلاء المحسوس بسبب عدم حضور الحوزة العلمية وضعف جبهتنا المرنة !

أما المانع الثاني فيكمن في غياب التحقيقات الاستراتيجية بشأن مساحات هذه المعركة . فإنّ مدراءنا والمخططين عندنا لم يقوموا ببحوث استراتيجية لهذه الجبهة ؛ إذ لم ينتظم شمل المؤسسات المختصة في هذا المجال حتى الآن . ولذلك فإنّ القرارات العالمية في الحوزة العلمية لا تقوم على أسس تخصصية . وكما تقدّم فإنّ أغلب الخطط تقوم على الأدواق الفردية والههمم والجهود الشخصية التي تستند إلى ركائز معلقة في الهواء ، وتعاني من ضعف في الدراسات التأسيسية .

وأما المانع الثالث فيتمثل بالأعمال والنشاطات الموازية لبعضها في كافة المجالات الحوزوية . فإنّ مؤسساتنا في الحوزة من قبيل : الشورى الإدارية غارقة في النشاطات الفصلية ، وقلما تبقى لديها فرصة وإمكان هداية الحوزة العلمية ، بحيث أننا نستشعر غياب مؤسسة تتمتع برسالة

توجيهية عامة تعمل على توزيع المسؤوليات والأدوار . وإنّ غياب هذه المؤسسة فاقم من الأعمال التي تنجز بشكل متوازي . الأمر الذي يؤدي إلى ظهور كثرة في الأعمال المتشابهة والمتكررة .

وتبرز هذه الحاجة بشكل أكبر في الساحة العالمية المشحونة بالمنعطفات والتعرجات الصعبة للغاية . وحالياً لا توجد في الحوزة العلمية بقم مؤسسة تعمل على هداية تبليغ الدين على المستوى العالمي . فهناك الكثير ممن يدعو إلى هذا الأمر . وهناك الكثير ممن يحصل على ميزانيته ، ولكن بسبب غياب ظروف ومقتضيات هذا الأمر ، يمكن لنا القول من الناحية العملية : إنّ الحركة الداخلية والعالمية لتبليغ الدين في إطار برنامج موحد يحمل رؤية عالمية واضحة غير داخلية في أيّ منظمة أو مؤسسة ، ولا حتى إدارة مركزية في الحوزة العلمية !

ومن بين الموانع الأخرى ضعف دور المصادر البشرية الحوزوية في الساحة العالمية . من الواضح أنّ تواجد الحوزة العلمية على الساحة الدولية يحتاج إلى قوى إدارية تتمتع بخصائص ومزايا حصرية ، وإلا لاستحال النفوذ إلى المؤسسات الفكرية والثقافية في العالم . ولا يكمن هذا الضعف في حقل الطاقات البشرية ، بل إنّ المحتوى والمضمون العلمي في الحوزة العلمية لم يتمّ تنظيمه

ليكون ناظراً إلى العصر الراهن والتماهي مع تساؤلات عصرنا ، كما أنه لا ينبثق عن رسالة الإسلام العصرية .

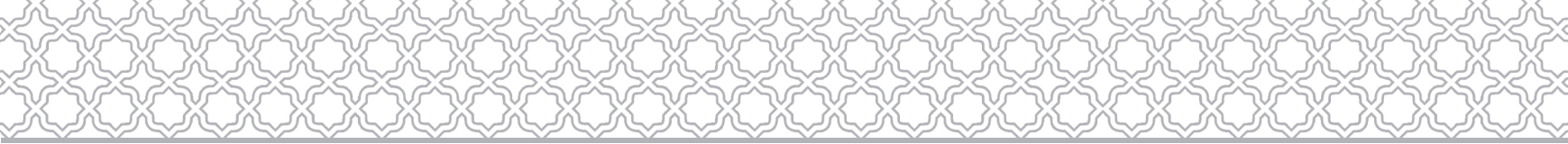
وبالتالي فحتى النخب البارزة في الحوزة العلمية رغم ما تتمتع به من الكفاءات العلمية على المستوى التقليدي ، لا تستطيع هداية أو التأثير العلمي والديني في الساحات الدولية المختلفة عن واقعنا بشكل كامل . وعليه لأجل عولمة نشاط الحوزة العلمية يجب أن نشهد عالمياً من

التحوّل والتغيير في الحوزة العلمية . إنّ فروع وتخصصات الحوزة العلمية ناظرة إلى الضرورات التاريخية في الدين ، وغير ناظرة إلى الواقع العلمي والفكري الراهن والثقافة المهيمنة على العقل والذهن الإنساني والمجتمعات القائمة . الأمر الذي أدى إلى حالة من الانفصال بيننا وبين عصرنا .

أَسَاطِينُ الْحَوْزَةِ وَوَحْدَةِ الْأُمَّةِ

الإمام الحَكِيم، والإمام المُحِبُّ بَنِي، وَالشَّهِيدَيْنِ
السَّيِّدَيْنِ: مُحَمَّدَ بَاقِرِ الصِّدْرِ، وَمُحَمَّدَ صَادِقِ الصِّدْرِ،
وَالْإِمَامَ السَّيِّدَتَيْنِ

❖ محمد جعفر النوري (*)



الإمام الحكيم

وتجعل الفصيلين المسلمين (العرب والاكرد) وقوداً لها ، وضحية من ضحاياها ، هذا على رغم أن هذه الفتوى تمثل تحدياً سافراً لتوجهات السلطة وارادتها ، وهي لا بد تستتبع حقدتها وغيظها وتجليات سخطها وانفعالها لأخطر موقف تتخذه أقوى سلطة حقيقية في الشارع العراقي المسلم وهي سلطة المرجعية الدينية التي يتعبد هذا الشارع بقيادتها وتوجيهاتها ما دام يرى فيها مرجعية الأمة كلها بمنتهى الحرص على سلامتها وكرامتها ووحدتها . . . ومن الجدير بالذكر أن الأخوة الاكرد يخلدون في قلوبهم هذا الموقف الوجداني الرائع من المرجعية الواعية الرشيدة الحريصة على أداء مسؤوليتها تجاه أمتها بكل جدارة واهتمام وتقييد ومراعاة للوظيفة الشرعية مهما كلف ذلك من أثمان وتبعات ، ولا زالت هذه الفتوى جاذبة عميقة قديمة من جواذب الاكرد إلى حياض المرجعية التي لم يروا فيها إلا النبل والإيثار والموقف

لقد تجلت في مرجعية الإمام الحكيم ﷺ مفردات زاهرة للسعي التوحيدي للأمة ، والذي كانت ترى فيه (وظيفتها الشرعية) ولا معدى لها عن القيام به ؛ لأنه تكليف من تكاليف الدين ، وحكمة عملية من حكم العقلاء ، وسياسة رشيدة من سياسات القادة الأفاضل الذين يجدون في تأليف شمل الأمة ولم صفوفها سبيلهم المثلى إلى بلوغ الهدف الأسمى وهو عزة الأمة وسيادتها وشموخها .

من أهم تلك المفردات الكريمة التي لمعت في الجهود الوجدانية المناهضة للحساسيات الطائفية والمذهبية والعرقية ما يلي : -

١- فتواه المشهورة بحرمة القتال بين العرب والاكرد ، حيث كأن يرى في ذلك صراعاً ظالماً تحركه المصالح والمطامع الخبيثة التي تتساق وراءها السلطة الحاكمة ،

المشرف الذي يحرص على رد العادية عنهم ، وأداء حكم الله في دفع الأذى عن ساحتهم .

ومما يجب ذكره في تفصيلات موقف الامام الحكيم من القضية الكردية ، وفتواه ضد الحرب على الاكراد - أن النظام العراقي في عهد عبد السلام عارف حاول أن يجند الدين والفتوى ضد الاكراد ، ليحرك العاطفة الدينية عاملاً قوياً في الحرب عليهم ، فقام بعقد مؤتمر في العراق دعا إليه رجال الدين من داخل العراق وخارجه ، حيث حضره رجال الدين السنة وعلى رأسهم شيخ الأزهر ، وكانت نتيجة المؤتمر إصدار فتوى تدين الاكراد ، وتصفهم بالبغيّة الذين تجب محاربتهم حتى يفيئوا إلى أمر الله . وقد رفض الامام الحكيم ورجال الدين في الحوزة حضور هذا المؤتمر رغم الضغوط التي تعرضوا لها . ولم يكتف الامام الحكيم بهذا الموقف ، بل قام بعقد مؤتمر مضاد لمؤتمر السلطة وذلك في صحن الامام الحسين في كربلاء ، وكانت نتيجته اعلان حرمة محاربة الاكراد ؛ لأنهم مسلمون ، ويجب حل المشكلة معهم بالطرق السلمية . واخذ الامام الحكيم يفتي الجنود الذين يستفتونه عن موقفهم من الحرب ضد الاكراد بأنها أمر حرام . وحين جاء البعثيون إلى السلطة وواجهوا هذا الموقف الشرعي الصارم من الامام الحكيم ضد مقاتلة الاكراد قاموا باتهام ولده السيد

مهدي الحكيم بالخيانة والتآمر في تعاونه مع البرزاني .

ومما يسجل للامام الحكيم في هذا المجال انه كأن يرفض استقبال عبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن لمواقفهما الطائفية المدمرة لوحدة الأمة ، ولحربهما على الاكراد ، والتي تسعى أن تفصل جزءاً من الشعب من جسده ، وتصدّه عن تحمل مسؤولية المصير المشترك .

٢- فتوى الامام الحكيم بوجوب حماية الوجود الفلسطيني المسلم المقاوم ، ومساندته ضد العدو الصهيوني الغاشم الذي استباح حرّات فلسطين وأهلها ، وعاث في مسرى الرسول وأولى القبليتين فساداً ، وشكل في جسد المسلمين ورماً خبيثاً يدمر بالتدريج سلامة كيانهم ويريق مجدهم في عزّتهم وكرامتهم واستقلالهم .

وقد تجلّى في هذه المواقف جهد المرجعية التوحيدى على مستوى الأمة قاطبة بمنأى عن النظر إلى الحدود المذهبية والجغرافية ، وإذا كانت الفتوى السابقة في النقطة الأولى تعبر عن دأب تلك المرجعية في شدّ أواصر اللحمة الوطنية داخل الحدود الجغرافية لبلد واحد فإن فتواها في الشأن الفلسطيني مثال شامخ على شعور هذه الريادة الربانية بأنّ وظيفتها وتكليفها هما فوق القيود والاعتبارات المصطنعة الزائفة ، وأنها حريصة اشدّ الحرص على وحدة الأمة وتواشجها والتحام عراها على كل صعيد

وقد أثر موقف الامام الحكيم من العمل الفلسطيني على موقف مقلديه في جبل عامل في لبنان ، الذين راحوا على خطى مرجعهم ووكيله آنذاك السيد موسى الصدر في لبنان يحتضنون العمل الفلسطيني بكل حب واحترام واسناد ، حيث لم تكن تؤويهم في ذلك الوقت لا سوريا ولا لبنان .

٣- وفي نفس ذلك المنحى التوحيدى الواعى السيد المتعالى على صغائر الهموم وعلى الأثارات اللئيمة التي يحركها الاعداء كأن طلب تلك المرجعية الرشيدة من الرئيس جمال عبد الناصر التراجع عن حكمه بإعدام المفكر الاسلامي سيد قطب ورفاقه الذين اتهمتهم حكومة مصر بالتآمر لقلب نظام الحكم بالقوة ، ومحاولة اغتيال رئيسه ، في قضية مدبرة ضد تيار الاخوان المسلمين وحركتهم الصاعدة التي أحس فيها المستعمرون وأذئابهم خطراً اسلامياً يهدد مصالحهم ونفوذهم ومشروعهم الاستكباري على ارض مصر .

وقد تناست هذه المرجعية وهي تتخذ موقفها الكريم ذاك ما أثاره بعض المتحجرين والمنغلقين وذوي النزعات الضيقة على تلك الشخصية الاسلامية الكبيرة (سيد قطب) من إثارات مذهبية بادعاء انه على غير مذهب أهل البيت ، وأن له كلمات مسيئة لأهل البيت وشيعتهم في

وبلا استثناء ، وأنها لا تحدها حدود جغرافية ، ولا تصدها عن ذلك الهدف المقدس حواجز مفتعلة ، حاول من خلالها أعداء الأمة المتربصون الماكرون أن يفرقوا بها شملها ، ويقسموا كيانها ، ويشتتوا صفها تحت عناوين مذهبية ، وجغرافية ، ولغوية ، وعرقية . ولم يكن ليخطر في بال تلك المرجعية في مواقفها الباهرة على طريق الوحدة - أن أكثرية الاكراد الذين وقفت إلى جانبهم هم على غير المذهب الذي تتعبد الله به ، وأن الفلسطينيين الذين دعت إلى نصرتهم وإعزازهم ومساندتهم على عدوهم هم كذلك على غير مسارها المذهبي ، فقد نزعته هذه المرجعية من ضميرها الريادي الرشيد كل الاعتبارات والحساسيات التي تنغل على القيادات الوضعية الزائفة .

وقد كان الموقف الفتوائي الشامخ للأمام الحكيم لإسناد القضية الفلسطينية على مرحلتين :

١- مرحلة إصدار فتوى بإسناد العمل الفدائي .

٢- مرحلة إصدار فتوى بصرف الزكاة والحقوق الشرعية في مجال دعم ذلك العمل الجهادي الكبير .

وقد كان مندوبو منظمة التحرير في العراق يراجعون الامام الحكيم في شؤونهم ، وقامت أوساطه بحملة واسعة لجمع التبرعات لإسناد العمل الجهادي الفلسطيني .

بعض كتبه .

لقد نسي الامام الحكيم او تناسى تلك الامور التي يراها ازاء الهجمة الاستكبارية الشاملة على الإسلام وأتمته ورجالات الدين ورموزه ، أموراً جزئية قد تحركها الاجتهادات العلمية ، ووجهات النظر الثقافية ، وهي قابلة للرد والنقاش والحوار الهادئ ، ولا يجوز الالتفات اليها من قبل المرجعية التي تحمل على كاهلها عبء التصدي لريادة الأمة على مسار المواجهة الحامية في ميدان الدفاع عن حرمة الرسالة . ونسي الامام الحكيم كذلك ما يسببه موقفه في قضية سيد قطب ورفاقه ، ورفضه لاعدائهم من الحساسية بينه وبين جمال عبد الناصر القائد العربي المعروف في حينه ، وبينه وبين التيار القومي المناصر له في طول الوطن العربي وعرضه .

٤- موقفه بدعم النشاط السياسي السني في العراق ، حيث قام بتأييد تأسيس الاخوة السنة لحزب سياسي إسلامي هو (الحزب الإسلامي) ، الذي أسسه نعمان عبد الرزاق السامرائي الذي واجه عقبة الرفض من حكومة عبد الكريم قاسم التي سمحت بإنشاء الأحزاب السياسية لكنها تحفظت ومانعت من إيجاد الأحزاب الإسلامية بضغوط العلمانيين وتأثيراتهم .

وقد قام رئيس الحزب بزيارة الامام الحكيم للحصول

على دعم معنوي وسياسي اثر أثره الكبير في اجبار المحكمة العليا على إصدار إجازة لتأسيس هذا الحزب . ولم يكن الامام الحكيم ليتحفظ ويتحسس من مجيئ حاكم سني في العراق ما دام يحكم بالعدل ، وكانت كلمته المشهورة في هذا الصدد :

« اذا جاء حاكم سني عادل فأنا أكون إلى جانبه ، وإذا جاء حاكم شيعي ظالم فأنا أحاربه » .

٥- موقف الامام الحكيم من الغزو الاستعماري الانكليزي على العراق والذي تمثل في عدة أمور : -

أ- مشاركته الفعلية في صد العدوان البريطاني على جنوب العراق ، وكان ذلك في العشرينات من عمره ، تحت قيادة علماء الحوزة من قبيل السيد مهدي الحيدري ومحمد سعيد الحبوبي ، وليس خافياً أنَّ هذا الموقف الخالد يعبر عن توجه توجيدي للأمة التي كأنَّ حكامها العثمانيون يمارسون بدوافع طائفية ومذهبية تحريك التيار السني ضد الشيعة ، لعزلهم وحرمانهم من حقوقهم السياسية والمدنية وعلى كل الأصعدة ، ولم يكن علماء الحوزة بمن فيهم الامام الحكيم يعيرون اهتماماً لموقف العثمانيين القاسي ضد مسارهم (خط أهل البيت) وضد حوزتهم ، ولا يحفلون بكون الوجود البريطاني على العراق هو لضرب الدولة العثمانية التي كانت تخوض الحرب ضد

ملاح الصورة القبيحة التي كانت مطبوعة في ذهن هذا الشارع ضد الاحتلال البريطاني والحكومة التي أوجدها .

٦- موقفه الداعم للمسلمين الكشميريين الذين يخوضون الحرب ضد جيش الاحتلال الهندي الذي قام بالاستيلاء على أرضهم كشمير وضمها إلى الهند ، وقد تجلّى إسناده لهم في ضغطه السياسي المباشر على الحكومة الهندية ، وعن طريق سفارتها في العراق ، وتجلّى كذلك في دعمه المعنوي لهم عن طريق مقلديه في منطقة شبه القارة الهندية ، حيث كان هو المرجع الثاني هناك بعد السيد البروجردى .

البريطانيين ، ولم يكن نصب أعينهم إلا قضية الدفاع عن الإسلام في إطاره العام ، ووحدة الأمة ، وحرمة التراب الوطني ، ولم يكونوا يعانون من عقدة التخندق الطائفي والنزعة المذهبية التي تعاني منها السلطة الحاكمة آنذاك (الدولة العثمانية السنية المتطرفة ضدهم) .

ب- رفضه التعاطي مع الحكومة التي أنشأها الانكليز في العراق ، والتي كانت تبعد الإسلاميين وتأتي بمن تسميهم الوطنيين .

ج- أمره الناس بعدم استلام الأموال التي كانت تقدمها الحكومة البريطانية في العراق لدعم مجالس العزاء وبعض المؤسسات الدينية لكسب عاطفة الشارع الشيعي ، وتغيير

الامام الخميني

متزامنة مع أولوية الثورة الاسلامية ، لأنَّ الوحدة في داخل الشارع الايراني المسلم وفي التيار الشعبي المسلم في شتى أقطار العالم الاسلامي هي الوقود المادي والمعنوي الذي يزود هذه الثورة بالطاقة اللازمة للحركة وديمومة المقاومة ، وقد تمثلت الأمور والمواقف التي بادر إليها الإمام الخميني (رضوان الله عليه) لإيجاد هذه الوحدة ، وتمكينها من تحقيق الهدف المنشود من وجودها في محاور كثيرة منها :

١- دعواته الكثيرة المفعمة بالصدق والاشفاق واللوعة والتطلع لعودة الأمة المسلمة إلى سابق عهدها مع وحدتها والفتها ، لتعود اليها عزتها وكرامتها وشوكتها ومجدها المذال .

٢- نداءاته الهائلة إلى أمة الاسلام لنبذ الصراعات

كان الامام الخميني مشروعاً إسلامياً معجزاً اقتحم أسوار المحظور ، منتفضاً من تحت دثار القرون والحجر والفيتو الإستكباري الصارم على الحالة الإسلامية ، وقد كانت معالم هذا المشروع تتمثل في :

١- إعلان الثورة الإسلامية الساعية إلى بناء الدولة التي تقوم على أساس القرآن .

٢- إعلان الوحدة الاسلامية لقيام الجبهة الايمانية التي تضم شعوب الاسلام قاطبة .

٣- إعلان الوحدة العالمية بين مستضعفي الأرض ، والتي ينجم عنها تحالف الأمم المستضعفة ضد الطغاة والمستكبرين .

وقد كانت قضية الوحدة الاسلامية على رأس أولوياته ،

المذهبية والطائفية التي يحركها أعداء الأمة ، والتمسك بعروة الله الوثقى وهي عروة الإسلام الأصيل الذي يجمع ولا يفرق ، ويلم شمل الأمة في اطاره الجامع الذي وجدت فيه منتهى كرامتها وشموخها وسعادتها .

٣- دعواته الوافرة لحكام العرب والمسلمين أن يكونوا مع شعوبهم يداً بيد على طريق الوحدة الاسلامية ، واقامة مشروع الحلف الاسلامي الذي يتصدى لحلف الكفر العالمي وجبهة الباطل التي يقودها الشيطان الاكبر ، وسنقرأ معاً في آخر هذا الفصل مجموعة من هذه الدعوات .

٤- النداءات على الاصعدة الثلاثة ، وسنرى فيها ذلك القلب السليم الطافح بالألم لما تعانيه أمة القرآن من بلية الاختلاف ومحنة الشتات .

٥- اعطاؤه الأولوية القصوى لشأن الوحدة الاسلامية في المشاريع السياسية والاقتصادية والاعلامية والثقافية لانجاز مشروع الوئام الاسلامي ، وفي منع أي مظهر من المظاهر التي لا تساعد على بلوغ هذا الهدف الكبير .

٦- تبنيه القضايا الاسلامية المصيرية الكبرى مثل قضيتة فلسطين التي تهتم المسلمين جميعاً بلا استثناء ، وقيامه بدعائها بمنتهى صور الدعم التي لم توفرها لها أية جهة أخرى ، مع أن الطيف العام في ارض فلسطين وفي

المقاومة الفلسطينية هو طيف لا ينضوي مذهبياً تحت لواء المذهب الذي ينتمي اليه قائد الثورة الراحل .

٧- دعمه لكل قوى التحرر الاسلامي في أقطار العالم الإسلامي وفي كل العالم ، وهي في الأعم الأغلب لا يجمعها برائد الثورة الإسلامية إلا مشترك الإسلام ، حيث لا عبرة عنده بالأطر المذهبية الضيقة التي يريد لها المتحجرون من أهلها أن تكون موازن بين المسلمين .

٨- دعوته الاكيدة إلى إقامة مشروع الجيش الإسلامي الواحد الذي يضم عشرات الملايين من ابناء الامة ، لأن مثل هذا الجحفل الجرار من الطاقات الاسلامية هو الكفيل بصد العدوان على بلاد المسلمين ، وتحرير أوصالها المغتصبة ، وإعادة شخصيتها واستقلالها وعزتها ، وجعلها مهابة ، مكرمة ، يخشاها الطامعون ، ويحسبون لها ألف حساب قبل أن يفكروا بإلحاق الأذى بها .

٩- اعلان يوم الجمعة الاخير من شهر رمضان يوماً رسمياً عالمياً للتضامن الاسلامي مع بيت المقدس الشريف المغتصب ، وجعل هذا اليوم محوراً للألفة الاسلامية ، واتحاد الايادي المسلمة التي ترتفع هاتفة في المظاهرات الحاشدة بالموت لاسرائيل ، وبعودة القدس السليبة إلى أهلها الشرعيين وهم المسلمون .

الشرعيين في السعودية من خلال تحديدهم لرؤية هلال
ذي الحجة .

باقات وحدوية من كلام الامام الراحل

لو كأنَّ حكام البلاد الاسلامية اسلاميين وقيمون
حكم الله لما اوقعوا شعوبهم وبلدانهم في هذه الصراعات
والحساسيات والذلة التي تكابدها امام عصابة صهيونية
خائبة في فلسطين .

انما سعينا لاقامة الحكومة الاسلامية من اجل ايجاد
الوحدة الاسلامية ، واخراج الاسلام من تحت نفوذ
المستعمرين وعملائهم .

يجب على المسلمين قبل أي شيء أن يتحلوا بالوعي
الكامل لوضعهم وظروفهم وما يحيط بهم ، وأن يجعلوا
مصلحة الاسلام والأمة نصب اعينهم ، فيبادروا إلى توحيد
كلمتهم وجمع صفوفهم .

لقد كأنَّ نبي الاسلام يسعى إلى ايجاد وحدة الكلمة في
كل المعمورة تحت لواء التوحيد ، وقد استطاع أن يحقق
ذلك في ربعا ، وحالت بينه وبينها ، وبين بلوغ هدفه
النهائي حوائل القوى المعادية .

إنَّ شعب ايران لا يرى نفسه منفصلا عن شعب
العراق ، وقد كأنَّ على الدوام في رأس قائمة الدفاع عن

١٠- اقامته مشروع البراءة من المشركين في موسم
الحج ، والذي اعتبره فرضاً واجباً يؤدي فيه المسلمون
الايرانيون بمشاركة اخوانهم في البلاد الاسلامية - وظيفة
المسيرة الموحدة في مكة المكرمة لاعلان البراءة من
المشركين والمستكبرين ، والرفض المطلق لهيمنتهم
على مقدرات المسلمين ، والتأكيد على الوحدة الاسلامية
من خلال الشعارات الوحدوية وأبرزها الشعار المعروف (يا
ايها المسلمون ، اتحدوا ، اتحدوا) .

١١- ترتيب مشروع أسبوع الوحدة من الثاني عشر إلى
السابع عشر من ربيع الاول أي بين التاريخين المعروفين
لدى المسلمين لولادة النبي المصطفى ﷺ ، ويتم في
هذا الاسبوع دعوة علماء المسلمين وشخصياتهم لحضور
مؤتمر الوحدة الذي تنصب اهتمامات المشاركين فيه على
قضية الوحدة الاسلامية - معالمها - آفاقها - موجبات رشدتها
- آفاتهما وموانعها - عوامل نجاحها وتحقيقها .

١٢- فتواه الصارمة لحجاج بيت الله من المسلمين
الايرانيين وغيرهم من الشيعة بوجوب حضور صلاة
الجماعة والجمعة التي تقام في الحرمين ، والاقتداء
بأئمتها وهم من اهل السنة طبعاً ، كما ألزم المسلمين
الايرانيين وشيعة العالم الاسلامي الحاضرين في الحج أن
يؤدوا مناسكهم في الموقفين حسب توقيت القضاة

هذا الشعب في محنه ومشكلاته ، ولا ينسى هذا الشعب مواقف السيد اليزدي والميرزا الشيرازي في التصدي للعدوان على حريمه ومقدساته ، وبغض النظر عن الاعتبارات السياسية قام الشعب الايراني بتقديم الدعم الاقتصادي اللازم لشعب العراق المظلوم لأن المسلمين يجب أن يكونوا يداً واحدة ليتمكنهم أن يقطعوا ايادي المستعمرين التي تريد أن تعبت في مقدراتهم وخيراتهم .

يجب اليوم على كافة المسلمين وعلى الحكومات الاسلامية والعربية بالخصوص تقديم الدعم المطلوب للفدائيين المجاهدين في فلسطين ، ليستطيعوا أن يواصلوا مسيرتهم النضالية على طريق تحقق الهدف المنشود بالتوكل على الله ، ولالتزام بتعاليم القرآن ، ليحرروا فلسطين ، ويعيدوا المجد الاسلامي وشرف المسلمين ، ويجب على المسلمين في هذا الاتجاه أن يوحّدوا كلمتهم ، ويجمعوا صفوفهم ، ويتخلصوا من دواعي الاختلاف وأسباب التفتت الداخلي المدمر .

ندائي للأخوة العرب والمسلمين جميعاً هو (تعالوا وضعوا يداً بيد ، واتركوا اختلافاتكم جانبا ، واجعلوا سندهم ومحوركم هو الإسلام ، لتكونوا بما لديكم من القدرة المعنوية للإسلام ، ومن الإمكانيات المادية التي لا تحصى - قوة مهابة لا يفكر أعداؤكم معها بالتسلط عليكم أو نهب

ثرواتكم) .

يجب علينا جميعاً أن ننهي عن الضغينة ، وأن نجعل شعارنا الوحدة الإسلامية ، فإننا بها تحت لواء لا اله إلا الله سوف ننال النصر المؤزر ، ونكون قدرة فوق كل القدرات .

المشكلة الأساسية للمسلمين هي بعدهم عن الإسلام ، وعدم التزامهم بأمر الله سبحانه : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ ، ولو أنهم استجابوا لما في هذه الآية من الأمر والنهي لاستطاعوا رفع كل معضلاتهم .

يا مسلمي العالم ، وأتباع راية التوحيد ، أن سر كل المكابدات التي تعاني منها الدول الإسلامية هو اختلاف الكلمة ، وعدم التعاون ، وهما مدعاة عدم الانتصار . ما الذي جرى لكم وأنتم الذين دحرتهم بالقوة القليلة في صدر الإسلام تلك القوى العظمى ، وأوجدتم أمة إسلامية إنسانية كبرى ؟ . انهضوا ووحّدوا كلمتكم ، وارفعوا القرآن بأيديكم ، واعملوا بأمر الله لتعيدوا اللحمة بين القلوب التي يجب أن تتوحد وأن بقيت الحدود على حالها .

إن جعل المسلمين يوم القدس العالمي محورا للوحدة والظهور فيه جميعاً بهتاف واحد ، (الموت لأمرىكا الموت لإسرائيل) سيكون بمثابة موت لهؤلاء الذين لم يزل همهم أن يزرعوا فتنة الاختلاف بين المسلمين ، ويفرقوا كلمتهم ، ليتسلطوا عليهم ، وينهبوا ثرواتهم .

اليوم هو يوم الإخاء الإسلامي والمسلمون هم أخوة ويد واحدة على من سواهم ، ولا تضرهم الدسائس التي تحاك لهم لتفريقهم ، وجعلهم فئات متناحرة تحت مسميات شيعة وسنة ، وجعل الشيعة تتصارع من داخلها أيضاً ، وهكذا الأمر بالنسبة للسنة .

دعائي الخالص إلى الله سبحانه وتعالى أن يعي المسلمون أمورهم ، وأن يتحركوا باتجاه تحقيق المقاصد الإسلامية ، وأن يقطعوا الأيدي التي تثير الخلافات بينهم ، وأن يكونوا مثل اسنان المشط ، وهذا ما أراده الإسلام لهم ، دون أن يكون هناك أي أثر للون أو العرق في إيجاد الفواصل والمواثر بينهم .

أليس عارا على مسلمي العالم أن يخضعوا للطغاة من المستكبرين وقطاع الطريق ، وهم يمتلكون هذه الإمكانيات الهائلة من البشر والثروات والقدرة المعنوية ؟ ! .

ألم يحن الوقت لهم للتخلص من الأهواء والرغبات النفسية ، ويمد بعضهم إلى بعض يد المحبة والأخوة ليتخلصوا من أطواق الذل والهوان والتبعية ، ليكون لديهم جواب مقبول أمام الله الذي دعاهم إلى الاعتصام بحبله ، ونهاهم عن الاختلاف والتدابر ؟ .

لقد انصبت جهود الشياطين من أعداء الأمة على

فصل جناحي (السنة والشيعة) عن بعضهما ، وجعل هذه الطائفة تكفر تلك ، وجعل كل واحدة منهما مجموعة من الفئات المتصارعة . لقد مزقوا كيان الأمة بهذه الأحزاب المصطنعة ، وادخلوا علينا قضية القومية بواسطة من يسمونهم بالمتنورين والمثقفين ، فرفعوا شعارات الأمة العربية ، والأمة الفارسية ، والأمة التركية ، لتكون حرباً في خاصرة الشعار الإسلامي .

إن من أهم المسائل السياسية في القرآن دعوته للوحدة ، ونهيه عن التفرق ، وهما إعلان سياسيان مهمّان في الإسلام . وهناك أصل مهم آخر وهو عدم الخضوع للكفار ، والبقاء تحت نفوذهم وسلطتهم ، ولكننا نلاحظ مع الأسف أن المسلمين وهم أتباع القرآن قد تحولوا إلى فئتين : فئة كبرى هي الشعوب ، وفئة صغيرة وهي الأيادي الحاكمة التي لم تتحد فيما بينها لتتحد شعوبها على أثرها .

أملّي من الله سبحانه أن يوفق المسلمين لليقظة والوعي والالتفات إلى ما يحيط بهم من المكائد ، وأن يدركوا أنهم لو لم يقفوا في وجه أمريكا وأذنانها ، ولو أعطوهم الفرصة لاستباحوا كرامة المسلمين وثرواتهم ، فإن آمال أمريكا وطموحاتها ليست محدودة ، وهي تريد بسط نفوذها على كل العالم ، مع أن اليوم هو يوم أن يتحد

المسلمون جميعاً ، ويوجهوا الضربة القاصمة إلى أمريكا ، وهو قادرون على ذلك بوحدتهم وطاقاتهم وثرواتهم التي ترى فيها أمريكا شريان حياتها .

إنَّ شعار لا اله إلا الله هو محور وحدة المسلمين وسر عزتهم وانتصارهم ، وإذا لم يجتمعوا تحت لوائه ، ويتكاتفوا متعاضدين في رحاب الإخوة الإسلامية لا يستطيعون أن يقفوا في وجه القوى المعادية لهم .

إذا تحققت الوحدة الإسلامية بين حكومات الدول الإسلامية وشعوبها استطاعت هذه الحكومات وبإسناد الشعوب أن تشكّل جيشاً دفاعياً مكوناً من عشرات الملايين من الطاقات المسلحة تحت لواء الإسلام ، ليكونوا بذلك أكبر قوة في العالم ، ولينعموا بالخلاص من الذل والخضوع أمام القدرات المستكبرة ، ويتذوقوا طعم الحرية والاستقلال .

إنَّ وحدة المسلمين هي الشرط الأساس لأداء مناسك الحج ، وعليهم أن ينبذوا كل الاعتبارات والعناوين الزائفة المفرقة : اللون ، الجنس ، اللغة ، القبيلة ، الطائفة ، الحدود ، والعصبيات الجاهلية ، وأن تتصافح أيديهم بحرارة المحبة ، ويطلقوها صيحة واحدة بالبراءة من الظالمين والطغاة .

إنَّ البلية الأخطر من بلية القومية على أمتنا هي فتنة

الخلاف بين السنة والشيعة ، والتي تثيرها أمريكا والصهيونية وأذناهما من المنافقين ووعاظ السلاطين ، لتفريق وحدة المسلمين ، والقضاء على السنة والشيعة معا ، وأن الذين يثيرون هذه الفتنة من داخلنا ليسوا سنة ولا شيعة ، وليس لهم شأن بالإسلام ، وإلا كيف يبادر مسلم إلى افتعال فتنة الاختلاف وهو يعلم أن عزنا ونصرنا في أيام مجدنا هو في وحدتنا التي وجد المستكبرون فيها سر هزيمتهم أماننا ، وسعوا بكل جهدهم إلى تحطيمها وشل فاعليتها ودورها ، لذلك يجب على الجميع أن لا يصغوا لأي نداء من الخارج لضرب الإسلام .

يجب على الإيرانيين وشيعة الدول الأخرى أن يحترزوا من التأثير بأفعال الحمقى التي توجب تفريق صفوف المسلمين ، وأن يحضروا في صلاة الجماعة التي يقيمها أهل السنة في موسم الحج ، وأن لا يقيموا صلاة جماعة خاصة بهم في أماكن إقامتهم . وأن يقوموا بمتابعة قضاة أهل السنة في توقيت المناسك حتى مع القطع بأن الواقع في خلافهم ، وأن يتجنبوا القيام بالأعمال التي تضر عيد الوحدة ، واجتماع الكلمة .

نحن أبناء أمة واحدة هي أمة الإسلام ، ونريد خدمته وإعرازه ، وأن العناوين المفرقة مثل سنة ، وشيعة ، وحنبلية ، وشافعية ، وأخبارية - هي أمور غير صحيحة من

الأساس ، ولا ينبغي أن يتم تداولها ، وأن الاختلاف
الفتوائي بين اجتهادات هذه المذاهب ليس مبرراً
لاختلافها الذي ليس في مصلحة أي واحد منها ، بل هو
في مصلحة عدوها الذي يريد أن يقضي عليها جميعاً ،
يجب أن تبقى أمة القرآن والتوحيد ، وأن تنصب جهودنا
على عزتهما وبسط لوائهما .

الإمام الشهيد الصدر

والمذهبية والحساسيات الضيقة ، حتى اتهمه أعداؤه لذلك بأنه ذو ميول سنية ، وينزع من منزع الأخوان المسلمين . وقد كتب له مبادئه والخطوط العامة لسياسته وبرنامجه ، والتي كانت حافلة بالتركيز على وحدة الأمة ، وتلاحمها ، واتحاد فصائلها ، وخير شاهد على ذلك بحثه القيم العميق بعنوان (رسالتنا قاعدة للوحدة) ، والذي جاء فيه : « الوحدة في كل ما يجب أن تكون فيه شعار من شعارات الإسلام الكبرى التي لا يفتأ الإسلام يدعو إليها ، وإلى تحقيقها في الواقع المعاش ، لتكون لهم القوة ، والمنعة ، والغلبة حين يلتحمون مع عدوهم في صراع » .

وهذه الوحدة التي دعا الإسلام أتباعه إلى تحقيقها تتميز في أصولها وفي مظاهرها عن الوحدة التي تبشر بها الرأسمالية الغربية والاشتراكية الماركسية .
ففي المجتمعات الرأسمالية تجد المجتمع موحداً في

الحديث عن الشهيد العظيم الإمام السيد محمد باقر الصدر رحمته الله ومتبنياته في الوحدة الإسلامية هو حديث طويل ذو شجون ؛ لأنه حديث عن ذلك القلب الذي تمحض عشقاً وشوقاً وذوباناً في عقيدته وأمته ، وعن ذلك الوجود الإنساني الشامخ الذي نذر نفسه للمكرمات التي كأنَّ على رأسها الحرص الفذ على سلامة الأمة ، وكرامتها ، ووحدتها ، وعزتها في الفتى ، وخلصها من أسر طغاتها ، ونجاتها من براثن جلاديتها . ويمكن أن نجمل مواقف الشهيد الصدر رحمته الله في هذا المجال في النقاط التالية : -

١- لقد عايش رحمته الله هم الأمة في مشاكلها مع الانحراف ، وفي تمزقها ، ومكابداتها مع الظالمين بسبب اختلافها وصراعاتها المفتعلة التي أثارها في أوساطها مكائد المستكبرين وأذئابهم ، ومن هنا بادر إلى إيجاد تنظيم منفتح ، مستوعب ، بعيد عن العقد الطائفية

الظاهر ولكن الوحدة فيه تقوم على وحدة المصالح الشخصية والحزبية أو الطبقية ، فإذا حدث ما يهدد مصلحة من هذه المصالح حدث الانشقاق والتصدع ، وتبين أنَّ الوحدة الظاهرة كانت سرايا خادعا . واطهر مثل على هذا (فرنسا) التي تصدعت وحدثها في أخطر ساعة من ساعات وجودها ، وكانت النهاية هي إنهيارها أمام الغزو الألماني في ساعات .

وفي المجتمعات التي تدين بالماركسية ومن قبلها المجتمعات النازية والفاشية نجد المجتمع موحداً في الظاهر أيضا ، ولكنها وحدة مفروضة من خارج ، وحدة تقوم على إنكار كل قيمة حقيقية للفرد الإنساني ولما له من مجال خاص يجب أن ينمو فيه نمواً حراً يتيح لكافة قواه أن تبعد وتزدهر ، وحدة تقوم على القسر ولا تقوم على الطوعية والاختيار ، وحدة يفرضها إرغام الدولة ولا يبعث إليها الشعور النابع من العقل والقلب ، ومن ثم فمصير وحدة كهذه إلى زوال عند أول فرصة تلوح للأفراد الذين يتوقون إلى تحقيق ذواتهم ، وكل وحدة لا تنشأ من داخل ، وحدة مزيفة لا تلبث أن تزول ؛ لأنها لا واقع لها في نفوس الأفراد . إنَّ الوحدة الصحيحة هي المعبرة عن حاجة نفسية عميقة توشج بين الأفراد برباط من الحب والمودة والألفة ، ولا شيء كالدين يمكن أن يبعث على

وحدة من هذا القبيل ، والوحدة القائمة على الدين هي الوحدة النابعة من القلب ، الثابتة الراسخة مهما تنوعت مصالح الأفراد والأحزاب والطبقات ، لأنها وحدة تقوم على أصل ثابت عند الجميع ، مشترك بين الجميع .

وهذه هي الوحدة التي دعا الله تعالى عباده المتقين إلى تحقيقها ، هي ليست وحدة المصالح ، وليست وحدة الإرغام ، وإنما هي وحدة تنبع من القلوب المؤمنة بالله .

إنَّ الوحدة التي دعا إليها الإسلام هي الوحدة المسيرة لواقع الكائن الإنساني ، إنها الوحدة التي تترك للفرد مجاله وشخصيته ، وتهيئ له جميع وسائل النمو والابداع والتفتح ، وتوازن بين طاقاته فلا تغلب فيه طاقة على طاقة ولا استعداد على استعداد . والإسلام يساير الواقع فلا يدعو المسلمين إلى الوحدة ، ثم يترك في صميم الكيان الاجتماعي العناصر التي تهددها ، إنه يعني بما يوفر لهذه الوحدة الثبات والديمومة ، وينظم مصالح الأفراد والطبقات والمصالح العامة ، ويوفر لها الانسجام فلا تتصادم فتؤدي بالمجتمع إلى التصدع والانحلال .

إنه يعني بكل ذلك ، ويهيئ له الحلول العادلة الصحيحة ، ثم يدعو إلى الوحدة ، وهذه الوحدة النابعة من القلوب ليست مظهرا للمسلمين وحدهم وإنما هي مظهر لكل المؤمنين المصدقين برسالات السماء .

وقد تحققت هذه الوحدة بين المسلمين في أروع مظاهرها على عهد رسول الله ﷺ ما وسعهم ، وبها تحققت للمسلمين الغلبة على أعدائهم الكثر . وقد كان أعداؤهم على خلافهم في ذلك ، كانوا متفرقي النفوس ، موزعي القلوب ، كل نفس لها غاية ، وكل قلب له هوى ، ومن هنا هوى الله من شأن اليهود - أعداء الاسلام التقليديين - حين كشف عن ضعفهم الناشئ عن تفرقهم بقوله تعالى :

﴿بِأَسْهُمٍ يَبْتَنُهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾
[الحشر/ ١٤] .

أما المسلمون فكانوا كما قال تعالى :

﴿أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ .

مرصوص في مظهره ، ومرصوص في معناه ، توحده وتلاحم بين أجزائه النظرة الواحدة إلى الكون والحياة والانسان ، والفكرة الواحدة عن الوسائل والأهداف .

ولكن واقع المسلمين الزاهر الباهر تغير حين تغير المسلمون ، وبعثوا عن الاسلام ، وتوزعت قلوبهم وعقولهم دعوات أخرى غير الاسلام ، واستأثرت بنشاطهم غير أهداف الاسلام . ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد/ ١١] .

واليوم يواجه الوجود الاسلامي في العالم واقعاً كالحا ، واقع الاستعمار والصليبية الحاقدة والنزعات المادية اللاحادية ، يواجههم وهم متفرقون ، متفرقون على كل صعيد .

الدعوات الضالة المضلة تتوزع ناشتتهم ، وتبعدها عن الاسلام . والأفكار والتصورات الوثنية تقيم الحواجز الفكرية والعاطفية فيما بينهم ، فقد أفلح الاستعمار في أن يقيم الحياة المعاصرة في كثير من المجتمعات الاسلامية على أصول فكرية وعاطفية ترجع إلى عهد سابق على اسلام هذه المجتمعات . وبذلك حال بين هذه المجتمعات وبين أن تلتقي على الاسلام ، وفتت وحدة المسلمين حين صرف قلوبهم وعقولهم عن أهداف الاسلام .

واليوم وهذه حالة المسلمين في تفرقهم وتشتتهم وتوزع عقولهم وقلوبهم ، تقوم في قلب العالم الاسلامي في فلسطين جماعات من الناس لا يجمع بينها وطن ، ولا لغة ، ولا ثقافة ، ولا عادات ، ولا تقاليد ، شراذم تجمعت من قارات الدنيا كلها ، تريد أن تبني لنفسها وجوداً مستقلاً ، كيانا متميزاً يقوم على وحدة الدين ولا شيء غير الدين . ولذلك فهي تطبع كل مظهر من مظاهرها وجودها بهذا الدين لتبرز هذا العنصر المشترك بينها ، وتقيم وجودها عليه .

هؤلاء هم اليهود ، وهم ماضون في تجربتهم هذه ،

مصرون عليها .

هذه التجربة التي يقوم بها يهود اليوم تحت سمع المسلمين وبصرهم وفي بلد من بلاد المسلمين اغتصبوه وأعانهم على ذلك أعداء الاسلام والمسلمين ، هذه التجربة تضع المسلمين وجهاً لوجه أمام قضية وجودهم كمسلمين ، ومصيرهم كمسلمين . إنهم إذا لم يركزوا وجودهم المعاصر على الاسلام ، ولم يستلهموه حالاً لمشاكلهم ، ولم يتبعوا مبادئه في حياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم ومع غير المسلمين ، فسيقون لقمة سائغة لكل طامع ، وهدفا سهل المنال لكل مستعمر غاشم .

فعلى المسلمين أن يعوا أن خلاصهم الوحيد بالاسلام .

وقد أعلن رضوان الله عليه أفكاره الريادية الجامعة في بياناته الصوتية التي ودع فيها الدنيا ، تاركاً رسالته القيادية الوجودية أمانة في أعناق المتصدين الصادقين مع ربهم وقضيتهم ووحدة أمتهم .

٢- لقد كأن مساره الفكري والسياسي مساراً توحيدياً خالصاً لم تشبه شائبة من توجهات مذهبية أو طائفية أو فئوية إطلاقاً . . . تلك هي تجربة حياته الزكية على صعيديها الفكري والسياسي لم تكن إلا عبارة عن تجرد مطلق عن تلك التوجهات ، وذوبان كامل في الجهود

التوحيدية الصادقة التي كلفته ضريبة التهم من قبل بعض الحمقى من أبناء مذهبه أو حوزته الذين أخذوا عليه انه لم يذكر الخلفاء بسوء ، وانه لم يضع حاجزاً نفسياً بينه وبين العلماء والكتاب والمفكرين المتسننين ، ولا عن ثقافتهم ، ولا التواصل معهم ولقائهم ومحاورتهم ، ولم تتضمن كتبه الشامخة أية إثارات مذهبية أو شتائم للغير كما يريد له المتحجرون والمنغلقون الذين اتهموه بالالتقاطية ، وأدانوه حتى على صغائر الأمور مثل إعجابه بتفسير (في ظلال القرآن) ، وارشاده من يسأله عن كتاب نافع في التفسير إلى ذلك الكتاب ، ودلالته من يستعلمه عن كتاب مفيد في قصص الانبياء إلى كتاب (قصص الانبياء) لعبد الوهاب النجار ، مع أن أهل العلم والبصيرة والوعي يدركون ما في هذين الكتابين مما يستدعي الشهيد الصدر مطالعتهما ، وارشاد من يبتغون الافادة اليهما ، وهما طبعاً كتابان لشخصيتين لا تنتميان إلى مذهبه .

٣- إن الحجة الفاصلة في حقيقة الموقف الوجودي عند شهيدنا الكبير هي بياناته الأخيرة التي لفظ فيها أنفاسه الكريمة في احتجاجه اليتيم في بيته إلا بقية أتت عليها مقصلة الطغاة المجرمين . ونورد منها هنا بيانه الثالث الذي يتضمن بديعة الابداعات في مواقف الصدر التوحيدية التي سجلها في تاريخ المكارم القيادية التي تلتهمع أوسمة للمجد ونياشين

للفخار على صدور القادة الافذاذ الخالدين .

« يا شعبي العراق العزيز !

أيها الشعب العظيم !

إنني اخاطبك في هذه اللحظة العصبية من محتك
وحياتك الجهادية ، بكل فئاتك وطوائفك : بعربك
واكرادك ، بسنتك وشيعتك ، لأنَّ المحنة لا تخص
مذهباً دون آخر ، ولا قومية دون أخرى ، وكما أنَّ المحنة
هي محنة كل الشعب العراقي ، فيجب أنَّ يكون الموقف
الجهادي ، والرد البطولي ، والتلاحم النضالي ، هو واقع
كل الشعب العراقي .

واني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة ،
بذلت هذا الوجود من أجل الشيوعي والسني على السواء ،
ومن اجل العربي والكردي على السواء ، حيث دافعت عن
الرسالة التي توحدهم جميعاً ، وعن العقيدة التي تضمهم
جميعاً ، ولم اعش بفكري وكياني إلا للإسلام : طريق
الخلاص وهدف الجميع .

فانا معك يا اخي وولدي السني ! بقدر ما أنا معك يا
اخي وولدي الشيوعي ! أنا معكما بقدر ما أنتما مع الاسلام ؛
وبقدر ما تحملون من هذا المشعل العظيم لانقاذ العراق
من كابوس التسلط والذل والاضطهاد .

إنَّ الطاغوت وأوليائه يحاولون أنَّ يوحوا إلى أبنائنا البررة
من السنة : أنَّ المسألة مسألة شيعة وسنة ، ليفصلوا السنة
عن معركتهم الحقيقية ضد العدو المشترك .

وأريد أنَّ أقولها لكم - يا أبناء علي والحسين ، وأبناء أبي
بكر وعمر : أنَّ المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني .

أنَّ الحكم السني الذي كان يحمل راية الاسلام قد
افتي علماء الشيعة - قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من
اجله ، وخرج مئات الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصةً
من اجل الحفاظ على راية الاسلام ، ومن اجل حماية
الحكم السني الذي كأنَّ يقوم على أساس الاسلام

إنَّ الحكم السني لا يعني حكم شخص ولد من أبوين
سنيين بل يعني حكم أبي بكر وعمر ، الذي تحداه
طواغيت الحكم في العراق اليوم في كل تصرفاتهم ، فهم
ينتهبون حرمة الاسلام وحرمة علي وعمر معاً في كل
يوم ، وفي كل خطوة من خطواتهم الإجرامية .

ألا ترون - يا أولادي وأخواني - إنهم اسقطوا الشعائر
الدينية التي دافع عنها علي وعمر معاً ؟ ! .

ألا ترون أنهم ملأوا البلاد بالخمور ، وحقوق الخنازير ،
وكل وسائل المجون والفساد التي حاربها علي وعمر
معاً ؟ !

العربي المشؤوم في شمال العراق ، وذلك في محاضرة له
(رضوان الله عليه) في حاضرتة العلمية النجف الأشرف
في ٢٦ صفر ١٣٨٩ هجرية :

« لا بد قبل كل شيء أن ننظف مشاعرنا ، وأن نجعلها
مشاعر صحيحة وإسلامية تنبض بالغيرة على الإسلام لا
بالغيرة على مصالحنا الخاصة ، بالغيرة على الوجود الكلي
لهذا الكيان ، لا بالغيرة على هذا الوجود ، وهذا الوجود ،
وذاك الوجود .

لأننا ما لم ننظف هذا الشعور ونحن في غمرة
الإمتحان القاسي المرير ، ما لم نستطع على أقل تقدير أن
نتنصر في معركة تغيير هذا الشعور ، وفي معركة إيجاد
شعور نظيف تجاه هذا الامتحان ، إن لم نستطع أن نغير
هذا القدر الضئيل من نفوسنا ، كيف نطمح أن نبني أنفسنا
ككل ؟ ، وكيف نطمح أن نبني المسلمين ككل ؟ ، إذن
منطلق الحديث هو هذا الشعور الذي يواجهه الإنسان
الممتحن تجاه محنته .

كيف يكون هذا الشعور؟

كثيراً ما توجد محنة ، وتولد مشاعر متعددة ، وبالرغم
من وحدة المحنة تختلف هذه المشاعر في درجاتها
ومستوياتها تبعاً لاختلاف التصور والتفكير ، واختلاف

ألا ترون أنهم يمارسون أشد ألوان الظلم والطغيان تجاه
كل فئات الشعب ، ويزدادون يوماً بعد يوم حقداً على
الشعب ، وتفنناً في امتهان كرامته والانفصال عنه ،
والاعتصام ضده في مقاصيرهم المحاطة بقوى الأمن
والمخابرات ، بينما كأن عليّ وعمر يعيشان مع الناس ،
وللناس ، وفي وسط الناس ، ومع الأمهم وأمالهم ؟ . . .

يا اخواني وأبنائي من أبناء الموصل والبصرة . . . من أبناء
بغداد وكربلاء والنجف . . . من أبناء سامراء
والكاظمية . . . من أبناء العمارة والكوت والسليمانية . . .
من أبناء العراق في كل مكان ، إنني أعاهدكم باني لكم
جميعاً ، ومن أجلكم جميعاً ، وأنكم جميعاً هدفي في الحاضر
والمستقبل . . . فلتتوحد كلمتكم ، ولتتلاحم صفوفكم تحت
راية الاسلام ، ومن أجل إنقاذ العراق من كابوس هذه الفئة
المتسلطة ، وبناء عراق حر كريم ، تغمره عدالة الاسلام ،
وتسوده كرامة الانسان ، ويشعر فيه المواطنون جميعاً - على
اختلاف قومياتهم ومذاهبهم - بأنهم أخوة ، يساهمون جميعاً
في قيادة بلدهم وبناء وطنهم ، وتحقيق مثلهم الاسلامية
العليا المستمدة من رسالتنا الاسلامية وفجر تاريخنا
العظيم .»

المورد الأخير الذي نذكره كشاهد على نزعة الصدر
الوحدوية هو كلامه الشريف حول أزمة الصراع الكردي

الروحية والاتجاه . وأنَّ اختلاف الشعور يؤدي لا محالة إلى اختلاف الموقف الذي يتخذه الممتحن تجاه محنته .

مثلا هناك محنة يعيشها العراق منذ سنين ، محنة صراع مسلح بين اخوين مسلمين في الشمال ، بين الاكراد وبعض العرب .

قد يكون شعور بعض الناس إزاء هذه المحنة أنَّ كلفته ولده ، أخاه ، صديقه ، قد يعيش هذه المحنة على هذا المستوى ، ويشعر بها بهذه الدرجة ، وهذا هو الشعور الشخصي المحدود بالمحنة .

وموقفه إزاء هذا الشعور أن يُهزَّب أخاه ، أو أباه ، أن يتهزَّب من واجبات القانون حتى في مأساة من هذا القبيل ، ولا يرى له واجبا وراء ذلك .

وأخرى يتعمق هذا الشعور أكثر فأكثر ، فيكون شعوره إزاء المحنة شعوراً إقليمياً على أساس أنَّ أبناء البلد والواحد يتصارعون ويتنازعون فيما بينهم ، وهذا الشعور والانفعال الإقليمي تجاه المشكلة يؤدي إلى اتخاذ موقف أوسع من الموقف الأول ، إلى موقف يفكر فيه بأن يعيد الصفاء والسلام إلى أبناء البلد الواحد .

وقد يكون شعوره أعمق من هذا وذاك ، قد يشعر إزاء المحنة أنَّ المحنة هي نتاج عدم تطبيق شريعة الله تعالى على هؤلاء المسلمين ، إنَّ عدم تطبيق شريعة الله عليهم هو الذي أدى إلى تعميق التناقض بين الأخ وأخيه حتى ولدت مشكلة بين هذا وذاك ، وتصارع الكردي والعربي .

إنَّ هذا الشعور سوف يولّد موقفاً يختلف عن الشعور السابق الإقليمي أو الشعور الأسبق الشخصي ، سوف يجعله هذا الشعور يحمل هم الشريعة ويصل إلى السبب الحقيقي لهذا التوتر .

من ذلك المنحى التوحيدي الصارم الذي اخذ الصدر على نفسه أن يلتزمه مهما كلف الثمن - كأن الصدر حبيب المسلمين جميعاً بلا استثناء ، وقد عشقوه لاسيما في عراق المكرمات على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، وصار فكره العملاق منارة لهم ، وغدت كتبه الباهرة الفريدة مدرسة لعقولهم ، ومستقى لبصائرهم ، تدرس في جامعاتهم وحلقاتهم ، وهم لا يشعرون إلا أنها تمثل الفكر الإسلامي في أوج صفائه ونقاؤه وسعته ، بعيداً عن الضيق ، والانغلاق ، والفئوية ، والتشردم .

الشهيد الصدر الثاني

فعلى صعيد الحوزة دعا رجالها ورموزها إلى الالتقاء والتفاهم والتعاقد ، وأعلنها صريحة جاهرة من على منبر الجمعة في الكوفة - دعوة أخوية صادقة لكل كيانات الوسط الحوزوي إلى الجلوس معاً على مائدة الحوار البناء ، ونبذ الخلافات والحساسيات ، والانطلاق في مسيرة الإخاء الريادي بين الفصائل القيادية الحقيقية التي أن لمت شملها ، وجمعت كلمتها ، كانت شرائح الأمة التي تقتدي بها وتسير على هداها على شاكلتها في التأخي ، والوداد ، والوقوف جنباً إلى جنب في كل خطى المواقع والخنادق ، ليكونوا لرموزهم صفاً واحداً يلبي لهم كل نداء ، ويؤدي لهم أفضل الأداء .

وعلى صعيد الأمة انطلقت نداءاته وبرامجه التوحيدية تفعل فعلها العجيب في مشروعه الوحدوي الباهر ، دعا

لا ريب أن مسار هذا الشهيد الكبير ، ومسيرته ، وما بدر منه في حياته ، وما خلفه بعده من خط وتراث ومنازل وطاقات - كلها تحكي عمق قضية المنهج الوحدوي ، وقداستها ، واصلتها ، وضرورتها عنده رضوان الله عليه .

وكانت مفردة التأليف بين قلوب الأمة ، وجمعها في بوتقة الإخاء الاسلامي والوطني ، مفردة حساسة ولازمة في مشروعه التغيير الفذ الذي مشى فيه نحو مطلع الشموخ على جمر الاذى والتضحيات ، ولا عجب فكل مبدع مخلص دفع ضريبة اخلاصه وصدقه من رد الفعل الذي يولده الجهل ، والحماسة ، وانفعالات الغيظ والحسد .

وقد فتح الشهيد أبواب مشروعه التوحيدي على مصراعيها ، وعلى مختلف الأصعدة .

العشائر إلى الوحدة ، وجعل من نفسه قطب الرchy لإخائها ووحدها ، ورتب لها (السنيّة العشائريّة) التي أراد أن يجمعها بها على محور الشريعة ، ويخرجها بالتدريج من متاهات العرف والعادات والتقاليد الجافية الخارجة عن روح الدين وتعاليمه السامية .

ووجه نداءه الحاني الحبيب حتى إلى الغجر الذين عزلتهم عن الأمة ظروفهم وعاداتهم وتربيّتهم الخاصة - إلى أن يعودوا إلى رحاب الالفّة ، والمحبة ، والإنسجام ، والاستقامة ، مع أمّتهم ورسالتهم . وكأنّ نداؤه الودودي البديع لامته في البرنامج الجامع للقلوب والاجساد وهو (صلاة الجمعة) التي بقيت قروناً متطاولة في ارض الرافدين حبيسة الحظر والحجر بين أطواق السلطة والاحتياط الفقهي الحجتي .

لقد أحيّا الصدر هذه الفريضة المظلومة ، وشد في لحمتها صفوف الأمة ، وجمع في إطارها الوفها بل ملايينها ، وشد بعراها أزرها ، وقوى بأواصرها ظهرها . جمعها بها في مناطقها ومحافظاتها ، ثم جمع محافظاتنا بها في الصلاة الموحدة ، لتسمع شعاراته الجامعة (نعم نعم للإسلام ، نعم نعم للحوزة ، كلا كلا أميركا ، كلا كلا يا شيطان) ، فالتقت جموع الأمة في جمعتها ، وتصافحت أيدي لم تكن لتتصافح فيما عداها ، وأحس كل

عضو في جامعة الجمعة انه من العضو الآخر كمثل أعضاء الجسد الواحد ، لا غناء لأحدها عن غيره ، بل لاحق لأحدها في أن ينفصل عن هذه التركيبة الواحدة العابدة ، في سرائه وضرائه .

وأنّ أيسر ملاحظة لما تركه الشهيد الصدر الثاني من بعده من معالم الخط والمسار ، أو طبيعة التوجهات التي مشى عليها أتباعه ومريدوه اقتداء به وهم سواد الأمة لقيادة من تربوا على أنفاسه ورؤاه - تكشف مظاهر شامخة للانطلاقة الودوية التي أسس لها ، ورفع القواعد من كيانها ، وحدد معالمها ، فأتباعه الاستيعابيون المنفتحون مثلاً يصلون خلف أخوانهم السنة في مساجدهم حيث لا يشعرون بأية حساسية مذهبية ، ولا يجدون في أنفسهم حزاة من هذا الأمر ، ما داموا قد استلهموه من روح الريادة والموقف لدى مرجعهم وزعيمهم وإمامهم الصدر . وقد تجلت مظاهر هذه الأسس النفسية والتربوية الودوية لدى هذا الخط بعد الاحتلال تجلياً كبيراً ، وظهر بمصاديق ومفردات ملفتة للنظر ، انتقده عليها المتحجرون الذين يضيقون ذرعاً بغيرهم ، والمنغلقون الذين تسوؤهم الألفة مع سواهم ، واتهموه بالانحراف والضلالة والبعد عن جادة المذهب ، وتعاضمت هذه التهم حين انطلق رموز هذا التيار يذيبون أنفسهم جاهدين في

إطار الوحدة الشاملة التي تتطلبها ظروف الاحتلال ،
وفريضة المقاومة ، ودواعي المحنة المشتركة .

وصار اللقاء السني والشيعي على مستوى الكوادر ،
والطاقات ، والفصائل ، والقواعد أمراً اعتيادياً لدى جماهير
هذا الخط الذين انسوا بمظاهر هذه الوحدة ، واستعذبوها ،
ووجدوا فيها بشير خير للإسلام والأمة في أخطر الظروف ،
واشد المحن ، وادعاهما إلى التآصر ، والتناصر ، وجمع
الشتات ، والعزوف المطلق عن أي حالة من حالات
التخندق الطائفي ، والتناحر المذهبي ، والتهاثر الاثني .

وليس خافياً على ذي لب حقيقة ما تعرض له هذا التيار
بسبب مرتكزاته الوحودية الزاهرة من مؤامرة كبرى
استهدفت شخصيته بالدرجة الأولى ، ثم هذه الألفة
القائمة بينه وبين أخوانه في الإسلام من أهل السنة
الكرام ، حيث قام أعداؤه وأعداء هذه الأمة والوحدة
الإسلامية بالتظاهر بزي جيشه (جيش المهدي)
وبشعاره وعنوانه ، والهجوم على مساجد أهل السنة
ورموزهم وأئمة مساجدهم ، وقد سعوا لايجاد شرخ كبير
بين هذا التيار الميمون والساحة الاسلامية السنية التي
رأت فيه أملاً من آمال الخلاص ، وحصناً من حصون
الوحدة ، فمدت يدها اليه ، وصافحته بكل حرارة ، وهتفت
له ، وأعلنت دعمها له في محنته ، لتجزيه بالاحسان على

ما كان منه من الإحسان في دعمه لها ومساندتها
ومواساتها في آلامها ومآسيها ، وقد أفلحت المؤامرة في
بعض مفرداتها ، وثار التهم ، وتكدّرت الأجواء ، وسعى
التيار إلى دفع الفرية ، ووضع الإصبع على موضع الكيد
الذي ليس هو سوى الاحتلال وأذنابه وسياسة فرق تسد .

والمضحك في البلايا وهو شرها طبعاً أن تتناوب على
هذا الخط تهمتان متضادتان ، وقفتا إزاءه ترميانه
بسهامهما عن يمين وشمال ، واحدة متحجرة تنبزه
بالسنية والوهابية ، وأخرى كائدة تصمه بحرب أهل
السنة . والمنصفون في هؤلاء يتذكرون أن هذا التيار
وعلى لسان قائده وفي ثورة العصاب المرير والهيّاج الديني
العاطفي بعد تفجير مرقد الامامين العسكريين ، قد أمر -
انسجماً مع توجهات المرجعية - أتباعه بضبط النفس ،
وحماية مساجد أهل السنة ومؤسساتهم ورموزهم من أي
اعتداء ، وهذا ما حصل فعلاً ، فأى مؤشر أقوى من هذا
المؤشر على تزكية الخط من هذا الافتراء الظالم والبهتان
العظيم .

إنّ الامر المهم الذي لا يصح أن يفوت ذكره هنا هو
أنّ الشهيد الصدر الثاني قد نبت في مدرسة أستاذه
العملاق الكبير الشهيد الصدر ، وهي مدرسة الاسلام في
عمقه ، وشموله ، واستيعابه ، وأصالته ، وأسسها المتينة

القائمة على التوحيد والوحدة .

وقد تفردت مدرسة ذلك الأستاذ العظيم بكونها مدرسة ثورية تغييرية على أساس الفكر المهيبة للشرعية . وقد جعلت همها وهدفها نجاة كل الأمة ، وتدرّعت بفصائلها وشرائعها بلا استثناء ، ونادتها كلها كما رأينا فيما سلف نداءً واحداً بلا تمييز ، تهيب بها للالتفاف حول المسار الواحد نحو الهدف الواحد وهو العودة إلى رحاب الله الأنوس ، وإقامة دولته في أرضه ، لتعود امجاد الاسلام المذالة ، وبطلع لوائه الفذ الذي أرغم على الانزواء والانطواء خلف أطواق التعقيم والتضليل والإغواء .

عبارات وحدوية صدرية

١- أوفى البحوث في الوحدة وأعمقها - بحث جذاب كتبه الشهيد السعيد لمجلة الاضواء في الستينات ، ومما جاء فيه :

« وحدة الصف من الأمور الجوهرية الحساسة لحياة كل امة ، ونجاح كل حركة ، ونيل كل شعب حقه من العدل والحياة ، وبدونه لا يمكن أن ينال هدفاً ، وأن يرقى سلم النجاح في أي عمل اجتماعي عام .

وقد أصبح هذا المفهوم في أيامنا الحاضرة واضح المعالم ، بديهي الصحة ، بعد أن أثبتت التجارب في واقعنا

الحياتي المعاش صحته وجدواه .

والإسلام بصفته حركة إصلاحية عالمية شاملة ، تستهدف قيادة البشرية جمعاء نحو شاطئ العدل والنور يحتاج إلى وحدة في الصف ، وتكتيل في الرأي ، ومركزية في العاطفة اكثر من أي حركة أخرى تقصر عنه في الأهداف ، أو تقل عنه في المخططات .

إذن لابد للإسلام وهو بهذه السعة والشمول أن يحكم خطته ، ويدقق في اتجاه عمله ، وأن يزيد من هدى أصحابه وذويه ، من حيث إيمانهم بالهدف الكبير ، واطلاعهم على عوائق الطريق ، والتفافهم باخلاص عظيم حول قيادتهم الاسلامية ، وهي تسير بهم نحو الكمال المنشود .

ومن هنا رأينا التوجيهات الإسلامية وتأكيداتها المتواصلة للمسلمين على رص الصفوف ، وتوحيد الكلمة ، وتكتيل العمل ، قد أثرت في نفوس مسلمينا الأوائل تأثيراً بالغاً ، ونجحت في تحقيق مهمتها نجاحاً منقطع النظير . هذا النجاح وذلك التأثير الذي جعل المسلمين كتلة متراسة واحدة ، تفتح رقعة واسعة من العالم في غضون أعوام قليلة . وقد كأن بالإمكان أن يشمل الفتح الاسلامي تمام الكرة الارضية لكي يسود العدل والرفاه ربوع البشر أجمعين لولا انشقاق الصفوف

والاختلافات في أيام الفتح المتأخرة ، تلك الاختلافات التي لا زلنا نجتر من أثارها الشيء الكثير ، وما حدث مثل هذه الخلافات إلا من تناسي تعاليم الإسلام ، وصرف النظر عنها ، والتأكيد على المصالح والأهواء

من أهم عناصر النجاح في الدعوة هو وحدة الصف ، ومركزية العاطفة ، ومن ثم فقد جعل الإسلام في أذهان معتنقيه صورة مفصلة عن ذلك ، يحمل أحد جوانبها صورة واسعة لمساوئ التفرق والاختلاف ، وما يجره على أصحابه من شر ووبال . معتمداً في ذلك على التجارب الفعلية التي كانت تعيشها الدعوة الإسلامية في ذلك الحين . ويحمل الجانب الآخر صورة مفصلة عن محاسن وحدة الصف الفعالة في سرعة النجاح وإكماله وتوسيعه ، معتمداً أيضاً في الاستدلال على ذلك بالتجارب التي كأن يعيشها المسلمون في تلك الأيام .

ويعمل الجانب الثالث والأخير الفصل المهم من هذه الجوانب جميعاً وهو توضيح الحد الفاصل عند حدوث الاختلاف ، وتفرق الآراء حول أي أمر من أمور العقيدة والحياة ، ليتدارك بسرعة ولباقة قبل أن يتفاقم أثره ، ويتطور إلى ما لا تحمد عقباه . . .

يبدأ القرآن أولاً بتوجيه تعاليمه إلى المسلمين كافة بتوحيد الصف ، والأخوة ، والتصافي على أساس من

المنبع الإلهي الفياض ﴿ واعتصموا بحبل الله ﴾ بأمر الله وعهده إليكم ، ولا تفرقوا ، فهذا هو الأولى بكم والأجدر بأن يوصلكم إلى كمالكم وسعادتكم ، وتطبيق قوانين دينكم ، فإن كل هذه الثمرات الطيبة لا يمكن أن تجنى عند التفرق والاختلاف .

﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة/٧] ومنه بالوجود ، وفتح له لكم فرصة التعقل والتفكير ، وأخيراً هدايته لكم إلى توحيده ، والإخلاص له ، وإتباع دينه الحنيف ﴿ إِذْ كُنْتُمْ ﴾ قبل دخولكم هذا الدين ﴿ أَعْدَاء ﴾ متخاصمين متكالبين على حطام الدنيا ، جاعلين أقصى همكم هو السيطرة ، وأعلى مثلكم هو المادة ، أما عند انبثاق نور هذا الدين الجديد في قلوبكم ، فقد تساميتم فوق هذا المستوى المنحط إلى الأفق الإلهي النير ، حيث الكون الرحيب والحياة الفضلى .

﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ بما أنزل عليكم من نعمة الإسلام ، وبما من من الهداية إلى الصراط المستقيم ، فوحد به بينكم برابطة قوية خالدة تجمعكم في العقيدة والعاطفة والهدف .

وهكذا يحافظ الإسلام ويضع التدابير الحاسمة لخلق هذا العنصر للنجاح ، فإن وحدة الصف لن تكون تامة ومترابطة وخالدة إلا إذا كانت قائمة على عقيدة راسخة

وخالدة أيضا ، أما بدون وحدة العقيدة فلن يوجد إلا التفرق والدمار ، وليس أدل على ذلك من حالهم قبل الإسلام ، تلك الحال التي أشار إليها القرآن بقوله ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ .

أما الآن وبفضل هذا النور الخالد ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ فالمسلم أخو المسلم ، ولئن كانت الأخوة في النسب إذا لم تصاحبها أخوة في العقيدة ، كثيراً ما يشوبها الاختلاف والتشاحن لاختلاف الأغراض والمصالح ، فإن ذلك مما لا يمكن أن يحدث في أخوة العقيدة ، بعد أن كانت العقيدة نفسها ، وهي أئمن جزء في النفس هي القدر المشترك الكبير بين القلبين

لذا يبادر القرآن بعد تلك التوجيهات الثمينة إلى الوقوف أمام هذا الخطر المحتمل ، وسد بابه وهو يقول :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ فلم يستطيعوا أن ينالوا في إيمانهم خيرا ، وهذا سند تاريخي يعطيه القرآن ، مذكراً المسلمين بأمر أنزل الله إليهم الهداية ، وأراد لهم الخير والصالح ، إلا أنهم لقصر نظرهم ، وضيق نفوسهم ، وتشبههم بطحالب المصالح الوقتية الزائلة ، لم يستطيعوا المحافظة على نعمة الله ، ولم يتمكنوا من صيانتها ورعايتها حق الرعاية ؛ وذلك لأنهم اختلفوا وتفرقوا بعد ما جاءتهم البينات ، فلم

يستطيعوا أن ينالوا في إيمانهم خيرا

أن الجماعة إنما تتكون والجيش إنما يستقيم أمره بالوحدة في الرأي والتآلف على أساس العقيدة والهدف المشترك ، أما الجماعة التي تتكون لمجرد تجاوز الأجسام ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ فإنها ليست في النظر الدقيق بجماعة على الإطلاق ، وإنما هو أحد أوهام الحس البصري ، بعد أن لم تكن تجمعها رابطة ، ولا يخاف منها أي خطر .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ إذ لو كانوا ذوي تفكير سديد وبعد نظر لأدركوا مصالحهم ، ولعلموا أن وحدة الصف ، واتفاق الكلمة من ضروريات مكافحة العدو المشترك

لذا نرى القرآن بعد خلوصه إلى هذه النتيجة الرائعة ينادي بصراحة ووضوح : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ وهذه الآية وإن كانت واردة في مورد القتال إلا أن تكوين هذا البنيان المرصوص ضروري لكل عمل من أعمال الدعوة وفي سبيل الوصول إلى أي هدف من أهدافها ، مهما سهل وصغر

إن وحدة الصف ، وتضامن الكلمة ، وتأليف القلوب ، إنما هي فيض من الله ونعمة من نعمه الكبرى عز وجل ، وما ذلك إلا لأن وحدة الصف ثمرة مهمة من ثمرات العقيدة ، والعقيدة بنفسها هي نور الهي ، ونعمة من نعم

الرب الرحيم ، تفضل بها لهداية البشر ، واخراجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى أفق النور والحياة .

كما أنَّ وجود العقيدة في المجتمع غير مُجد للشخص إلا إذا انضم إليها التوفيق الإلهي له بأنَّ يهتدي ويرشد ، وأن تلامس أوتار قلبه أنغام الإيمان ، لكي يستطيع بهذا الإيمان أن يتخذ مكانه اللائق في الصف الموحد بين أخوانه في العقيدة ، وأن يمزج عاطفته مع عواطفهم ووجدانه بوجدانهم

﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ [آل عمران/ ١٠٣] وهو الذي أنعم على نبيه ﷺ أيضا بتأليفه بين قلوب أصحابه وتوحيد كلمتهم ، بواسطة تلك العقيدة السامية التي انزلها بينهم والتأييد الإلهي الذي رزقهم .

وهذه الأخوة الصادقة والتأليف الحقيقي بين القلوب ذلك التأليف الذي يمكن أن تجنى منه ثمراته الكبرى المطلوبة يانعة شهية ، أما الأخوة القائمة على أساس المادة ، والصفاء الحاصل من توافق المصالح الضيقة ، فهو تأليف صوري لا يحتوي على أي مغزى أو روح ، وإنما هو موجود سطحي ظاهري من الوهج العاطفي ، سرعان ما يخبو وينطفئ عندما ينطفئ سببه ويخبو ، وما أسرع ما يكون ذلك في المصالح الضيقة والمادة المقيتة .

ويقرر القرآن هذه الحقيقة قائلاً : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ

أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال/ ٦٣] فإنَّ التأليف الحقيقي ما لا يمكن أن يجنى ببذل المال مهما كثر أو زاد ، وإنما المطلوب هو التأليف على العقيدة والأخوة في الله ، وليس للمال في ذلك أي أثر : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

هذه المراحل كلها إذا انتهت بفوز ونجاح ، وتكللت بأهدافها الكبرى ، فإنَّ ذلك مما يستدعي من الحيلة والحذر أكثر فاكتر ، فإنَّ الضمانات لوحدة الصف ، واتفاق الكلمة مهما كانت قوية ، ومهما كانت التأكيدات عليها شديدة ، إلا أنه من المحتمل أن يدخل عنصر الضعف الانساني في الموضوع ، وتندس الى الحركة في بعض مراحل تطورها بعض الأخطاء والعقبات التي تهددها بشر مستطير .

إذن فمن المنطقي جداً أن نحذر من التفرق والاختلاف كل الحذر بعد أن رأينا آثار هذا الخطر الرهيب على معسكر الكافرين ، وأن نضع الضمانات الكافية لذلك ، لئلا يندس أثره إلى صفوف المسلمين .

وينبغي أن يكون الضمان قوياً وحاسماً ، واشد تأثيراً بكثير من الضمان الذي استطعنا أن نحدث به الاتفاق والوحدة ، فإنَّ الظروف التي يحدث فيها الاختلاف ، تكون عادة أخطر وأعقد بكثير من الظروف التي يمكن أن تحدث

الأخوة والوفاق .

وقد تصدى الإسلام لذلك ، فاحكم خططه ، وسدد نظره ، واعطى المشكلة علاجاً حاسماً غير قابل للتأويل والتبديل ، حيث أمر المسلمين عند بروز أي اختلاف بينهم بالرجوع إلى نفس المصدر الذي استقوا منه عقيدتهم ودينهم ، فإنه المصدر الحكيم ، وأن قوته الفصل في أي شأن من شؤون المسلمين

ويستنتج القرآن من ذلك نتيجة طيبة واضحة ، هي أن رفض الرجوع إلى الله والرسول حين الاختلاف ، وتفضيل الرجوع إلى غيره في ذلك ، هو من شأن المنافقين الذين يظهرون الإيمان ، ويبطنون الكفر ، حيث يقول جل وعلا : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ .

وليس معنى الرد إلى الله والرسول هو الرجوع إليهما مباشرة ، ليقال إن هذا مما لا يتيسر إلا لمن كأن متصلاً بمصدر الوحي في زمن الرسول الأعظم ﷺ وإنما المقصود من ذلك هو الرجوع إلى ذلك المصدر أو إلى من جعله حجة بيننا وبين الله

بعد هذه الجولة المفصلة بين أي القرآن الكريم وإرشاداته نكون قد عرفنا كيف أن القرآن قد أعطى الدستور الكامل والتصميم الدقيق لضمان وحدة الصف

واتفاق الكلمة ، وليس علينا بعد ذلك الا أن نفتح لذلك قلوبنا ، ونقدم عقولنا ، لننفهمهما ، والاستضاءة بنورهما ، والاخذ من معينهما الفياض المنير ، كما قد فعل ذلك أخواننا المسلمون في مبدأ الدعوة الإسلامية رضي الله عنهم أجمعين) .

٢ - المفاصل الأساسية للوحدة

هذه النقطة وما يليها هي مجموعة مفاهيم توحيدية طرحها الشهيد السعيد في خطب صلاة الجمعة .

(الإسلام هو دين الوحدة ، والاخوة ، والتماسك ، والرحمة ، والانسانية ، واللفظ ، والتعاطف على مختلف المستويات التي يمكن أن نعرض المهم منها فيما يلي :

المستوى الأول : وحدة الحوزة العلمية ، وأخوة أعضائها ، والمشاركين فيها في الهدف المشترك مهما تباعدت بعض المصالح والأهواء والأساليب ، وهذا واقع لا مناص منه ولا خلاص ، وهو مطبق فعلاً فإننا جميعاً في الحوزة يد واحدة ، وروح واحدة ، كلنا يعمل لمصلحة الدين ، وكلنا يتصرف في حدود استطاعته وفهمه باتجاه الهدف المشترك ، وهو عز الإسلام ، وارتفاع وعظمة كلمة التوحيد في كل زمان ومكان ، وتكثير طاعات الله سبحانه في البشرية ، وتقليل معاصيه بين البشر ، وكلنا ضد من

ناوأنا وعادانا ، لأنَّ من عادى الحوزة فقد عادى الدين ، ومن كاد للحوزة فقد كاد للدين ، ومن اعتدى على الحوزة فقد اعتدى على الدين ، وليس هؤلاء الناس بأشخاصهم بطبيعة الحال ، والحوزة واحدة في كل مكان وزمان ؛ لأنها تتوحد بوحدة العاطفة ، والعلم ، والعمل ، والهدف ، وكله واحد بحسب توفيق الله تعالى ، فليس هناك حوزات متباينة ، او مختلفة فيما بينها في النجف ، وفي قم ، وفي سوريا ، وفي لبنان ، وفي خراسان ، وفي البحرين ، وفي القطيف ، وفي الاحساء ، وفي الباكستان ، وفي الهند ، وفي غيرها من بلاد الله ، بل كلهم رجل واحد ، وقلب واحد ، ويد واحدة ، وعلم واحد ، لمصلحة الدين وشريعة سيد المرسلين ، وضد العدو في كل جيل ، وفي كل مكان وزمان .

المستوى الثاني : وحدة المؤمنين في المذهب الواحد
مهما تكثر أعمالهم ، وطبقاتهم ، ومستوياتهم ، وعواطفهم ، فإنهم ما داموا يشعرون بأهمية الدين ، وأهمية ولاية أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعصمة القادة الأئمة المعصومين سلام الله عليهم ، فهذا يكفي تماما لأنَّ يكون الفرد مندفعاً نحو طاعة الله ، متحمساً نحو الهدف المشترك ، واقفاً ضد العدو المشترك ، منجزاً مصلحته العادلة الشخصية

والاجتماعية ، مبتعداً عن الذنوب ، والعيوب ، والموبقات ، ومن لم يكن كذلك فنتمنى أن يكون كذلك في اقرب وقت ، وبحسن توفيق الله وتسديده .

المستوى الثالث : الأخوة في الاسلام وهي الأهم والأتم ؛ لأنها تشكل حجر الزاوية في المبعث النبوي الشريف ، لأنَّ المبعث مبعث الإسلام ، فالأخوة في الاسلام هي الرئيسة ، لأنَّ القرآن واحد ، والنبي واحد ، والقبلة واحدة ، والدين واحد ، والهدف واحد ، وأنَّ اغلب الاختلافات بين علماء الاسلام طبعي ، وموجود بين أي تفكيرين أو أي مفكرين ، وليس ذلك بعيب ، ولا يشكل نقصاً حقيقياً ، ولا ينبغي أن يكون سبباً للعداء والتضارب والتحارب والعياذ بالله ، وإنما الهدف مشترك ، والعمل مشترك والعدو مشترك ، وخاصة ونحن نعيش في اشد العصور حاجة إلى ذلك ، لتكالب الأعداء ضد الإسلام ، ومكرهم من داخلهم ، ومن خارجهم ، وبيدهم السلاح ، والمال ، والتخطيط ، والأعداد الكامل ، في حين نجد المسلمين والمخلصين عُزلاً من كل ذلك ، وهذا هو الامتحان الالهي الاتم والاكمل ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الانفال/ ٤٢] ومثل هذا الظرف ، وهو الظرف الدائم والمستمر ، وربما لمئات السنين ، يعطينا وجوب الشعور بالوحدة ، والتماسك ،

والتضامن ، وقوة الإيمان ، لكي نستطيع أن ندفع المؤامرات ، ونكفي أكثر ما هو مستطاع من الشدائد والمظالم التي يريد لها العدو المشترك المتمثل بالثالوث المشؤوم وهو الاستعمار الاسرائيلي الامريكي البريطاني قبحهم الله ، والأمر هنا كما قال أحد الأعضاء في دار التقريب بين المذاهب الاسلامية - كانت موجودة ، الى عهد قريب حيث قال ما مضمونه : (انه ليس المراد في هذه المرحلة من العمل والتفكير هو أن نجعل الشيعيين سنيين او نجعل السنيين شيعيين ، وانما المهم هو التمسك بالدين المشترك ، وهو الاسلام ، والقيام ضد العدو المشترك ، وهو الكفر والالحاد المتمثل بالاستعمار وانصار الاستعمار ، بطبيعة الحال أن مجرد التفكير في هذه الوحدة قلبيا وعقليا لهو مرحلة مهمة وجيدة ونافعة تكفي في نتائجها عدم توجيه الحقد والعداء ضد بعضنا البعض - والعياذ بالله - من مختلف مذاهب الاسلام ، وإنما اختصاص توجيه الحقد والعداء ضد من هو أهل لذلك ، وهو العدو المشترك المتمثل بالكفر والاستعمار ، ويقول المثل (انا وابن عمي ضد الغريب) كما يقول المثل في عادات العشائر ، ربما تعرفونها (انه قد تكون قبيلتان متعاديتين فيما بينهما متقاطعتين بشدة إلا أنهما حين يجابههما العدو المشترك وتغير عليهما قبيلة ثالثة يكونان يدا واحدة ، وعملا واحدا ، وقلبا واحدا تجاه هذا العدو

المشترك ، فإذا دفعوه واستراحوا عادوا الى العداء من جديد فيما بينهم) ومن الواضح اننا لم ندفع العدو المشترك إلى الآن بل لا زال في تزايد ومرارة ، ولا اقل أن يحذر كل واحد منا مهما كائن مذهبه ، ومهما كائن عمله ، ومهما كانت طبقته ، أن يحذر من أن يكون معينا ضد نفسه ، وضد اسلامه ، بيد او لسان مهما كائن قليلا أو كثيرا ، يُضاف الى ذلك الالتفات إلى أن عمل بعض المذاهب ضد بعضها كما يحدث الآن من الوهابيين مع الأسف كما قد يفترض حدوثه من أية جهة كانت ، يكون بكل تأكيد عملا مبرمجا ، وموجها في مصلحة الاستعمار ، ولا يستفيد من ذلك إلا العدو المشترك وإسرائيل من حيث نعلم أو لا نعلم ، بينما لا يستاء العدو المشترك الأمن التحاب ، والتعاون ، والالفة بين المؤمنين والمسلمين ، ونحن مأمورون في القرآن الكريم أن نُسبى إلى قلوبهم ، كما قال تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَآلُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ .

إذن فالأخوة مطلوبة في الإسلام على كل حال وهذا بطبيعة الحال ، ليس من طرف واحد ، بل من كل الاطراف ، وليس كلامي هذا استجداء للعاطفة ، لأننا لا نخاف من غير الله سبحانه ، وإنما هو لإقامة الحجة ،

والفات النظر لمن يريد أن يستجيب الى داعي الله ، ونصوص الكتاب الكريم ، والسنة الشريفة ، ويكون ذلك في مصلحتهم اولا ، وفي مصلحة الاسلام ثانيا ، ودفعاً للعدو المشترك ثالثا ، وهذا لا يعني من ناحية أخرى عدم أهمية الحفاظ على المذهب ، والعناية بمصالحه ومصالح طائفته ، فإنّ هذا ضروري أيضا أمام الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه الحق الذي نؤمن به ، ولكن ينبغي أن يكون عمل أي مذهب ، أو قل عمل أي مسلم ، بحيث لا يضر بالمذاهب الأخرى — لا اقل بهذا المقدار — تحصيلاً للوحدة الاسلامية ، والتكاتف المحمدي ، أو قل يجب أن لا يعمل اي مسلم عملاً يفيد به الاستعمار ، ويوجد الفرقة والازعاج في المجتمع الاسلامي ، ومن عمل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، حتى لو كان هو السيد محمد الصدر نفسه .

المستوى الرابع : الشعور بالوحدة والتضامن مع الثورة الفلسطينية المجيدة التي كانت ولا زالت تعطي سيل الشهداء انتصاراً للحق المغتصب . واحتجاجاً على الظلم المكثف ، والاجحاف الحقيقي في تلك البلاد المسلمة من قبل مستعمرهم اليهود .

فنحن نعمل من هنا تأييداً لمجمل الحركة الفلسطينية ، والثورة الفلسطينية ، ونخص بالتأييد منهم

أولئك الذين يشعرون بمسؤوليتهم الاسلامية ، وعاطفتهم الدينية ، وهم الأعم الأغلب فيما اعتقد ، وننصح الباقين منهم أن يميلوا الى هذا الطريق ، وبلتفتوا الى الدين الحق ، فيصلحوا بذلك دنياهم وآخرتهم ، ولا تغرنهم الشعارات البراقة التي لا تفيد في الواقع الا الإبقاء على اسرائيل وقوتها ، كما ثبت ذلك ، ولا زال يثبت بالتجارب المستمرة هذا ومن الواضح دينياً أن الثورة الفلسطينية وإن كانت هي ثورة الشعب الفلسطيني ، إلا أنها ثابتة في ذم المسلمين جميعاً ، بمختلف مذاهبهم واتجاهاتهم ودولهم ، لكي يكونوا يدا واحدة ، ومتعاونين دوماً على الفعالية والجهاد ضد أعداء الله والإسلام كما ورد في السنة الشريفة (المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم) - يعني يسعى كلهم حتى أدناهم ، أفضلهم وأدناهم جميعاً - وهم يد على من سواهم) أي أنهم يد واحدة ، وخذق واحد ضد كل الأعداء المتربصين والكفار والمعاندين .

٣ - تعدد العناوين لا يضير وحدة الكيان

نحن نرى الآن أن كل جماعة أو مجموعة تنسب إلى راعيها وقائدها والرئيس الموجه لها على الصعيد الديني او الديني ، فنقول مثلاً ناصريين لأصحاب جمال عبد الناصر ، وخالصيين لأصحاب الشيخ محمد الخالصي ، وسيستانيين لأصحاب السيد علي السيستاني ، وصديريين

الله وحسن توفيقه الان ، وهذا جعل التحزب والتعصب والطائفية يصلان إلى أقل مقدار ممكن منها بحمد الله ولطفه .

٤ - دعوة الإخاء حتى لمن لم يناصروه .

إني أوجه كلامي إلى المؤمنين الذين الى الان لم يناصروا السيد محمد الصدر ، ولم يكونوا معه سواء في داخل الحوزة أو في خارجها ، أهلاً بكم وسهلاً بين الجمع الحافل بالتقوى ، والشرف ، والفضائل ، وأن من أحسن الكلمات التي قالها الاسلام والقرآن وكل كلماته حسنة :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .

ولا حاجة إلى استمرار التباعد ، والتباغض ، وتبادل التهم ، والاشكالات ، بل تعالوا نتفق ونتصاحب ونتحابب في الله وفي ولاية أمير المؤمنين وفي المذهب ، وفي الدين ، وبابي مفتوح وقلبي مفتوح لكم جميعاً مهما كنتم ، ولا أريد منكم شيئاً إلا الأخوة في الله وفي رسوله ، وفي ولاية أمير المؤمنين . وتبقى التفاصيل الأخرى ثانوية يمكن المناقشة فيها بالتدريج ، يكفي أن لا تكون في اختلافاتنا وإنشقاتنا خدمة للعدو المشترك ، لاسرائيل ، والاستعمار ، ولكل من هو بعيد عن الله وعن رسوله ، فما دمنا تجمعنا الروابط الحقيقية المقدسة ، فلماذا لا نتحد

لأصحاب السيد محمد الصدر ، هذا معاش ، ولكم رأيتموه ، فذلك قال المجتمع يومئذ عن أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام إنهم جعفريون أي ملتفون حوله ، والمندرجون تحت قيادته وعقيدته وأهدافه ، وينبغي الآن التنبيه والالتفات إلى أمرين :

الأمر الأول : إنه طبقاً لهذا التسلسل الفكري فإن نسبة الجعفرية إلى الإمام الصادق ، ليس كعقيدة أو دين مستقل ، كلا ربما يظهر من بعض عبارات العوام حين يقولون - وكانت أزوجة قديمة يتناقلها الناس - ماكو - لا - ولي إلا علي ، والدين دين الجعفري - الذي يوحي أن الجعفرية دين مستقل في مقابل الاسلام - والعياذ بالله - هذا من جهة ، وكما كأن عليه التبليغ المعادي في سنوات قديمة ، قد تضاعف أثره الآن بحمد الله أو زال حين كانوا يقولون المسلمون والشيعية ، فهذا من داخلنا موجود ، ومن خارجنا أيضاً ، وكلاهما نحن بريئون منه الى الله ، والله الآن يسمع ويرى وهو بالأفق الأعلى ، بل أن تعليم الامام الصادق هو الاسلام بعينه ، وهو الاسلام قبل أن يكون مذهباً ، ولا قيمة لمذهب ما لم يكن في ضمن الاسلام كما هو أوضح من أن يخفى .

الأمر الثاني : إن الوعي الديني والاجتماعي يتنامى في المجتمع بين مختلف الفئات ، ومختلف المذاهب بعون

ولا نتقارب ، ولا نتأخى ؟ ، ولماذا ننصر عدو الله وعدو رسوله ، من حيث نعلم أو لا نعلم ؟ فما دامت هذه الحياة موجودة عندي ، والنفس يصعد وينزل ، فإنني أرحب بكم بكل قلبي ، واعذرهم وتعذروني أن كائن حصل بعض الشيء مني أو ممن يرتبط بي ، أو ينتسب إلي ، ونفتح تاريخا جديدا كما قال الشاعر :

من اليوم تعارفنا

ونطوي ما جرى منا

فلا كأن ولا صاراً

ولا قلتم ولا قلنا

وما أحسن أن نرجع

للود كما كنا

٥ - الصدر يمد يده إلى أهل السنة ويرى منهم

بوادرا الانسجام

(إنني خاطبت أخواننا أهل السنة والجماعة بالصدقة والعلاقة ، والحق أن التجاوب واضح ومسر ، ومنتج لأفضل النتائج . . أن كثيرين من أخواننا أهل السنة من رجال الدين وغيرهم يحضرون صلاة الجماعة والجمعة عندنا)

٦ - صلاة الجمعة مفتاح لتوحيد قلوب الأمة في كل بلاد الاسلام .

(ينبغي أن نفكر أننا لسنا وحدنا نصلي الجمعة ، لا في النجف ولا في خارج النجف ، لا في العراق ولا في خارج العراق ، ولا في المذهب ولا في خارج المذهب . . فنحن الان أيضا مشتركون عاطفيا تجاه المؤمنين والمسلمين الذين يقيمون صلاة الجمعة قريبا منا أو بعيدا عنا) .

٧ - صلاة الجمعة سبيل الاتحاد بين الأمة والحوزة

(من النقاط المهمة والجليلة التي حصلت بصلاة الجمعة - الاتصال المباشر بين الحوزة والمجتمع ، وبين المرجعية والأمة ، بينما كأن الانفصال التام أو الغالب موجودا قبل ذلك مع الأسف . . أن للحوزة عدة أساليب للاتصال بالمجتمع منها صلاة الجماعة وصلاة الجمعة) .

٨ - المطلوب وحدة الأمة مع الدين والمذهب والحوزة لا الشخص المعين .

(هناك شيء رئيسي هو أن تحافظوا على دينكم ومذهبكم . . الدين والمذهب بدمتكم ، أنا لست مهتما

لأنني خاطبت كثيراً غيرهم من الذين يبعد قبولهم ، ويرجح تعصبهم وأعراضهم . . . يا أيها الغجريون لستم أول من خاطبه الاسلام . . ولا أول من خاطبه السيد محمد الصدر ، كما لستم أول من يخاطبه . . فإنكم لستم أقل عقلاً ، ولا رشداً ، ولا فهما من الآخرين من سائر البشر) .

١١- اعتبار الصدر فداء لوحدة المرجعية والحوزة ، ولا يجوز أن يكون سبباً للاختلاف (انك - اي العالم - إذا حضرت فأنا سوف أقدمك إماماً للجماعة . . وحتى لو أراد ذلك المرجع أن يكون خطيباً ، تفضل اخطب وصل بنا ، وأنا اكون مستمعا ، وأكون مأموماً بخدمتك) . (استمروا على صلاة الجمعة حتى لو مات السيد محمد الصدر ، لأنه لا يجوز لكم أن تجعلوا موته سبباً وذريعة لذلة الإسلام والتشيع ، وتفترق الكلمة ، وكثرة المشاكل ، بل الحوزة الشريفة تبقى بعون الله . .) .

بوجهي ولا بيدي ولا بعيني إنما الشيء المهم هو دين الله)

(إن كلمة الحوزة هي كلمة الفصل ، ولا اقصد السيد محمد الصدر ، وإنما قصدت الحوزة في كل مكان وزمان) .

٩- حضور العلماء في صلاة الجمعة رمز لوحدهم

(إنكم - العلماء - إذا تفضلتم بالحضور إلى صلاة الجمعة . . يكون في ذلك وحدة للمذهب ، ووحدة للدين ، وللمصالح الاجتماعية ، إن صلاة الجمعة ليست حكرًا على أحد وإنما هي ملك للمذهب) .

(لو كانوا - العلماء - قد حضروا لكان في إمكان الحوزة والمذهب مجابهة اسرائيل نفسها بما فينا من تكاتف وتضامن ، وعزة لله وحسن توفيق .) ، (ولو حضروا لكان الانتصار اكثر ، واتحاد الحوزة والمذهب اكثر .)

١٠- الرائد الوجداني يمد يده حتى الى من ينس الاخرون من عودته للصف .

(لا يعجب السامع والقارئ من انني خاطبت الغجر ،

الإمام السيستاني والوحدة الوطنية

أهم تلك المعالم التي برزت في مسيرته ،
وتوجيهاته ، وخطاباته ، وجهوده :

١- وعي الظروف المحيطة بالواقع العراقي
(ظروف الاحتلال وتداعياته المختلفة) ، وأدراك أنَّ
المحتلين لم يجيئوا محررين ، ولأجل ظلامه الشعب
وخلاصه من برائن جلاديه ، بل جاؤوا لأهدافهم
ومصالحهم الاستراتيجية التي فعلتها أحداث ١١
أيلول ، والبسوها غطاء الخلاص من أسلحة الدمار
الشامل العراقية التي وجدوها وهماءً فارغاً ففزعوا إلى
الضرب على وتر الحرية والديمقراطية ، وحق
الأكثرية الشيعية التي ظنوها ستسخر على أنغام
الوعود الحاملة التي وعدوا هذه الأكثرية بها ،

لقد كان السيد السيستاني مشروعاً اسلامياً
وحدوياً للخلاص ، بدت فيه صفات الرمز
الديني الذي شكل الضرورة الريادية في أخطر
ظروف العراق ، واعقد مشاكل الأمة ، وأقصى
صعوباتها ومكابداتها مع المحن والفتن والنزيف
المستمر ، في ظل استثناء خطير هو الاحتلال
المربح ، وتداعياته القاسية ، وآثاره الأليمة .

لقد كانت معالم هذا المشروع الكبير هي
معالم المرجعية الدينية التي عرفت دورها ،
ووعت ظرفها ، وتحملت مسؤوليتها ، وصممت
على أن تقتحم المخاض العسير بما لديها من
طاقة الصبر والأناة والتدبير .

ولكنهم فوجئوا بالعكس تماماً ، وبأن مرجعية هذه الأثرية ترفض استقبال الحاكم الأمريكي في العراق (برايمر) رفضاً قاطعاً كحد السنان .

٢- إدراك أن الشعب العراقي المضطهد ولاسيما أكثره المظلومة منذ أمد بعيد كان تواقاً إلى رؤية اليوم الذي يجد فيه نجاته من مخالف النظام الديكتاتوري الذي حكمه أبشع عقود عاشها في حياته ، وأذقه طعم الشقاء بأفزع مرارته ، وكان هذا الشعب قد بذل منتهى وسعه للخلاص ، وقدم على سبيل ذلك آلاف القرابين ، لكن قسوة الاستبداد كانت أقوى من قدرته ، وحين رأى أسياذ نظامه الحاكم يريدون إزالته لاستنفادهم أغراضهم منه وجد أن مصلحته في تغييره تلتقي مع مصلحة أولئك الأسياذ ، فرضي بالممكن المر على أن يصح الأوضاع بالطرق المناسبة بعد رفع الكابوس .

٣- معرفة أن الحل السياسي هو الحل الأفضل والأنسب ، لأن رفع السلاح سيعيد حمامات الدم بلا طائل ، خصوصاً بعد ملاحظة أن الهاجس الشيعي هو أسوء هاجس تعاني منه قوات الاحتلال التي وضعت الفيتو الصارم على الحضور الشيعي المطالب بحقه الطبيعي حسب وجوده على خارطة السياسية

والاجتماعية ، ومن هنا كانت المقابر الجماعية التي صنعها النظام المحاصر من قبل امريكا عام ١٩٩١ بالضوء الاخضر الأمريكي ، وبالدعم اللوجستي ، وبالسماح لطيرانه بالتحليق ، ولصورايخه بالانطلاق لضرب الانتفاضة وابدتها على مرأى ومسمع دعاة الحرية وحقوق الانسان ، ومن هنا كانت العناوين الثانوية الملزمة بالحل السياسي حكمة على الحكم الاولي وهو فريضة الجهاد ضد الاحتلال .

٤- تركيزه على قضية الانتخابات ، وسلوكها كحل ديمقراطي يفرز الحقيقة السياسية من رحم التعددية ، والحوار البناء ، والرأي الآخر ، واذا صدق المحتلون في وعودهم الديمقراطية ، ولم يكتبوا صوت الأمة فإن الكيان الحقيقي سيفرض نفسه على الواقع ، ويجد طريقه إلى تصحيح الأمور ، وإعادة المياه إلى مجاريها .

٥- الدعوة الدائبة إلى رص الصفوف ، وتوحيد الكلمة ، وجمع الشمل ، ونبذ الخلافات الطائفية والمذهبية والعرقية والاثنية ، والاستغناء عن لغة المهاترات والعنف ، واستبدالها بلغة التعاطي الديمقراطي ، والحوار الهادئ الرصين ، والمنافسة الشريفة على مسار العقل ، والعدل ، والانصاف ،

والموضوعية ، والمنطق السليم .

٦- الوعي الكامل بالمكيدة الكبرى التي يحوكها الاعداء المتربصون حسب سياستهم القديمة الجديدة (فرق تسد) ، والتي سمع العالم كله اجراً مسؤول في التصريح بها وهو (مارتن اندك) يعلنها جاهرة بلا تردد ، ومعرفة أن اِزلام هؤلاء الكائدين بالفتن ودسائس الاحتراب الداخلي — موجودون جاهزون لاداء ما يكلفون به من مأموريات الفتنة ، والتخريب ، والايقاع ، والتكفير ، والتمهيد للحرب الاهلية ، والاقتيال الداخلي الذي هو اشهى ما ينتغيه اعداء الشعب الذي لا يريدون له الاستقرار ، والاستقلال ، والخلاص من الاحتلال عبر الطريق الوحيد الممكن المعقول لاجراجه ، وهم بانجاز تلك المأموريات يعدون الذرائع لبقائه وطول الامد لكابوسه .

٧- التأكيد على وحدة الفصائل والرموز السياسية ، والتحام عرى المثقفين والكوادر الفكرية والطاقات العلمية ، والتفافها حول الوضع السياسي الحكومي الذي تفرزه الانتخابات الحرة ، لتفويت الفرصة على اعداء العملية الديمقراطية .

٨- اتخاذ هذه المرجعية الحكيمة مبدأً الوسطية

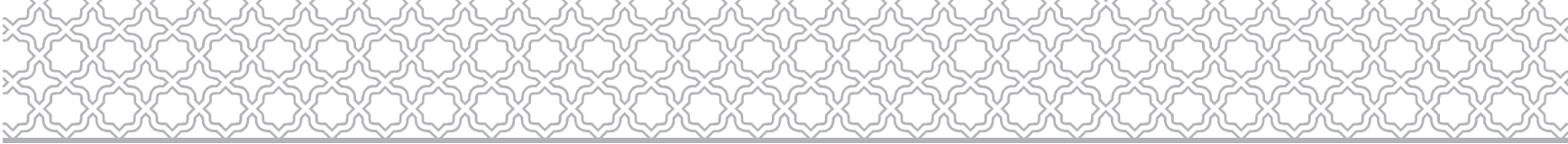
في الساحة ، والتزامها دور الشهادة على الوضع القائم ، وما يستلزمه هذا الدور من الرقابة الحريصة ، والنصيحة الشفيقة ، والرأي الصائب ، والتوجيه السديد ، والمتابعة الدائبة ، والموعظة الناجعة ، وإذا تطلب الأمر كانت الكلمة القاسية المربية ، والوعيد البناء ، والتنبيه الرادع — فما دامت المرجعية أباً لهذه الأمة فإن أبوتها الكبيرة ، الرفيعة ، الحانية ، الرشيدة ، المقتدرة ، لا بد أن تتجلى في ظروفها الصعبة ، الحالكة ، المليئة بالمخاطر والعتار والمكائد ، ويكون تجليها بحزمها وصرامتها وقوتها ، كما يكون كذلك باناتها ، وحلمها ، وسعة صدرها ، وحكمتها ، وكياستها ، كما هو ديدن أسوة القادة الرساليين رسول الله ﷺ الذي وصفه ربه : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

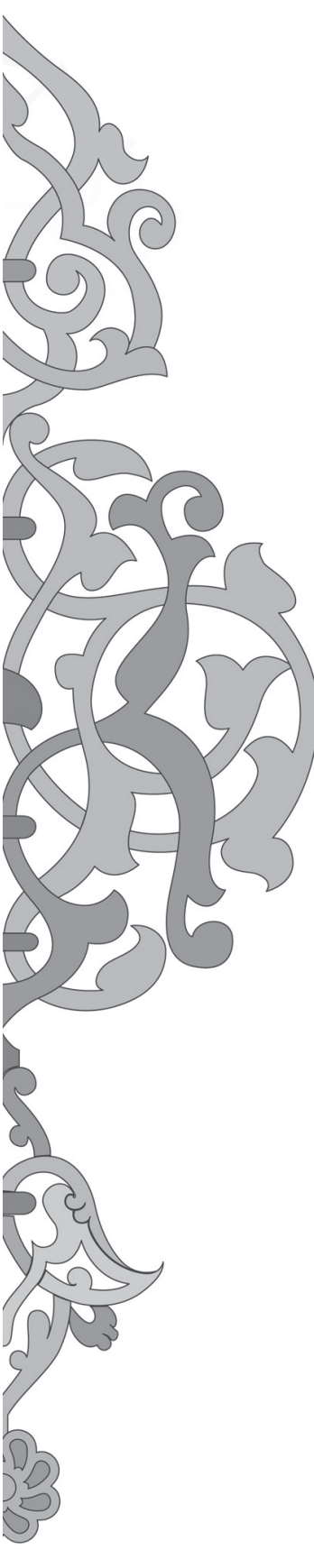
ويتجلى النموذج الابهي لتلك الابوة الرشيدة في موقف هذه المرجعية في كارثة سامراء بتفجير مرقد الامامين العسكريين ، حيث التزمت جانب الهدوء القيادي والاتزان في رد الفعل إزاء الفاجعة التي حركت الشارع الشيعي من أقصاه إلى أقصاه ، وطالب فيها العنفوان الشعبي مرجعته بصدر الحكم القاسي ، ولكن المرجعية الوحدية أبت إلا ضبط الأعصاب ، وصدر الأمر الكريم بالتزام العقل

والمنطق والهدوء ، وتجنب كل ما فيه إثارة طائفية أو فتنة مذهبية .

٩- اذا كانت هذه المواقف الكريمة بحاجة إلى وثائق تؤيدها فإنَّ شواهد الواقع الملموس هي خير براهينها ، وحيث أنَّ البيانات والفتاوى الصادرة من مرجعية الامام السيستاني في المواقع والاحداث التي تطلبت منها عوائد التدبير الحكيم ، واستدعت

التصميمات الرصينة النابعة من المنطق السليم والذوق الشرعي - هي خير ما يمكن أن يقدمه هذا البحث لقرائه ، فانه يعرضه عليهم غيضاً من فيض الجهود المبذولة في ميدان الادارة المتينة لأعقد وضع تشهده الساحة الدولية عموماً ، وساحة الوضع العراقي في كل تاريخه على الخصوص .

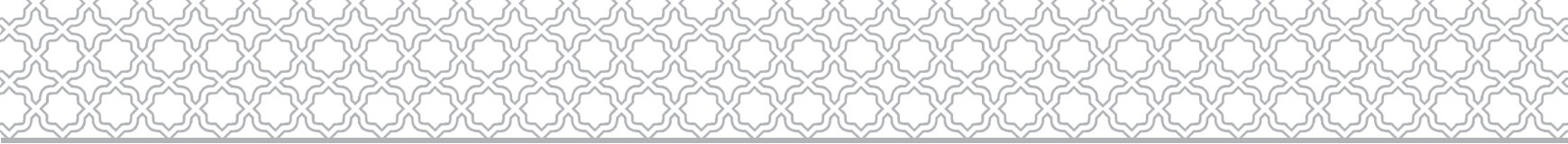




دَوْرُ الْمَرْجِعِيَّةِ فِي نَهْضَةِ الْأُمَّةِ

❖ الشيخ خضر نور الدين (*)

(*) باحث وكاتب من العراق.



مدخل :

والفتوى في مجتمع المتدينين . بعد عودة الاسلام السياسي بقوة الى ميادين الساحة الدولية ، بفضل انتصار الثورة الاسلامية المباركة التي كانت على يد مرجع ديني له الفضل الاساس في ايجاد نهضة ، أسست لطرح اسلامي يطال كل نواحي الانسان الحياتية ، مما اعاد المسلمين بالعموم على مستوى كل العالم ليجددوا الثقة بدينهم ولتطغى الحركات الاسلامية بالعموم على التحركات السياسية التغييرية بعد تراجع الطروحات الفكرية الاخرى التي كانت بمثابة الامل في التغيير .

لذا فان العلماء المسلمين مدعوون اليوم الى اعطاء المزيد من الجهد في المواضيع ذات التأثير على حركة النهضة للانقلاب على هذا الواقع المذل الذي تعيشه الامة تحت السقف الذي رسمه الغرب

العالم الاسلامي اليوم يعيش وضعاً صعباً وغير عادي . حيث انه وعلى الرغم من وجود إمكانات بشرية ، طبيعية . وله أهمية ديمغرافية كبيرة ، فانه بعيد كل البعد عن رسم عالم خاص به حيث لا وجود له بين الأمم المتقدمة والمتمدّنة .

هذا الامر يستدعي المهتمين وعلى رأسهم المرجعيات الدينية والسياسية والنخب العلمية ، ان يبحثوا في الاسباب ليصلوا الى الطرق الممكنة للخروج من هذا الوضع والعودة الى بناء أمة لها شخصيتها المستقلة ودورها في شتى الميادين الانسانية من علمية ، وثقافية ، وتربوية ، . .

وباعتبار انه على كل منا العمل من زاويته بحسب اختصاصه واهمية الوقف الديني المتمثل بالتكليف

لها وعلى رأس ذلك الاميركي .

الصراع بين الحق والباطل :

منذ وجود البشرية كان الصراع بين الحق والباطل قائماً .

ونعتبر ان الانبياء ﷺ عموماً كانوا قادة اصحاب الحق المواجهة الباطل وكذلك الاوصياء وعندنا نحن الائمة ﷺ بعد الرسول ﷺ .

ومعلوم ان ذلك يتطلب اثمان غير عادية ، نتيجة ضراوة المعركة . وهذا يفرض نمطاً من البحث والتفكير للوصول الى المخرج الشرعي ، الذي يوصل الى براءة الذمة عند اخذ اي قرار او توجه .

وقد يقف البعض عند الخلل الكبير بين قوى الحق وقوى الباطل ، فيركن او يسكت او يتنحى جانباً ، خوفاً من النتائج وعدم القدرة على تحمل مسؤولياتها .

وبالعودة الى الكتب السماوية والقرآن خصوصاً والسنة النبوية الشريفة واحاديث الائمة ﷺ ، ومواقف العلماء عبر التاريخ سيما في القرن الاخير ، يمكننا تلمس المخارج للاشكالات التي قد تعوق أخذ القرارات المصيرية . وتراثنا غني بالشواهد في هذا المجال .

أسباب سبات الأمة وتراجعها :

سأتعرض الى اهم اسباب تراجع الامة وعدم كونها حيث يجب ، لظهار اهمية المقاومة باشكالها اليوم ، حيث لا يمكن النهوض بدونها .

الاول : السيطرة الغربية على مقدرات الامة بعد تفكيكها وتقسيمها بحسب اللغات ، القوميات ، الالوان ، ربطها بماضيها البعيد (اي قبل الاسلام) ، وجعلها دولاً متنازعة رغم الدين الواحد الذي يجمع الجميع .

الثاني : اخضاع العالم وامتنا جزء منه الى مؤسسات دولية تابعة للغرب ، وُضعت قوانينها بحسب مصالحه ، بحيث لا يمكن الركون اليها من خلال رأي عام دولي او مجتمع دولي او غيره ، كمجلس الامن الدولي والهيئات الدولية الاخرى .

الثالث : تبديل المنظومات الفكرية والاخلاقية لمجتمعاتنا بحيث حكمت مجموعة من المفاهيم الغربية عبر جامعيين ، اكاديميين ، ووسائل تربوية مختلفة ، في عقول المسلمين بحيث وصل الامر الى حد اعتبار الالتزام بالدين تخلفاً ، والايمان بالغيب اسطورة . ليصنعوا ديناً يحفظ الشكل دون اي مضمون انساني او اخلاقي بعد طغيان المادة على كل تفاصيل الحياة .

هذا ويبقى العديد من الاسباب التي لا يتسع المجال
لذكرها هنا . . .

سبل الخلاص :

ساقطصر في هذا المبحث على الامور التي يمكن
لعلماء الامة القيام بها ، في سبيل رسم لمعالم الشخصية
الخاصة بالامة ، من قاعدة فكرية ثقافية تكون بمثابة
الوقود الاولي في حركتها الى الامام .

وابداً كلامي بالتوقف عند صدر الاسلام ، وبداية
حركة النبي محمد ﷺ ، ومدى تأثير تعاليم الدين
الحنيف على اناس كانوا يعيشون في بقعة جغرافية
صعبة ، ولم يكونوا ينتمون الى حضارة سابقة ،
غيرهم ممن كانوا في زمانهم (الحضارة الفارسية-
الحضارة الرومانية . .) . وفي بيئة قبلية ، يتحكم
فيها بعض زعماء قبائل الجزيرة العربية بالناس ،
يفرضون عليهم عبادة الاصنام ، وواجهوا الرسول
الاكرم ومن كان معه باشد اشكال الظلم من تعذيب
الى حصار الى قتل . . .

رغم المعاناة الداخلية مع قومه ، ومع اختلال في
موازن القوى العظمى في ذلك الزمان استطاع
الرسول الاكرم ﷺ ان يعمم الاسلام ، واحكامه ،

الرابع : ايجاد انظمة امنية قائمة على القمع والاستبداد
وارهاب شعوبها لتعطيل اي تغيير ايجابي ممكن ولابقاء
التخلف حاكماً في نواحي مجتمعاتنا المختلفة .

الخامس : الافساد الاخلاقي من خلال الوسائل
المختلفة وخصوصاً مع تعدد وسائل الاتصال ،
بحيث تُسقط أعداد كبيرة من الشباب لتمنع تقدمهم
واستفادة الامة منهم ، فضلاً عن تحويلهم الى
مشكلة بدل ان يكونوا صانعي المجد لامتهم .

السادس : خلق الكيان الاسرائيلي ليبقى عالمنا
الاسلامي يعاني من مشاكل بسبب تداعيات حروبه ،
وليمنع استفادتنا من الخيرات الطبيعية ، وعلى
رأسها النفط ، لتطوير العلوم واخذ مجتمعا البشري
ليعود الى تراثه وبالتالي لمنع تشكيل امة يمكن ان
تكون منافسة للغرب كما في الماضي القريب .
فبوجود الكيان الصهيوني ، يبقى الاستنزاف
للخيرات والامكانات ، واذا ما تمكنوا من تثبيتته
سيستغل الى كل مفاصل عالمنا ليعيث فيها فساداً
أكبر وأعظم . ليقضي على اي أمل بالنهوض .
وليعمل على هدم اسلامنا وتعاليمه ، والقضاء على
مفاهيم سيد الخلق والمرسلين سيدنا محمد ﷺ .
ليتفشى الجهل ، ولينعدم أي أمل بالتغيير .

ومفاهيمه ، لبنى امة في فترة بسيطة لها مكانتها غير العادية ، ولتتقدم هذه الامة بحضارتها وتسود العالم في معظم اصقاعه .

كل هذا التغيير كان بسبب ما يحمله دين الاسلام من عوامل القوة ، في تحريك الشعوب لبنائها ، وجعلها امة واحدة ، واخذها الى الأمام ، في عملية تكاملية تصاعدية . . .

ولا زال الاسلام الى يومنا هذا حاضراً وبقوة وصانعا للمعجزات رغم كل ما واجهه من تحريف وخراب وتقتيل ، بل كان له أثر على من حاول اقتلاعه ، كالمغول الذين دخلوا بلاد الاسلام محتلين وغازين ليقضوا على الدين وعلى معتنقيه ، ليدخلوا في رحابه ليصبحوا بعد فترة من الزمن حماة والعاملين على نشره .

نعم ان ما عندنا من دين بمفاهيمه وقيمه واحكامه كنز كبير ، ويمكن ان نعود بأمتنا من خلاله لتكون في مصاف الامم المتقدمة ، ونساهم في انسنة العالم ، تحضيراً لدولة العدل الالهية ، بعد تهئية المسلمين لمواجهة المانعين من قيامها من الطواغيت ، والمستكبرين والمستعمرين ، وذلك لا يكون بالمواعظ والدعاء فقط على أهميته . ولا من خلال الذهاب في مباحث نظرية ، وندوات علمية بحثية ، وان كانت ضرورية . بل ان عملية اعداد الامة

لتكون بين يدي الامام المهدي ﷺ لن تكون بسيطة وسهلة ، حيث ان المتحكمين بمقدرات الامة ، سيسعون لاسكات اي صوت ، وكبت اي تحرك يمس بمصالحهم . وبما ان القوة لا تواجه الا بالقوة ، وانه لا صوت يُسمع للضعفاء في هذا الزمن . كان لا بد من البحث عن السبل التي يمكن اعتمادها ، لايجاد القوة التي نواجه بها اعداء الامة من الخارج والداخل .

وفي ظل الخلل القائم في موازين القوى لصالح الدول الغربية المتحكمة بمقدرات الامة ورببيتها اسرائيل ، كان لا بد من قيام مقاومة بكل اشكالها ، لا تعتمد اسلوب الجيوش الكلاسيكية ، تقوم بعملية استنزاف طويلة الامد للعدو . نعم ان المقاومة تمثل الخيار الوحيد لطرد العدو ، من بلادنا خصوصاً من فلسطين ، والعراق ، وافغانستان ، وكل العالم الاسلامي .

الحاجات الفكرية والمادية للمقاومة :

الفكرية :

اولاً : الفت الى ان اشكال المقاومة متعددة ، اهمها الثقافية والاقتصادية والعسكرية كلها تحتاج الى اعداد الامة من خلال بناء اساس فكري قائم على الايمان ، بعد تركيز الايمان بالله عز وجل ، وبتفاصيله من الاعتقاد

وفي المقابل الفتاوى الصادرة عن مرجعيات دينية كان لها ادوار سلبية ، غير عادية كفتوى جواز الصلح مع الاسرائيلي تحت شعار الآية القرآنية الكريمة ﴿اذا جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ . وعدم جواز القيام على الحاكم المسلم بالسيف ، وصولاً الى فتوى عدم جواز التضامن مع غزة مؤخراً ، بحجة كون ذلك ملهاة عن ذكر الله . . .

المادية :

وبما ان الانخراط في العمل المقاوم له مستلزماته المادية اضافة الى المعنوية ، ان كان على مستوى التضحيات ، حيث ان اثمان العمل المقاوم من انفس ، او ممتلكات ، تحتاج الى غطاء شرعي ، يبعث على الاحساس ببراءة ذمة المكلف . فان الفتوى تلعب الدور الاساسي لدفع الامة الى الامام . ولرغد المقاومين بالاموال اللازمة من الخمس لعملهم المباشر او فيما يتعلق بالمؤسسات الانسانية الضرورية لبناء المجتمع المقاوم . وكذلك من خلال الحث على التبرع على قاعدة ان الجهاد يكون بالمال كذلك كما هو معروف عندنا ﴿وجاهدوا بأموالكم وانفسكم﴾ . وهنا علينا ان لا يغيب عن بالنا جهد الانظمة ، والاجهزة المعادية ، في شراء ضمائر

بضرورة نصره الحق واهمية الآخرة على الدنيا ، والثقة بالنصر بعد الاستعداد ، ﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم﴾ ، وتكفل الله عز وجل بالمؤمنين ، الى الايمان برسله ، وكتبه وبالغيب ، وبالاخرة . حيث ان علاقة الانسان بطبيعته اقرب الى الدنيا ، ويحرص على نيل اكبر قدر ممكن للملذات والمتاع وللتخلي عنها كان لا بد من وجود محفزات ، ودوافع تجعله ينطلق للتضحيات طواعية . . . لاحتمال تعرضه للخطر . . . واي عمل مقاوم يكون مكلفا بطبيعته ويحتاج الى ما يعين لذلك .

ثانياً : الحاجة الى الفتوى الواضحة التي تحدد تكاليف المكلف الملتزم الحريص على تحصيل رضا الله . الفتوى التي تلاحظ المصالح العليا للمسلمين والقائمة على الثواب الشرعية . بعيداً عن امزجة الناس ورغباتهم .

ومعلوم في تاريخنا المعاصر اثر الفتوى عند المسلمين ، فمن فتوى تحريم التبako من قبل المرجع السيد الشيرازي المقدس ، إلى علمائنا المقدسين ، النائيني ، السيد الحكيم ، السيد الشهيد الصدر ، السيد روح الله الموسوي الخميني . وفي ايامنا الحالية امثال السيد السيستاني والسيد القائد الخامنئي واخرين حفظهم الله تعالى . كان لفتاويهم الدور الكبير في استقلال الشخصية والانتصار في اكثر من مكان .

ناخذ مثال الثورة الاسلامية في ايران ، وأثارها الكبيرة على المجتمع الايراني خاصة ، والاسلامي بشكل عام . وكذلك تجربة المقاومة الاسلامية في لبنان ، ونجاحها في كسر الحاجز النفسي الذي كان موجوداً ، وذلك بعد تحطيمها لاسطورة الجيش الذي لا يقهر ، وتسجيلها للعرب والمسلمين ، اول انتصار عسكري منذ بدء الصراع العربي الاسرائيلي .

وتجربة المقاومة في فلسطين بعد الانتفاضتين والحاقها الاذى بالاسرائيلي الى حد عاش الخطر على وجوده . وخصوصاً بعد الحرب على غزة مؤخراً واستطاعتها على الصمود على الرغم من ضراوة العدوان . حيث ان الكيان الصهيوني أنهى حربه على عدة محاور مع الدول العربية عام ١٩٦٧ في ستة ايام ، واحتل مناطق عربية كبرى دون اي خسائر تذكر في صفوفه . واذا بغزة الصغيرة المساحة ، تصمد ٢٢ يوماً من الحرب الضروس ، لتظهر العجز الاسرائيلي مرة أخرى ، بعد خيبة هذا العدو وفشله الذريع في لبنان بعد ٣٣ يوماً من العدوان الوحشي دون ان يستطيع هذا العدو احتلال جنوب لبنان ﴿ليطهره﴾ بزعمه من المقاومة .

وبالعموم يمكن القول ان المقاومة الاسلامية في لبنان وفلسطين تأسست بعد انتصار الثورة الاسلامية الايرانية ،

البعض لاختراع مقاومات تبيع وتشترى وتساوم ، او ربطهم من خلال مصالحهم الخاصة بالمشاريع المشبوهة .

وهنا اركز بشكل اساسي على الطلبة المبلغين ، حيث ان هناك امور كثيرة لا داعي للدخول في تفاصيلها هنا تتعلق بحرفهم ، واستخدامهم ، بعد اغرائهم ، ليكونوا عاملين على التشويش وايجاد البلبلة في الامة نتيجة ارائهم الشاذة . وللأسف فان البعض يستفيد من الامور الخلافية الموجودة في الحوزات العلمية بحيث يستفيد من هذه الجهة او تلك كغطاء مع انه يعمل على الاضرار بها قبل غيرها .

اننا نعيش في بيئة معقدة لاسباب كثيرة ، لذلك نحتاج الى رسم خطوط وسياسات عامة تكون بمثابة الضوابط لرصد ومراقبة حركة المبلغين ، والكتاب ، والخطباء ، ولضبطهم بشكل يسقط كل من يخالفها لوحده عند الناس ، ليكون منبوذاً . دون ان يتحمل الدين وزر احد منهم .

تجارب من الواقع المعاش :

اذا ما خضنا في ميدان التجارب العملائية ، يمكننا ان

ليتواجد حراكاً مهماً في الأمة وليعود الامل الى المسلمين في الوصول الى بناء امة كريمة تعيش العزة وتنفرض شخصيتها المستقلة في قبال الامم الاخرى ، على الرغم من الكلفة التي ستدفعها الأمة جراء ذلك .

نعم ان الأمة الاسلامية التي مزقتها الغرب وعانت الكثير من سياسته بعد استعمارها ، واحتلالها ، وتقسيمها ، وإثارة النعرات القومية ، والعرقية ، والمذهبية ، يمكنها النهوض بقواها الحية وبامكاناتها العظيمة ، فيما لو عمل العلماء على تنقية الشوائب وتوضيح مسائل الوحدة واحياء روح الاستشهاد واهمية الجهاد واطهار مكونات القوة الموجودة في الأمة والعودة الى الايمان بالغيب والسنن الالهية .

عوامل انتصار المقاومة في لبنان :

على الرغم من سلسلة الهزائم التي مني بها العالم العربي منذ الاربعينات نهضت مقاومة متواضعة وبامكانات بسيطة ، نمت وتصاعدت قوتها في فترة بسيطة الى ان حققت الانتصارات العسكرية الكبرى على الرغم من ضراوة المعركة وشراستها ، والخلل الكبير في القوة المادية من عديد وعدة . وهذه الانتصارات تعود لحضور فكر

الامام الخميني المقدس ، الذي قلب الموازين المعمول بها سابقاً . لتحضر مقاومة ولاول مرة منذ تأسيس الكيان ، قوّة ، صابرة ، صامدة ، لا تعرف الهزيمة . وذلك من خلال انعاش الامور التالية :

- تقوية الايمان بالله عز وجل وبغيبه ، ورساله وباليوم الآخر ، بشكل يحيي قلب المؤمن لينقله الى زمان صدر الاسلام .

- اعتماد مبدأ ولاية الفقيه ، ليكون بذلك الفقيه القائد الفعلي لحركة التحرر .

- احياء روح الجهاد وقبول الاستشهاد والتضحية من خلال اعطاء الثورة الحسينية ابعاداً سياسية ، اجتماعية ، تربوية . . . الى ان وصل الاهل الى مرحلة يتقبلون فيها استشهاد الولد والاب والام و. . . بل العمل على تقبل التبريكات .

- دفع المؤمنين للاهتمام بالاوضاع السياسية بعدما أكد الامام الخميني ، عدم امكان فصل الدين عن السياسة بقوله «ديننا عين سياستنا» مما اوجد وعياً سياسياً جعل من المؤمنين حذرين من الاجنبي ومن يتعامل معه . وشكّل منهم تياراً سياسياً مقاوماً للمشاريع التي اعتاد الاجنبي على تمريرها بطريقة المخادعة .

- ايجاد كل المؤسسات المطلوبة لدعم حركة المقاومة من :

أ - ثقافية : لنشر الثقافة الاسلامية الاصيلية .

ب - اجتماعية : للاهتمام بكل الحالات التي تتأثر بالمواجهة من مؤسسات الشهيد ، الامداد ، جهاد البناء . . .

ج - اعلامية : حيث ان الاعلام يُعتبر السلطة الرابعة في العالم ، لما له من تأثير كبير على ثقافة ووعي الناس ومعنوياتهم .

ح - سياسية : لحماية حركة المقاومة شعبياً خصوصاً ونحن نعيش في عالم متعدد التوجهات والاديان والطوائف ، حيث نحتاج الى شبكة علاقات سياسية تكون بمثابة مظلة حامية للمقاومة .

خ - تربوية : لبناء جيل جديد على مفاهيم الاسلام المحمدي الاصيل على هامش الدراسات اللاحادية المختلفة .

الظرف العصيب ان نتحمل المسؤولية في كل الميادين لسببين :

الاول : للدفاع عن الاسلام واطهاره في صورته الحقيقية بعد ان تعرض للكثير من التحريف بفعل الانظمة المتعاقبة ووعاظ السلاطين .

الثاني : لمواجهة المخاطر المحدقة بديننا وبالمسلمين في اصقاع الارض .

وهذا يفرض علينا بالعموم وقبل الدخول في التفاصيل ، مواكبة العصر في اعتماد المؤسسات المختلفة (من ثقافية ، اعلامية ، اجتماعية . . .) والرقابية لمتابعة اي انحراف او خطر يتهددنا . وعدم الاكتفاء بالطرق التقليدية في العمل حيث ان آثار العولمة وتعدد وسائل الاعلام والاتصالات فرضت بمجموعها نحواً من التعاطي مع الامداد بشكل يتطلب السرعة في المتابعة واعطاء الموقف المطلوب قبل استغلاله من قبل المتربصين وما اكثرهم في العالم .

في الموضوع الثقافي الفكري :

- الالتفات الى ما يصور من فكر وثقافة والتعليق عليه ورسم خطوط واضحة من قبل المرجعيات في جواز او عدم جواز النشر لبعض الامور . وبذلك نضع حداً في تحمل

ما يتوجب علينا فعله :

ان نثقل الامانة المباركة التي كُلفت لتبقى الكثير من العناء والدماء والتضحيات الجسام ، يجب علينا وفي هذا

- التشجيع على احياء المواقف المشرقة منذ صدر الاسلام والى يومنا هذا من خلال الوسائل الاكثر رواجاً (افلام ، مسرحيات ، كتابات أدبية . . .)

- التشجيع على كتابة القصص للأطفال والمجلات المتخصصة لهم .

- الاشراف على الكتب المدرسية المعنية بالتاريخ والسيرة والمفاهيم الدينية .

- التواصل مع اصحاب الأديان السماوية بشكل مباشر من الحوزات ، كي لا تكون الاديان والطوائف جسور عبور للزعامات من الجميع على حساب السماء والأنبياء . ولكي لا تختبيء قوى الاستعمار خلف مرجعيات دينية لاعطاء المواجهة بعدا دينيا .

ولمزيد من الفائدة ، أطرح هذين الموضوعين :

- تعميم مدرسة عاشوراء .

- الاهتمام بموضوع المرأة .

تعميم مدرسة عاشوراء :

من خلال المقايسة بين أحوالنا وما بين الأحوال التي كانت قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران . يمكن بوضوح قراءة الفرق الكبير بينهما . وبالعودة إلى كلام

المسؤولية كحوزات علمية مسؤولة عن اي شيء ينشر ، وابداء الرأي في غير المقبول منها .

- الطلب من دور النشر الشيعية مراجعتهم قبل نشر اي كتاب او ارسال ضوابط عامة يتفق عليها العلماء بحيث يتم النشر او عدمه بموجبها .

- تشجيع أصحاب الكفاءات العلمية بالتصدي لموضوع الكتابة في القضايا ذات الاهمية اليوم ، خصوصاً تلك التي يكثر فيها الكلام والاختلافات (الخلافة ، الشرك ، التكفير . . .) . من خلال الاكثار من المحفزات المعنوية والمادية (كاعلان جائزة لافضل كتاب وافضل موضوع . . .) .

- التشجيع على التخصص في الحوزات في بعض الموضوعات وذلك من خلال ايجاد معاهد علمية متخصصة يستفاد من الاكاديميين مورد الثقة .

- اعتماد الفضائيات المتخصصة في نشر الفكر لاطهار الحقائق وخصوصاً في ظل وجود فضائيات غير منضبطة وغير متفهمة للظروف المعقدة .

- مراقبة صفحات الانترنت الاسلامية الموجودة والتواصل معها لتصحيح ما يرد فيها من مغلطات يمكن ان تسبب خلافات .

الإمام الخميني رحمه الله حول عاشوراء «كل ما لدينا من بركات عاشوراء»، وإلى تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان الرائدة في إنزال الخسائر بالكيان الصهيوني، الذي ما كان يعرف الهزيمة منذ الأربعينات وإلى ما حصل في الداخل الفلسطيني من انتفاضتين مباركتين أسستا لحالة غير عادية. وهنا يذكر أن الانتفاضة الأولى كانت بعد الانسحاب الإسرائيلي الأول من لبنان اثر عمليات المقاومة عام ١٩٨٥، والانتفاضة الثانية المعروفة بانتفاضة الأقصى بعد الانسحاب الإسرائيلي المذل عام ٢٠٠٠. وما كانت الساحة الفلسطينية تعرف ذلك من قبل. ومن خلال التحليل يمكن القول إن انتصارات المقاومة الحسينية في لبنان تركت أثراً غير عادية على الشارع الفلسطيني. فتعممت روحية الاستشهاد ولتتكون مقاومة إسلامية في فلسطين مستفيدة من تجربة حزب الله في لبنان، ومن ثم لتسجيل الانتصار الكبير في المواجهة الأخيرة اثر العدوان على غزة أواخر العام ٢٠٠٨ وأوائل العام ٢٠٠٩.

إن شراسة وغطرسة العدو الإسرائيلي بشكل خاص، والمظلومية التي يعيشها الشعب الفلسطيني، ما كان من الممكن وضع حد لها لولا روح الاستشهاد، لينتصر الدم على السيف.

وبشكل عام فإن الاستياء الموجود ونتيجة المظلومية

والاستضعاف الذي يعاني منه معظم المسلمين، لا يمكن الخلاص منه الا بروح جهادية عارمة. وذلك لن نجده في مكان أفضل من كربلاء المدرسة، التي تعلم منها غاندي عندما قال «تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر».

ولكي تعمم الفائدة من عاشوراء الحسين على كل الأمة. كان لا بد من البحث عن الطرق والأساليب الممكنة لذلك من خلال عرضها على هموم المسلمين. وكيف لا نجد التأثير فيما لو تم عرض سيرة سبط الرسول الأكرم عليه السلام، ولأهل البيت مكانة غير عادية عندهم. ويمكن ذلك فيما لو كانت دعوات لعلماء أهل السنة وإقامة مؤتمرات لدراسة ذلك بشكل موضوعي.

هذا يتطلب أيضاً العودة إلى تبيان بعض الإشكالات التي طرحت سابقاً وحلها بشكل مقبول. فعاشوراء ليست ضد السنة وليست ضد أحد من الأنظمة. إن هي إلا مدرسة تبين أموراً تهتم المسلمين في جهادهم ضد الباطل وضد الطواغيت خصوصاً المحتلين والمتربصين بالأمة شراً. ليتعلموا أن الدم ينتصر على السيف وإن الصبر على الجهاد ضروري، وإن القتل في سبيل الله كرامة وإن التهجير والسبي، يمكن تحمله في سبيل الله. وكيف لا وقد تعرضت لذلك نفس عائلة النبي الأكرم عليه السلام حتى

الطفل الرضيع قُتل على يد أبيه . . .

الاهتمام بموضوع المرأة :

إن الدور الذي تلعبه المرأة في العموم مهم جداً .
بحيث عبّر الإمام الخميني رحمته الله عن ذلك بقوله « المرأة
والقرآن أوكل إليهما صنع الإنسان » ، فهي المربية
والحاضنة ، والصانعة . هذا على مستوى صناعة الجيل .
وهي الشريكة للرجل في الحياة بشكل عام .

وعلى قاعدة فاقد الشيء لا يعطيه ، كان لازماً علينا
الاهتمام بصناعة الأجيال ، حيث انه عندما نطالبها
بتخريج أبطال ومجاهدين . كان لابد من وجود ذلك
عندها ، وهذا يتطلب الاهتمام بها منذ صغرها ، وأثناء
عملية التربية ، ليكون ذلك قائماً على أساس الدور
المطلوب منها .

وباعتبار أن للشراكة اثر كبير على الشركاء طرداً وعكساً
كان لا بد من الاهتمام بها وملؤها حباً وعاطفة وحناناً ،
بالإضافة إلى التوعية في الشؤون الاجتماعية والسياسية .
وهنا تكمن مسؤولية الأهل في إنشائها .

وهنا إذ نقول : صحيح أن بعض المجتمعات
الإسلامية قد أعطت للمرأة دورها وحقوقها ، إلا أننا لا زلنا
نعاني بالعموم في كثير من الدول من اللامبالاة بالمرأة

وحرمانها من الإرث والتعليم والتوعية .

لذلك يتوجب علينا في عملية النهوض ، أن لا نترك
المرأة فريسة للشعارات الغربية المغرضة ، من خلال
جمعيات تدعي العمل على إعطائها حقوقها . واعتقد أن
الفراغ الذي تركه المسؤولون عندنا وسكوت العلماء عنهم
لعدم تصديهم المباشر ، فسح المجال أمام أعداء هذه
الأمة ، لينطلقوا في مشاريعهم من خلال إفساد المرأة
التي يعتبرونها العنصر الأساسي في إفساد المجتمع ، من
خلال إشاعة أجواء الشهوات والغرائز لإلهاء الشباب الذين
يعوّل عليهم في عملية التغيير .

هكذا نخلص إلى قاعدة ، أن إصلاح المجتمع يحتاج
إلى إصلاح المرأة وإعدادها . والإسلام غني في هذه
الأمر ، لذا فان تبيانها والتأكيد عليها يكون :

من خلال إظهار الأحكام الخاصة بذلك ومتابعتها
والتأكيد عليها .

وإقامة كل ما يلزم من مؤسسات وهيئات تعنى بذلك
تحت إشراف المرجعيات الدينية ودعمها .

وان التجربة المشرقة في إيران الإسلام وفي لبنان
وفلسطين والعراق ، دليل مهم على ذلك حيث أننا عشنا
أهمية وعي المرأة . الام الاخت البنت الزوجة وحضورها

للتضحيات في إحرار النصر .

وهنا اذكر بالعقيلة الحوراء زينب التي ما كانت لتتحمل المسؤولية بعد اخيها الامام الحسين عليه السلام لولا تهيتها من قبل ابيها ، واهتمام اخوتها بها . . وما احوجنا لمثيلاتها من النساء .

في الموضوع السياسي :

سأبدأ هذا المقطع بقوله تعالى ﴿ ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ .

وبالعودة إلى سيرة الرسول الأعظم صلوات الله عليه ، فانا رأيناه أكثر من مبلّغ للأحكام ، والمفاهيم ، وأكثر من داعية إلى الله عز وجل ، حيث كان القائد لحركة تغييرية ، قادها في مواجهة المستكبرين في مكة وشبه الجزيرة العربية . فكان بذلك ثائراً ضد الظلم والعدوان . وبعد ان استقر له الوضع كان القائد السياسي بتطويره للإدارة السياسية للدولة وكان القائد العسكري حيث كان صاحب القرار بالحرب والسلام .

وبعد الرسول ، نرى حركة الأئمة سلام الله عليهم كانت استمراراً لحركة الرسول صلوات الله عليه ، وكل منهم كان يعمل وفق ظرفه الخاص للحفاظ على الرسالة ومبادئها .

واليوم ، لا يختلف اثنان في تردّي وضع الأمة العام ،

والحاجة إلى النهوض . ولا يُنكر احد دور العلماء في نهضتها وهم الورثة للأنبياء ونواب الأئمة عليهم السلام . لما لهم من مكانة وتأثير في حركة المؤمنين . وإنني أرى ضرورة الالتفات إلى الأمور التالية :

١- الوحدة الإسلامية :

إن أحد أسباب ضعف الأمة بالعموم ، انقسامها بحسب الألوان والألسن . وبعد استعمارها بالعموم دخلت الحدود الجغرافية لتزيد من هذا الانقسام . في البداية كانت القومية مبدءاً للتجزئة (فارسي ، عربي ، ملاوي ، اردو ، إفريقي) . ثم قسّموا الفارسي إلى إيراني وأفغاني ، والعربي إلى يماني ، وسعودي ، وعراقي . . . ثم المسلمين إلى سنة وشيعة ، وكذلك السنة إلى مذاهب أربعة والشيعة إلى فرق . . . وبالعموم تعيش الأمة حالة من التشرذم أدى إلى سهولة الإمساك به بعد إضعافه . لذلك لا بد من العمل بإحياء المفاهيم التي تجمع الكل دون تمييز . ولتأكيد ذلك يمكننا التوقف عندما يحصل في العراق وماذا خُطّط له في لبنان ليكون شرارة تنتقل إلى العالم العربي كله .

لا بد لنا من الإشارة في هذا السياق ، إلى أمر غاية في الأهمية ، وهو أن الشيعة يمثلون نسبة لا تتجاوز ال ٢٠% من مجموع المسلمين في العالم . وبهذه النسبة لا

والصهيونية بسبب الخوف من توحيد المسلمين ، إلى البحث عن السبل التي تمنع من رواج فكرة الثورة ، فلم يكتفوا من اللعب على وتر الاختلاف القومي والمذهبي ، بل ذهبوا من خلال العودة إلى التاريخ القديم ، لإحياء النعرات الفارسية العربية وغيرها .

ومع انشغال علماء الثورة بوضعهم الداخلي ، ومواجهة المشاكل التي اعترضت مسيرتهم ، ذهب اعداء الامة الى محاصرة للثورة ولفكرها . ومن ثم محاصرة أنصارها في الخارج سواء كانوا شيعة أو سنة . من خلال التفرقة ، ونشر الطرح التكفيري . ولمنع نجاح الاعداء في مخططهم هذا . يجب علينا العمل وبجهد كبير لما له من خطورة وأهمية .

وباختصار لا بد من اهتمام الحوزات العلمية ، والمجاميع العلمية ، بإيجاد العمل عن الوحدة بين المسلمين وحرمة التعاطي على أسس التفرقة ، لما في ذلك من خطر على الإسلام والمسلمين .

وهذا قد يتطلب دفع الحوزات باتجاه تشكيل هيئات علمائية تدرس السبل الأكثر نجاحاً . ولتواصل مع المسلمين من شتى أقطار العالم الإسلامية ، لإنشاء لجان إسلامية مشتركة ، عاملة على توحيد الجهود . . . دون المساس بالمواضيع المذهبية فقهياً . لتشكيل تيار كبير

يمكنهم لوحدهم مواجهة الأخطار المحدقة بالإسلام . وهم بالعموم يشكّلون أقلّيات في بلدانهم . فضلاً عن إمكان أحداث فتن تشغلهم عن أهدافهم وتجعلهم يبحثون عن سبل الدفاع عن أنفسهم لحفظ وجودهم . وبلحاظ أن الغرب المستعمر زرع بذور الفتن المذهبية بشكل كبير حيث وصل الأمر إلى حد نشوء مدارس مستغلا عناوين السلف الصالح ، والدفاع عن الدين ، او الدفاع عن المذهب . ذهبت إلى حد التكفير والإخراج من الدين . وتم التركيز على أمور واهية وغير صحيحة ، ونشر الأكاذيب بطريقة مدروسة ساعدهم في ذلك بعض الجهلة من كل الاطراف .

وبالعموم ان ما نعاينه ، هو نتاج لتلك السياسات . وقد أدى إلى ويلات وتراجع الطروحات الأصيلة والمفيدة ، لصالح الطروحات المذهبية الضيقة ، التي تخدم الغرب والصهيانية . لتنشغل الساحات الاسلامية عن اعدائها في التقاتل الداخلي .

لم يكن ما يجري اليوم في عالمنا الإسلامي من باب الصدفة ، بل من الممكن بعد القراءة المعمقة والتأمل والمتابعة ، أن نقول انه بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة على يد المرجع الديني المقدس الإمام الخميني رحمة الله عليه . ذهبت مراكز الدراسات الغربية

من الروافد المختلفة تواجه الغرب وسياسته .

٢- دعم القضية الفلسطينية :

إن تأسيس الكيان الإسرائيلي الذي بدأ بعد الحرب العالمية الأولى وانسحاب التركي من المنطقة العربية . كان فكراً غربياً قائماً على قراءة لحفظ المصالح الغربية من خلال التواجد بشكل مباشر عبره . وبنفس الوقت يمنع من استفادة المنطقة العربية من وفرة النفط لبناء مجتمع علمي ، يتقدم تكنولوجياً . مما يرفع من مخاطر تشكل أمة قوية ، وقادرة ، تشكل خطراً كما السابق ، يشغالها في حروب دائمة تستنزف قدراتهم ، وتمنع تشكيل القوة التي بخشاها الغرب . فيكون بذلك الكيان الإسرائيلي قاعدة عسكرية سياسية أمنية اقتصادية للغرب ولذلك تعتبر من أولوياته وخصوصاً الأميركي . وهنا يلفتنا موقف الإمام الخميني رحمه الله من هذا الكيان حيث قال «إسرائيل غدة سرطانية زرعت في المنطقة وعلينا أن نعمل لاقتلاعها من الوجود» . وهذا القول يكشف وبوضوح مدى الخطر منه على المنطقة والمسلمين والإسلام . باعتباره عائقاً أساسياً أمام تحرير المنطقة والمسلمين من هذا الخطر الكبير الذي سبب مآسي إنسانية وسياسية وعسكرية وأمنية .

والمهم هنا أن القضية الفلسطينية يمكن أن تلعب دوراً

مهماً في طرح الوحدة الإسلامية ، بحيث يتم تجاوز الحاجز المذهبي الذي صنعه الغرب مؤخراً . وإذا ما عدنا إلى الوراء ، ما قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران لرأينا أن فلسطين كانت حاضرة في فكر الأمام وقتاويه وبعد انتصار الثورة ، كانت إيران أول دولة في العالم تفتح سفارة لفلسطين في طهران وتتعاطى مع الثورة الفلسطينية كدولة لها حق التمثيل بعد إغلاق السفارة الإسرائيلية وطرد السفير الإسرائيلي في طهران . لما لفلسطين من مكانة في العالم الاسلامي بحيث تعتبر قلعة اساسية للعالم الاسلامي تدافع عن مصالح كل المسلمين .

ومن خلال تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان اتضح مدى تأثير العمل المقاوم على دمج المسلمين ، بحيث أوجدت توأمة مع المقاومة الفلسطينية رغم الصعوبات التي لا زالت تواجهها .

بالإضافة إلى انه يمكن القول أن الفلسطيني اليوم بقضيته الحية والمحقة يقف في الخندق الأخير للدفاع عن الأمة ومنع شرعنة الكيان الإسرائيلي الذي يريده الغرب منتشراً في أصقاع العالمين العربي والإسلامي ، ودعمه لحفظ من السقوط يعتبر دفاعاً عن الأمة كلها .

٣- مواجهة الاستعمار

بعد تفكيك العالم الإسلامي ، عمل الغرب على تشكيل منظومة سياسية تحكمه من خلال أنظمة غير مستقرة ، وغير قادرة على النهوض ، لتكون مشكلة لشعوبها بدلاً من كونها حلاً لمشاكلها . وبما أننا نرى إن تحول الشعوب عن أعدائها الأساسيين ، إلى مواجهة الأنظمة ستدفع عالمنا إلى مزيد من الضعف والوهن . لذلك لا بد من حملة علمية مدروسة لرفع مستوى الوعي وتبيان خطورة السياسات الغربية ، ودفع النخب في عالمنا إلى التعاطي المناسب لأخذ عالمنا وبهدوء باتجاه الأمان والاستقرار .

بالإضافة إلى ضرورة تواصل العلماء والمراجع مع المسؤولين السياسيين عبر الوسائل المناسبة والوسائط المساعدة لمصالحتهم مع شعوبهم ، حرصاً عليهم وعلى الشعوب وعلى المصالح العامة . على ان يشمل هذا العمل كل العلماء من كل المذاهب بعد الاتفاق على آليات ووسائل مساعدة ، ليكون العمل عاماً ومن قبل الجميع نظراً لدقة الأوضاع .

وفي هذا الإطار يمكن العمل على التوعية من

خلال ربط العمل السياسي بالديني وبالعكس ، لإيجاد ثقافة عامة عند المسلمين . حيث يمكن القول وبالتجربة أن هناك حاجة ماسة عند الطلبة المنتشرين في البلدان المختلفة الى الوعي السياسي ، ليتصدوا مع الناس لكل ما يشكل خطراً عليهم خصوصاً بعد سقوط الأفكار اليسارية والقومية لصالح الفكر الديني الذي بات الأمل الوحيد للناس في التخلص من معاناتهم ومشاكلهم .

وكما أشرت سابقاً في موضوع رفد الطلبة بما يحتاجونه من وعي وامكانات كي لا يقعوا فريسة الأنظمة والأجهزة المعادية .

وفي الخلاصة لا بد من الالتفات إلى أمرين :

الأول : اعتبار المادة السياسية أساساً عند الطلبة أثناء الدراسة مع ما يتطلب ذلك من مراجعة تاريخية ، وجغرافية ، واجتماعية تامة .

الثاني : تأمين المصادر المطلوبة لاكتفاء العاملين في الحقل التبليغي العام لتأمين احتياجاتهم الشخصية والعامة .

وأشير في ختام هذا الموضوع إلى أن العمل في التوعية وان استلزم نظم الأمر إلا انه علينا أن نبعد ما

المسلمين كلهم للنصرة ، من خلال التشجيع على الهيئات المطلوبة للدعم ، وتحمل الجميع المسؤولية ، وعدم ترك المحتلة أرضهم لوحدهم ، يواجهون مصيرهم حيث ان العدو يريد الجميع . ويمكن التوقف عند أهمية المواقف من بضائع الأجنبي ، حيث أن المصالح الاقتصادية مهمة للغرب . ولو أن المسلمين يلتزمون بذلك لشكلوا ضغطاً لا تقل أهميته عن العمل العسكري .

ولا يخفى خطورة الاحتلال حتى بعد انسحابه ، واذكر في المقام كلام الإمام الخميني رحمته الله عن خطورة التغرب نتيجة هيمنة الغرب على الحضارة والثقافة والعادات والتراث وهذا واضح في آثار الوجود المباشر خلال فترة طويلة ، بحيث بقيت آثار الغربيين على الرغم من خروجهم المباشر من الدول التي تركوها .

٥- الفساد السياسي :

من المشاكل الكبرى التي يعاني منها المسلمون هي الفساد السياسي وبالعموم نراه في الطبقات السياسية المختلفة . وبعض الأمور المتعلقة بالموضوع العشائري أو القبلي أو العائلي يجعل من الناس إتباع شخص بمعزل عن

أمكن العمل التبليغي عن الانحياز الحاد لجهة محددة ، ليبقى العلماء في خدمة الجميع لتكون الفائدة عامة .

٤- الموقف من الاحتلال الأجنبي :

إن معاناة معظم بلدان العالم الإسلامي من الاحتلال الأجنبي واضحة ولا تحتاج إلى شرح . وواضح أيضاً آثار ذلك على إفساد المسلمين بعد إبعاد الإسلام عن الحياة السياسية وتحريف الكثير من مفاهيمه . واستغلال الموارد الطبيعية المهمة لعقود من الزمن ، وسرقة الخيرات ، واستغلال الناس .

اليوم ، وان كنا بالعموم ننعم بالاستقلال ، يوجد بعض أهلنا تحت الاحتلال في فلسطين ، العراق ، أفغانستان . والأميركي أما هو المحتل مباشرة أو يغطي الآخرين بالتعاون مع الغرب .

إن مواجهة الاحتلال لا تكفي فيه الفتوى فقط على أهميتها ، بل يحتاج الأمر إلى متابعة تفصيلية لكل مستلزمات مقاومة الاحتلال من معنوية إلى مادية . وقد أشرت إلى ذلك عند الحديث عن المقاومة وتجربتها .

والمهم في الموضوع هنا ان الأمر يقضي بدفع

وبعد الموجة من الحملات على الرسول الأكرم ﷺ في بعض دول الغرب والعمل على تشويه شخصيته . وكذلك على الحجاب في بعض الدول المستكبرة . يمكن بفضل فتاويهم ومواقفهم إيجاد حالة من الضغط الشعبي الذي يفرض على الأنظمة عندنا لأخذ مواقف تضر بمصالح تلك الدول من خلال قطع العلاقات الدبلوماسية ، والتجارية وغيرها .

وبالعموم ان غياب المرجعيات الإسلامية يضعف من موقف المسلمين . ويخلو الأمر للأنظمة غير العابئة بما يجري ، والمهتمة بمصالحها الضيقة ، على حساب شعوبها .

٧- إحياء ولاية الفقيه :

من خلال التجربة الرائدة في الجمهورية الإسلامية في إيران وتجربة المقاومة الإسلامية في لبنان اتضح مدى أهمية كون الفقيه الجامع للشرائط على رأس الهرم في الحركة السياسية الاجتماعية . لما له من اثر قي منع التفرقة وجمع للطاقت وتوحيد القيادة والإمرة لمن يورث الاطمئنان لاتباعه لفقاوته وورعه وابتعاده عن الهوى بخلاف الزعامات الاخرى

سلوكه السياسي أو الأخلاقي أو المادي . وهنا اعتقد أن توعية عموم المسلمين على خطورة هذا المسلك ممكنة ، من خلال إيضاح ونشر الآيات والروايات التي تحت على الخيار الأفضل بعيداً عن التعصب لعشيرة أو غيرها . وتبيان الإشكالات الشرعية في ذلك ليس ممكناً عند المبلغين ، إن لم تكن هناك فتاوى ومواقف واضحة من المرجعيات مورد القبول من الناس ، بشكل يتحمل المكلف مسؤولية خياره السياسي ويحاسب على أساسه .

٦- التعاطي مع المؤسسات الدولية :

بات واضحاً من خلال سياسات المؤسسات الدولية ، أنها غطاء للقرارات التي تحمي مصالح الدول المستكبرة (ما يعبر عنها بالدول العظمى) ، بحيث يتقاسمون المصالح وتجري بينهم التسويات على حساب الشعوب المستضعفة .

واني اعتقد أن العلماء قادرون على فضح دورها على مستوى عامة المسلمين . والضغط على الأنظمة القائمة اليوم عندنا لرفض مثل هذه المؤسسات ، إن هي استمرت في هكذا سياسات . حيث أن معارضة دولة دون الآخرين يضرّ بها دون تحقق أي فائدة تذكر .

بشكل عام . ولا داعي هنا لاستدلال أكثر على أهمية ولاية الفقيه . وهي وان كانت مورد خلاف علمي عند مراجعنا العظام ، ولا يمكن فرضها عليهم . إلا انه من الممكن الوقوف عندها كتجربة رائدة ، والنظر في ما لها من فوائد عامة على الإسلام والمسلمين . حيث أن الأمر من قبل العالم بالأحكام الذي يعيش التقوى والورع ، ويهتم بمصالح الإسلام العليا ، ومصالح المسلمين هي حتماً أفضل من إمرة غيرهم من القاصرين عن إدراك تلك المصالح والاهتمام بها .

وبما أننا نعيش في عالم تعتبر القوة فيه كل شيء . وأعداؤنا لديهم من القدرات ما لا يمكن مواجهته بالطرق التقليدية البسيطة ، كان الأفضل البحث عن سبيل تجميع كل الطاقات ليشكل منها القوة الممكنة ، التي تساعد على الصمود والنهوض من خلال العمل المؤسساتي المبني على الولاية للفقيه الجامعة للطاقات ، لما لهذه المؤسسات من اثر كبير على تسيير الشؤون العامة بشكل أفضل .

وبما انه لا يمكن أن ينقسم العالم إلى حكام

باسم الدين ، يعملون بشكل قد يؤدي إلى تضارب على حساب المصالح العامة . أرى أن العمل مع الفقيه المبسوط اليد بشكل يتم معه التنسيق في كل الميادين سيعطي نتائج أفضل .

هذا في عالمنا الشيعي ممكن العمل له ، إن كان على مستوى الدول ، أو الجماعات .

أما في عالم السنة يمكن دفع الأمور عندهم باتجاه أن يكون للعلماء دور الرقيب على الأقل ، واستصدار المواقف والفتاوى الممكنة لمعالجة ما أمكن . وهذا قد يخفف من المآسي التي نعيشها . واحد الشواهد الحية ، ما جرى مؤخراً في غزة ، حيث كان من المفيد جداً وقوف العلماء الى جانب الشعب الفلسطيني من خلال الضغوط على الانظمة لوقف المجازر . ولو كان الوضع الديني مستقلاً عن الانظمة ، لكانت حركة الشارع اسرع واهم ، ولما فكرت الانظمة العربية والاسلامية بالعموم في الوقوف متفرجة ، مما ساهم في اغتيال العدو في مجازره .

الهوامش :

- [١] السيد الخامني في ردوده على رسالة مجموعة من طلبة الحوزة والجامعة . ١٨ / ١١ / ١٣٨١ هـ . ش .
- [٢] السيد الخامني في لقائه بحشد من المتفوقين والنخب من طلبة الجامعات . ٧ / ٩ / ١٣٨١ هـ . ش .
- [٣] يقول فريد الدين عطار النيشابوري في كتابه منطق الطير (بالفارسية) : « ليك آن علم لزج جون ره زند ، بيشتر بر مردم آكه زند » ، ولك أن تقول في تعريبه نظماً : إن سهم العلم يوماً لو بغى ، استهدف الواعين من بين الورى المرتجم) .
- [٤] السيد الخامني في حديثه بمناسبة ذكرى رحيل السيد الإمام رضوان الله تعالى عليه ١٤ / ٣ / ١٣٨١ هـ . ش .
- [٥] السيد الخامني في لقائه بأعضاء مؤتمر الحكمة المطهرة . ١٨ / ١٢ / ١٣٨٢ هـ . ش .
- [٦] السيد الخامني في لقائه بحشد كبير من زوار مرقد الإمام الخميني الراحل رضوان الله تعالى عليه . ١٤ / ٣ / ١٣٧٦ هـ . ش .
- [٧] السيد الخامني في لقائه بحشد من أعضاء جمعية الكتاب الإيرانيين . الشهر الحادي عشر (بهمن) من عام ١٣٨١ هـ . ش .
- [٨] السيد الخامني في لقائه بأساتذة وطلاب جامعة أمير كبير الصناعية . ٩ / ١٢ / ١٣٧٩ هـ . ش .
- [٩] توجيهات السيد الخامني في لقائه بوزير الخارجية ، ورؤساء ممثلات الجمهورية الإسلامية في الخارج . ٢٥ / ٥ / ١٣٧٩ هـ . ش .
- [١٠] السيد الخامني في لقائه بأساتذة وطلاب جامعة أمير كبير الصناعية . ٩ / ١٢ / ١٣٧٩ هـ . ش .
- [١١] السيد الخامني في لقائه بمجموعة من نخب مسابقات الأولمبياد العالمي والدولي ، والطلبة المتميزين في امتحانات عامي ٨٠ و ٨١ هـ . ش . ٣ / ٧ / ١٣٨١ هـ . ش .
- [١٢] السيد الخامني في لقائه بحشد من أساتذة الجامعات من مختلف المدن الإيرانية ، ٨ / ٨ / ١٣٨٢ هـ . ش .
- [١٣] السيد الخامني . ١٤ / ٧ / ١٣٧٩ هـ . ش .
- [١٤] السيد الخامني في لقائه بحشد من طلبة المدرسة الفيزية . ١٤ / ٧ / ١٣٧٩ هـ . ش .
- [١٥] السيد الخامني في لقائه بحشد من طلبة المدرسة الفيزية . ١٦ / ٩ / ١٣٧٤ هـ . ش .
- [١٦] السيد الخامني في مستهل درسه (البحث الخارج) . ٢٠ / ٦ / ١٣٧٣ هـ . ش .
- [١٧] السيد الخامني في لقائه بأعضاء مؤتمر الحكمة المطهرة . ١٨ / ١٢ / ١٣٨٢ هـ . ش .
- [١٨] السيد الخامني في ردوده على رسالة مجموعة من طلبة الحوزة والجامعة . ١٨ / ١١ / ١٣٨١ هـ . ش .
- [١٩] السيد الخامني في لقائه بالنخب الشابة . ٢١ / ١١ / ١٤٨٢ هـ . ش .
- [٢٠] السيد الخامني في خطبة صلاة الجمعة بطهران ٢٣ / ٢ / ١٣٧٩ هـ . ش .
- [٢١] السيد الخامني ، حديث الولاية ، ج ٨ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
- [٢٢] السيد الخامني في لقائه بحشد من العمال والمعلمين بمناسبة يوم

العامل ، وأسبوع المعلم ٣ / ١٢ / ١٣٧٣ هـ . ش .

[٢٣] السيد الخامني في مراسم تخريج مجموعة من طلبة جامعة

القوات الجوية . ١ / ٣ / ١٣٧٣ هـ . ش .

[٢٤] السيد الخامني في لقائه بمجشد من قادة « لواء ٢٧ محمد رسول

الله » التابع لحرس الثورة الإسلامية . ٢٠ / ٣ / ١٣٧٥ هـ .

ش .

[٢٥] السيد الخامني في لقائه ببعض مسؤولي النظام بمناسبة عيد

الفطر السعيد . ٥ / ٩ / ١٣٨٢ هـ . ش .

[٢٦] السيد الخامني في لقائه بمجشد من الشباب والأساتذة وامعلمين

وطلبة الجامعات في محافظة همدان . ١٧ / ٤ / ١٣٨٣ .

[٢٧] المصدر نفسه .

[٢٨] السيد الخامني في حديثه بمناسبة ذكرى تحريم « خرمشهر » ١ .

٣ / ١٣٨١ هـ . ش .

[٢٩] السيد الخامني في لقائه بقيادة من الدرجات المختلفة في حرس

الثورة الإسلامية . ٢٩ / ٦ / ١٣٧٣ هـ . ش .

[٣٠] السيد الخامني في لقائه بقيادة من الدرجات المختلفة في حرس

الثورة الإسلامية . ٢٩ / ٦ / ١٣٧٣ هـ . ش .

[٣١] السيد الخامني في لقائه بأساتذة وطلاب جامعة أمير كبير

الصناعية . ٩ / ١٢ / ١٣٧٩ هـ . ش .

[٣٢] السيد الخامني في لقائه بالهيئة العلمية والمختصين في الجهاد

الجامعي . ١ / ٤ / ١٣٧٣ هـ . ش .

[٣٣] السيد الخامني في لقائه بمجموعة من نخب مسابقات الأولمبياد

العالمي والدولي ، والطلبة المتميزين في امتحانات عامي ٨٠ ،

و ٨١ هـ . ش . ٣ / ٨ / ١٣٨١ هـ . ش .

[٣٤] السيد الخامني في لقائه بأساتذة وطلاب جامعة أمير كبير

الصناعية . ٩ / ١٢ / ١٣٧٩ هـ . ش .

[٣٥] السيد الخامني ، صحيفة كيهان . ٢٥ / ٦ / ١٣٧٦ هـ . ش .

[٣٦] السيد الخامني في لقائه بمجموعة من نخب مسابقات الأولمبياد

العالمي والدولي ، والطلبة المتميزين في امتحانات عامي ٨٠ ،

و ٨١ هـ . ش . ٣ / ٧ / ١٣٨١ هـ . ش .

[٣٧] السيد الخامني في لقائه بطلبة وأساتذة الجامعات في محافظة

قزوین . ٢٦ / ٩ / ١٣٨٢ هـ . ش .

[٣٨] السيد الخامني في لقائه بالنخب الشابة . ٢١ / ١١ / ١٣٨٢

هـ . ش .

[٣٩] السيد الخامني ، صحيفة « جمهوري إسلامي » . ٣ / ٥ /

١٣٧٤ هـ . ش .

[٤٠] السيد الخامني ، صحيفة كيهان . ١٦ / ٩ / ١٣٧٤ هـ . ش .

[٤١] المصدر نفسه .

[٤٢] السيد الخامني في لقائه بأساتذة وطلاب جامعة أمير كبير

الصناعية . ٩ / ١٢ / ١٣٧٩ هـ . ش .

[٤٣] السيد الخامني في لقائه بمجشد من شباب محافظة اصفهان . ١٢

/ ٨ / ١٣٨٠ هـ . ش .

[٤٤] السيد الخامني ، حديث الولاية ، ج ٨ ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

١٣ / ٩ / ١٣٧٠ هـ . ش .

[٤٥] السيد الخامني في لقائه بأساتذة وطلاب جامعة أمير كبير

الصناعية . ٩ / ١٢ / ١٣٧٩ هـ . ش .

[٤٦] السيد الخامني ، صحيفة « رسالت » . ٥ / ١٠ / ١٣٨٣ هـ .

ش .

[٤٧] السيد الخامني ، صحيفة كيهان . ١٦ / ٩ / ١٣٧٤ هـ . ش .

[٤٨] السيد الخامني ، حديث الولاية ، ج ٣ ، ص ٨٧ - ٨٨ . ٢٩ /

[٥٧] السيد الخامني في لقائه بالنخب الشابة . ٢١ / ١١ / ١٣٨٢ هـ .

هـ . ش .

[٥٨] الدكتور مصطفى معين : وزير العلوم والبحوث والتكنولوجيا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، لمدة عشر سنوات قضاها بين عهد رئاسة الشيخ هاشمي رفسنجاني ، والسيد محمد خاتمي لرئاسة الجمهورية (المترجم) .

[٥٩] السيد الخامني في لقائه بمجموعة من نخب مسابقات الأولمبياد العالمي والدولي ، والطلبة المتميزين في امتحانات عامي ٨٠ ، و ٨١ هـ . ش . ٣ / ٧ / ١٣٨١ هـ . ش .

[٦٠] المصدر نفسه .

[٦١] السيد الخامني في لقائه بأساتذة الجامعات . ٢٦ / ٩ / ١٣٨٣ هـ . ش .

[٦٢] الشيخ الخامني في لقائه بمجشد من المتفوقين والنخب من طلبة الجامعات . ٧ / ٩ / ١٣٨١ هـ . ش .

[٦٣] السيد الخامني ، المدرسة الفيضية ، خريف العام ١٣٧٤ هـ . ش .

[٦٤] السيد الخامني في ردوده على رسالة مجموعة من اطلبة الحوزة والجامعة . ١٨ / ١١ / ١٣٨١ هـ . ش .

٩ / ١٣٦٨ هـ .

[٤٩] السيد الخامني في لقائه بمجشد من الشباب والأساتذة والمعلمين وطلبة الجامعات في محافظة همدان . ١٧ / ٤ / ١٣٨٣ هـ . ش .

[٥٠] السيد الخامني في لقائه بمجشد من الشباب بمناسبة أسبوع الشاب .

[٥١] السيد الخامني في لقائه بالهيئة العلمية والمختصين في الجهاد الجامعي . ١ / ٤ / ١٣٧٣ هـ . ش .

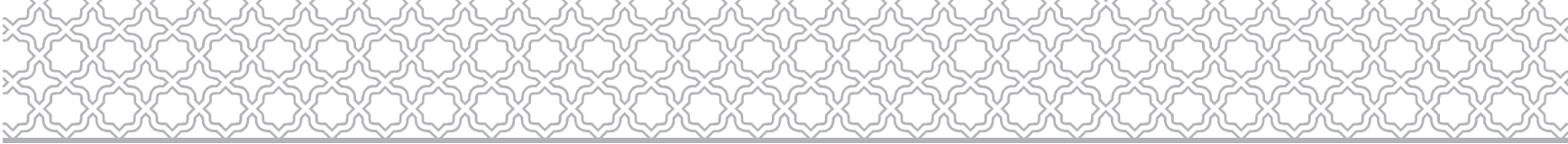
[٥٢] السيد الخامني بعد تفقده لمعرض طهران الدولي للكتاب ، الدورة الحادية عشر . ٥ / ٣ / ١٣٧٧ هـ . ش .

[٥٣] السيد الخامني في ردوده على رسالة مجموعة من طلبة الحوزة والجامعة . ١٨ / ١١ / ١٣٨١ هـ . ش .

[٥٤] المصدر نفسه .

[٥٥] السيد الخامني في لقائه بمجشد من أساتذة الجامعات من مختلفا مدن الإيرانية ، ٨ / ٨ / ١٣٨٢ هـ . ش .

[٥٦] السيد الخامني في مرسومه لإبلاغ السياسات العامة في البرنامج الرابع للتنمية ، الموجه للسيد الخاتمي ، رئيس الجمهورية ، ١١ / ٩ / ١٣٨٢ هـ . ش .

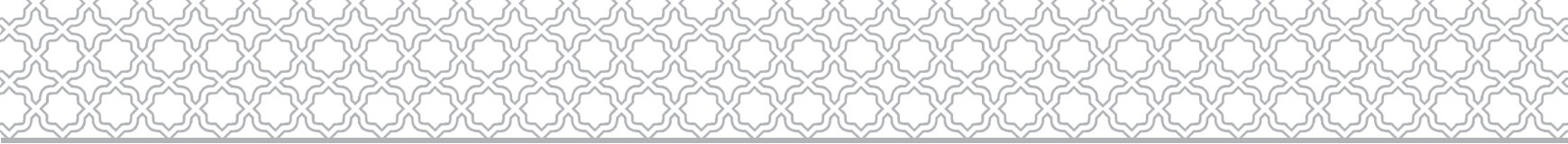


المُؤَنَزَةُ الْعِلْمِيَّةُ

وَمُؤَاجَهَةُ الْإِنْحِرَافِ وَالْفِرَاقِ الْفِكْرِيِّ

❖ د. محمد جواد كاظم السلامي (*)

.....
(*) أكاديمي وباحث من العراق.



مقدمة

في ظل التغيرات المختلفة التي تعيشها الأمة العربية الإسلامية التي أفرزتها الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والتطور التكنولوجي والانفجار المعرفي ، فإن أبناءنا الطلبة يتعرضون لنوع آخر من أنواع الانحراف الفكري الذي يفضي إلى التطرف والإرهاب الفكري والغلو في الدين وانتشار المفاهيم المغلوطة .

ولبروز هذه المظاهر من الانحرافات التي بدأت تنفش في مجتمعاتنا الإسلامية دعت الحاجة إلى تظافر الجهود والإمكانات لمواجهة هذا المد المنحرف ، والوقوف بوجهه ، وتثقيف أبناءنا الطلبة وتوعيتهم ليقفوا بوجه تلك الهجمة التي تسعى إلى إهلاك الحرث والنسل .

ومن هنا جاءت وظيفة التربية والتعليم للنهوض

بدورها الفاعل في تسخير الجهود والطاقات بغية تحقيق الهدف المنشود ، إذ أن للفكر التربوي دورًا عظيمًا في تقويم العقول وتوجيهها نحو الصواب ، ولا شك أن حماية عقول الشباب كانت وما زالت مرهونة بحماية التربويين لهم ، حتى يخرجوا جيلاً عظيمًا من بناء وحماة الأمة .

لذا فإن الشخصيات التربوية هي شخصيات ذات قدرة على استقراء واقعها ، ودراسة مشاكله الاجتماعية وتكويناتها ، وهم الأقدر من غيرهم في التعامل معها ، وهذه الشخصيات التربوية لا تتحدد في نمط أو شكل معين ، إذ قد تكون تلك الشخصية هو المدرس في المدرسة أو الجامعة ، وقد تكون تلك الشخصية هو رجل الدين في مؤسسته الحوزوية ، فكل منهما يؤدي دوره على وفق ما يتيسر له من آليات الثقيف والتوعية .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة في هذا البحث الموسوم (دور الحوزة العلمية والجامعة في إيجاد الفضاءات والوسائل العلمية لمليء الفراغ الفكري للطلبة) ، كي تلقي الضوء على الجهود المشتركة المبذولة من قبل الحوزات العلمية والجامعات في البحث عن سبل الارتقاء بفئة الشباب من طلبتنا ، ذلك أن الهدف واحد وإن اختلفت الكيفيات والماهيات ، والمسمى واحد وإن تعددت الأسماء .

لقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة ، عرض المبحث الأول الانحراف الفكري ، أسبابه ، مظاهره ونتائجه ، وفي المبحث الثاني

تناول دور الحوزات العلمية والجامعات في البناء الفكري للطلبة ، وكان في ثلاثة مطالب ، عرض المطلب الأول دور الحوزات العلمية والجامعات في التنمية الفكرية ، وتناول المطلب الثاني دور الحوزات العلمية والجامعات في بناء شخصية الطالب معرفياً ، وأما المطلب الثالث فتكفل ببيان دور الحوزة العلمية والجامعة في بناء شخصية الطالب وجدانياً .

أملين في نهاية المطاف أن نكون قد وفقنا في إتمام هذه البحث على الوجه المبتغى له ، وأن ننفع به .

المبحث الأول :

الانحراف الفكري ، أسبابه ، مظاهره ونتائجه

أسباب الانحراف الفكري

عن الدين ، والخروج عن الوسطية والاعتدال ، فعرفوه بأنه :

أ . الخروج عن الحد الشرعي الذي حدده الله تعالى في كتابه ، أو على لسان نبيه ﷺ ، وأجمع العلماء على تحريمه .^(٢)

قبل الدخول في بيان أسباب الانحراف الفكري ، لابد لنا من أن نعرض لمفهوم الانحراف الفكري لغة واصطلاحاً حتى يتضح ما نحن بصدد :

١ . الانحراف في اللغة :

ب . اختلال في فكر الانسان وعقله ، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه ، وتوجهاته للأمور ، إما إلى الإفراط أو إلى التفريط ، فيكون سبباً للوقوع في السبهات والأهواء ، وتجاوز الحدود في الأفعال إفساد القيم ، وانتشار الفتن وارتكاب الجرائم الإرهابية ، وفقدان الأمن والاستقرار .^(٣)

العدول عن الشيء ، أي الانحراف والميل عنه ، ولذلك يقال : عدل عن جهته .^(١)

٢ . الانحراف في الاصطلاح :

الانحراف الفكري مصطلح حديث نسبياً ، والمتتبع لما كتب حول هذا المفهوم نجدها قليلة وتدور ما بين الخروج

ومن هنا يتضح إن الانحراف الفكري يُعد من الأضرار المباشرة التي تؤثر على الفكر الإنساني بشكل عام ، وعلى ذهنية الطالب بشكل خاص ، لذا تدعو الحاجة إلى التخلص منه وإزالته ، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة الأسباب التي دعت إلى فراغ الفكر البشري من الأسس والمبادئ القويمة التي تحمية من الانزلاق في هاوية التشتت والانحراف في الفكر ، وأسباب الانحراف الفكري كثيرة ومتعددة ، وتشكل بألوان مختلفة ، غير أن أبرز تلك الأسباب تكمن في :

١. الابتعاد عن الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

فالبعد عن القرآن الكريم والسنة المطهرة له وصفان :

الأول : ترك الكتاب والسنة مطلقاً ، بعد تحكيمهما والنظر فيهما ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٤) .

والبعد عن كتاب الله عز وجل انحراف فكري يترتب عليه الانقياد السريع إلى كل ما من شأنه الزيغ والضلال والوقوع في الشبهات ، ومن ثم ينجر إلى حافة الهاوية ، والمعرض عن كتاب الدين مستول

عليه الحرص الذي لا يزال يطمع به إلى الازدياد من الدنيا ، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق ، فعيشه ضنك وحاله مظلمة .^(٥)

الثاني : البعد عن الكتاب والسنة بالبعد عن روح الشرع فيهما ، فالشرع جاء معللاً لأحكامه ، وهذه العلل نستفيد منها فيما يطرأ من قضايا فنعطيها الحكم المناسب لها ، وهنا يثبت صلاحية الشرع لكل زمان ومكان ، فلو لم نعثر تلك التعليقات والمقاصد لما ثبتت صلاحيته وهذا محال .

ومما يصرف الانسان عن الكتاب الكريم والسنة المطهرة أمور :

أ . اتباع الهوى .

ب . الصد عن سبيل الله .

ج . اتباع المتشابه .

د . التعصب والتحزب .

٢ . ازدياء العلماء .

فالمنحرف فكرياً يلجأ إلى وصف العلماء الموصوفين بالورع والتقوى والصلاح بصفات أبعد ما يكون عن الواقع ، فيؤلبوا الناس على التصديق بهم ، ويصوروا لعوام الناس

العلماء بأشبع الصور للحط من منزلتهم ومكانتهم بين الناس ، وما ذلك إلا جهل منهم وتعت وضلال .^(٦)

روى الطبرسي في المستدرک بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا» .^(٧)

وهذا الحديث واضح الدلالة ، إذ أن العلم موجود ، والذي يكشف عنه العلماء ، فإذا ذهبوا أو حُيدوا ، قبض العلم ، نتيجة قبض العلم هو تصدر الجهلاء بالفتوى فتقع الأمة في الانحراف الفكري ، وقد روى البخاري عن رسول الله ﷺ بسنده أنه قال : «يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج ، قيل : يا رسول الله وما الهرج ؟ فقال هكذا بيده ، فحرفها كأنه يريد القتل» .^(٨)

٣ . الجهل بوسطية الإسلام وبمبادئه .

إن مبادئ الإسلام ووسطيته هي التي تضبط الفكر الإنساني ، فمن جهل بها جهل الدين ، «وإن الغالبية ممن يقعون في الانحراف هم السباب لما يتوفر عندهم من اندفاعية وتعجل ، فلا يفكر في مآلات الأمور ،

وتفاصيل الأحكام التي يتبناها وتؤثر على سلوكه ، فيعيق الحكمة ولا يسمح للعقل أن يتمتع بالروح الي يتمتع بها الدين الإسلامي» .^(٩)

٤ . صعوبة تطبيق الأمور على نحو متوازن .

إن من مميزات الدين الإسلامي هو التوازن ، فلا يطغى في الشرع جانب على جانب ، بل فيه تنظيم لكل جانب من جوانب الحياة ، وهذا التوازن اعتدال بلا زيغ أو ميل أو حيف أو إفراط أو تفريط ، ومن مظاهر التوازن :

أ . التوازن بين حياة الأفراد وحياة المجتمع .

ب . التوازن بين متطلبات الروح وبين رغبات الجسد ، فالأمر بالصلاة والزكاة وتلاوة القرآن الكريم من متطلبات الروح ، والراحة والأكل والشرب من متطلبات الجسد .

ج . التوازن بين الواقعية والمثالية ، بحيث يكون لدى المرء توجهها نحو الالتزام بتعاليم الإسلام مع مراعاة متطلبات الواقع .

٥ . عدم العلم بشمولية الدين والنظرة البعيدة له .

فالجهل بسعة الدين الإسلامي وشموليته لأمر الحياة كلها يقود الشاب إلى تحميل الدين ما لا يحتمل أو ما لم

يحكم به ، قال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (انعام : ٣٨) ، يقول الطبرسي في تفسير الآية المباركة : « أي : ما تركنا ، وقيل : معناه ما قصرنا ، واختلف في معنى الكتاب على أقوال أحدها : إنه يريد بالكتاب القرآن ، لأنه ذكر جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين والدنيا ، إما مجملاً ، وإما مفصلاً ، والمجمل قد بينه على لسان نبيه ﷺ ، وأمرنا باتباعه في قوله : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ » .^(١٠)

٦ . إهمال الجانب التربوي .

دعا الشرع المقدس إلى فضائل الأخلاق الكريمة ، وأمر بها ، فأوجبها وجعلها أساساً في التعامل ، وطبيعة العلاقات بين المسلمين بعضهم مع بعض ، والمسلمين مع غيرهم ، مما أظهر أثر ذلك في واقع الحياة .^(١١)

٧ . غياب دور الأسرة .

لقد قرر الشرع المقدس وجوب العناية الأسرة بأبنائها في الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ... ﴾^(١٢) ، ففي الآية الكريمة دلالة على وجوب وقاية الأنفس والأهل من النار ، ومن المعلوم أن الوقاية تكون بالرعاية والتجيه والإرشاد والدلالة على الطرق المنجية من النار .

قال رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو المسؤول عن رعيته ، والرجل في أهله راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية ، وهي مسؤولة عن رعيته ، والخادم في مال سيده راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل في مال أبيه راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .^(١٣)

٨ . الخلل في منهج التلقي .

ويحدث ذلك حين يزرع التلميذ تحت وطأة النظام التعليمي الذي يسوق إلى الضلال والابتعاد عن الهدى ، وبث روح التطرف والطائفية ، فيوقونه في الانحراف والزيغ عن أسس ومبادئ الدين الحنيف .^(١٤)

٩ . الجهل بمبادئ الشريعة .

وهذه الظاهرة منتشرة بشكل كبير في أوساطنا الإسلامية لا سيما في عصرنا الحالي ، إذ نجد أن الطالب والطالبة يجهلون بأبسط مبادئ وأسس دينهم ومعتقدهم وأخلاقهم التي أقرها الدين الإسلامي ، وبذلك يصبحون لقمة سائغة وسهلة في الانقياد إلى الثقافات الدخيلة التي تعمل على تحريف أفكارهم عن الاعتدال والوسطية ، وتميله نحو كل ما من شأنه أن يغمسهم في الملذات

الجسدية ومتطلباتها وتبتعد - نتيجة لذلك - عن الجوانب الروحية السامية التي ترتقي بالإنسان إلى الدرجات العالية .

مظاهر الانحراف الفكري

يبرز الانحراف الفكري في مظاهر عدة ، منها :

١ . الغلو :

أ . الغلو في اللغة : هو مجاوزة الحد للشيء ، سواء كان في المعتقدات الدينية أم في غيرها .^(١٥)

ب . أما في الاصطلاح : هو التجاوز عن الحد ، والخروج عن القصد ، والإفراط في حق الأنبياء والأئمة وتآليههم أو رفعهم عن مقام العبودية لله تعالى أو تفويض أمر الخلق إليهم .^(١٦)

أما النهج الأوسط ، وهو حد الاعتدال ، فيمكن ان نتلمّسه في أطروحات بعض العلماء الذين اتخذوا من الموضوعية منهجاً ، وأيضاً نتلمّسه بشكل واضح وجلي في نصوص أهل البيت، كون هذه النصوص لم تأت من تداعيات الفعل البشري ، بل هي دستور إلهي منزّه عن كل مظاهر التطرف .

ومع أن الذي له اليد الطولى في البحث العقدي هو العقل في إثبات جملة من المسائل ، إلا أن صفة

١٠ . ضعف دور المؤسسات والأجهزة المعنية .

يعاني المجتمع الإسلامي في وقتنا الحالي من ضعف في دور المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية والدينية والإعلامية وغيرها في توجيه وإرشاد الطلبة الشباب ، إذ من الواجب عليها أن تسهم في حل مشكلات الشباب واستيعاب أفكارهم وإبداعاتهم والاستماع إلى معاناتهم والموازنة بين متطلباتهم ورغباتهم ، وتوظيف طاقاتهم وظيفاً سليماً بهدف إبعادهم عن الأفكار المنحرفة .

١١ . الظروف الاقتصادية .

هي عنصر أساسي في إجاء بعض الشاب إلى الانقياد والاستسلام لمغريات الحياة ، فيصبحون فريسة سهلة للاستغلال ، وبذلك يقع السباب في شباك الانحراف .

١٢ . انحراف التصورات العقديّة .

وهي من أخطر الأسباب التي تقود إلى الانحراف ، إذ أن الجهل بأسس العقائد ومبادئها يجعل من السهل على الشباب التخلي عن معتقداتهم والانخراط في العقائد

النسبية في الفهم وتفاوت مستويات الإدراك يجعلان من الصعب التجرد عن التطرف ، ولئن خلت بعض الأطروحات العقائدية من هذه الظاهرة فلكونها اهتدت بالنصوص الدينية لتثير الدرب خشية الانحراف عن الطرح المعتدل ، أو الزيف عن الطريق القويم .^(١٧)

ولأن هذه الظاهرة لا تتفق مع أسس ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، لذا فقد ذمّت النصوص الدينية هذه الظاهرة وبيّنت أن جميع مظاهرها توجب الكفر والخروج عن الدين .

ويمكن أن نعزو هذه الظاهرة إلى أسباب عدة ، منها :

أ- اختلاف الأفق المعرفي في فهم تعاليم الاسلام ، وقصور عقول كثيرٍ عن معرفتها ، وفهم تفصيلاتها وشؤونها .

ب- وجود عوامل نفسية بسبب وجود خلل في التركيبة النفسية للشخص ، وهذا يظهر دائماً في النفس غير السوية .

ج- وجود جملة من الاعتبارات والظروف السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية التي تؤثر في

إطلاق الأحكام ، وتولد إفرازات سلبية على الشخص .

د- بروز ردود أفعال معاكسة تجاه الواقع المعاش غير المقبول من قبل الانسان^(١٨)

٢ . التقصير .

أ . **التقصير لغة :** هو عدم بلوغ الشيء مداه ونهايته .^(١٩)

ب . **وفي الاصطلاح :** هو : « الترخّص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال ، والغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي ، فالأول : تفريط والثاني إفراط ، وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريط وإضاعة ، وإما إلى إفراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه ، كالوادي بين جبليين ، والهedy بين ضاللتين ، والوسط بين طرفين ذميمين ، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له ، فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد » .^(٢٠)

فالتقصير هو ما يلزم منه التخلف عن النهج الأوسط - وهو حد الاعتدال - وعدم الإيفاء بالحق الذي افترضه الله جلّ شأنه ، وما جاء به الدين الإسلامي الحنيف .

وواقعنا الاسلامي مليء بهذه الظاهرة ، بل لا نكاد

نجازف إذا قلنا ان ظاهرة التقصير هي الظاهر الأبرز في التطرف عند المسلمين .

ويمكن أن نعزو ظاهرة التقصير إلى أسباب عديدة ، منها :

أ- إن جملة من النصوص الدينية حملت في طياتها مضامين باشرت (أنا) الإنسان لتهدم طوقها الضيق إلى فضاء أرحب وأوسع ، إلا أن ضيق الأفق يقود دائماً إلى التخلف عن الانفتاح على الأفق المعرفي الأوسع لتلك النصوص الدينية فيقصر عن إعطائها حقها .

ب- الجهل العلمي والمعرفي بأفاق النصوص الدينية الرحبة .

ج- العوامل النفسية وما يتبعها من تداعيات .

د- الدواعي العمدية للتقصير بسبب التعتت والتمسك برؤى وأفكار بعيدة عن الحق أو الصواب .

هـ- أسباب سياسية تتبناها هذه الفئة أو تلك .^(٢١)

٣ . التكفير .

التكفير ليس أمراً سهلاً أو قضية يمكن مراجعتها والنظر فيها وتصحيحها لما يترتب عليها من أحكام ، كاستباحة الدم والأموال أو دفع الجزية أو الحرب وغيرها ،

لذا نجد التشديد من قبل الشرع عند هذا الحكم ، بل والنهي عن ذلك ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين امنوا إذا ضربتم في سبيل الله ... ﴾ (النساء : ٩٤) .

٤ . التعصب للرأي .

فالتعصب يقود إلى إقصاء الآخرين واتهامهم بالخروج عن الدين ، ومن ثم تفكير بعض المسلمين ، واستباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم ، وهذه المظاهر بدأت تنفشي في عصرنا الحالي بشكل كبير .^(٢٢)

٥ . التجرؤ على أحكام وأنظمة الدولة والدعوة إلى الانقلابات والاعتياالات السياسية .

وهذه الظاهرة بدأت تأخذ أشكالاً عدة ، وأنساقاً مختلفة ، كالخروج على الحاكم ، والتشدد في تطبيق قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دون ضوابط عادلة ومقننة ومتوازنة ، وذلك العمل على إحياء الصراعات والنزاعات والخلافات القديمة ومحاولة تأجيج ونشر الفتنة والمشاكل بين المجتمع .

٦ . إساءة الظن بالآخرين .

وهذه الظاهرة بدأت تظهر في أوساط الطلبة بشكل

بارز ، إذ يعمدون - بسبب دوافع نفسية أو تحريضية أو مدروسة مسبقاً - إلى كثرة الانتقاد والتجريح وإلصاق التهم بزعماء وعلماء وقادة صالحين سعيّاً منهم لتسقيطهم ، وتشويه صورهم أما المجتمع بغية العدول عنهم ، حتى يبقى الطريق معبداً إلى أجندة خارجية ذي ثقافة خارجية لا تمت بالإسلام ومبادئه بأي صلة .

٧ . حب الزعامة ومحاولة فرض الذات على الآخرين .

وذلك عن طريق الهيمنة على عقول الشباب والسعي لكسب الجاه والشهرة والسمعة ، وتقديم أنفسهم أو رموزهم كقادة وأمرأ ومنقذين للمجتمع .^(٢٣)

٨ . الاندفاعية والتهور لتحقيق الأهداف الانية .

ويحدث ذلك من دون دراسة ووعي أو إمعان نظر ومن دون حساب دقيق للأبعاد والنتائج التي سوف تترتب على ذلك ، فضلاً عن غياب المعايير الدقيقة التي في ضوئها تتميز المصالح من المفاسد .

نتائج الانحراف الفكري

يولد الانحراف الفكري نتائج سلبية كثيرة ، منها :

١ . إن تأثير الانحراف الفكري لا يقتصر على الفرد أو الجماعة التي وقع عليها ، بل يتعداها إلى المجتمع ككل ، فتأثير الكلمة والفكر يصيب المجتمع عانة من دون تحديد .^(٢٤)

٢ . إن منافذ الغزو الفكري واسعة ومنتشرة وسهلة الاستخدام ، لذلك فإن تأمين الفكر الإنساني يحتاج لحراسة من الزبغ والضلال والانحراف .^(٢٥)

٣ . إن الاخلال بالاستقرار الفكري السليم يؤدي إلى الاخلال بالمعتقدات والقناعات والقيم السامية ، ويساعد على تزايد الصراعات والانقسامات ، وتفكك المجتمعات وانهيار المبادئ النبيلة والمثل العليا .^(٢٦)

٤ . إن الانحراف الفكري وخاصة في مراحلها المتأخرة يحتاج إلى جهود مضاعفة ومضنية لإعادة تأهيل المنحرفين والعودة بهم إلى جادة الصواب .^(٢٧)

٥ . إن وجود الانحراف الفكري يعزز غياب الرقابة الذاتية لدى أبناء المجتمع ، ويفرق أفكارهم وقناعاتهم .^(٢٨)

٦ . إن تفشي ظاهرة الانحراف الفكري يقود إلى زلزلة الثوابت بما في ذلك دين الأمة وعقيدتها وحريتها .^(٢٩)

٧ . إن إهمال الاهتمام بتوعية الفكر الطلابي يؤدي

إلى تحجيم دور العقل من ثم خموله ، وعندها يصبح غير قادر على الفصل بين الحكمة والفكر الضال .^(٣٠)

٨ . إن انتشار الانحراف الفكري يؤدي إلى انقسام الأمة وانشطارها على مستوى الفكر والمنهج والغاية ، ويزيد الهوة والتناحر بين أفراد المجتمع المختلفين في توجهاتهم وأفكارهم ، ومن ثم الشعور بالضعف الذي يؤدي إلى عدم تحقيق مصالح البلاد .^(٣١)

٩ . إن غياب الفكر المعتدل يقتل كل ابداع وابتكار وتقدم في مختلف جوانب الحياة ؛ لأن شيوع الانحراف الفكري يعمل على انتشار الجرائم على مختلف الأصعدة .^(٣٢)

ومن هنا كانت الحالة الوسطية والاعتدال وقبول الرأي الآخر والحوار بين السباب والطلبة هو ما ينسجم مع تنوع معقدات وقيم المجتمع من دون إفراط أو تفريط .

المبحث الثاني

دور الحوزات العلمية والجامعات في البناء الفكري للطلبة

يقول السيد سعيد الحكيم (دام ظله) بهذا الصدد :
«إلا أن لكلمة المعلم والمدرس والأستاذ من التأثير في نفس الطالب والتلميذ ما لا يوجد لكلمة غيره . ولا سيما مع انشغال غالب الآباء والأولياء وإهمالهم لذلك ، واكتفائهم في تثقيف أبنائهم بالمدرسة ، حيث يضاعف ذلك مسؤولية المعلم والمدرس بهذا الأمر الهام في كيان الجيل الناشئ ، خصوصا بعد أن كان ذلك في ضمن مسؤوليات المعلمين والمدرسين بحكم وظيفتهم .

ويتعين من أجل ذلك الاهتمام بتثقيف الجيل الصاعد في المدرسة بالعقائد الحقة والمفاهيم الدينية الصحيحة ، وتربيته تربية مثالية صالحة ، قبل أن ينفلت من أيدينا ، ونفقد الارتباط به» .^(٣٣)

فالجامعة تعد المؤسسة ذات الأهمية العظيمة ، لأنها

دور الحوزات العلمية والجامعات في التنمية الفكرية

تلعب الحوزات العلمية والجامعات دوراً بارزاً في تنمية أفكار الطلبة ، ذلك أنها من أرفع المؤسسات التعليمية التي ينام بها توفير ما يحتاجه الطالب من تنمية فكرية ، إذ أنها تمثل المراكز الأساسية للبحوث والدراسات العلمية والتطبيقية والتي بدونها يصعب إحداث أي تقدم معرفي أو اقتصادي أو اجتماعي حقيقيا ، فضلاً عن أنها تساهم في التنمية الشاملة بما تقدمه للطلاب والمجتمع من خبرات وإمكانات للتعليم والتعلم .

ومن هنا فإن هذه الصلة الوثيقة تفرض على الجامعات أن تحدث دائماً في بنيتها ووظائفها وبرامجها وبحوثها تغييرات تتناسب مع المتغيرات التي تحدث في المجتمع .

تعطي دوراً مهماً في تشكيل سلوك النشء بما تملكه من نظم وأساليب تربوية ، وما تضم من كفاءات متخصصة ومدرّبة ، وهي المدخل الحقيقي والموضوعي المعني بتكوين المفاهيم الصحيحة وتعزيزها في أذهان الشباب بصورة مخططة .^(٣٤)

فضلاً عن ذلك تزود الطالب بالمعارف والمهارات ، فإن إسهامها الأكثر أهمية هو في الدور التربوي ، إذ أنها المسؤولة عن بناء الاتجاهات وضبطها بما يقوي البناء الاجتماعي ويعزز وحدته وترابط أجزائه من خلال برامج مقصودة ومدروسة ، وذلك أن المعنيين بالقيام بالعملية التربوية والتعليمية تم إعدادهم وتهيئتهم للقيام بهذه المهمة .

ولما كانت الجامعة من بين المؤسسات التربوية والتعليمية المنوط بها إعداد الطلبة وصياغة شخصيتهم ، برزت الحاجة الماسة إلى دراسة المشكلات والتحديات الفكرية التي تواجه هؤلاء الناشئة حتى يحسن إعدادها بما يكفل قيامها بدورها الرائد في التنمية والأمن الوطني ، والتسلح بالمهارات اللازمة لإقحام سوق العمل ومتطلباته .

ولم يغب هذا التوجه عن علمائنا الأفاضل ، إذ نجدهم في أطروحاتهم وآرائهم يشاطرون المؤسسات الجامعية في

ضرورة تعميق ولاء الطالب لله عز وجل والالتزام بتعاليم السنة المطهرة الذي يحصن الطالب من الانحراف والوقوع في الزيف والضلال ، يقول السيد السيستاني (دام ظله) : «يجب على أبنائنا الأعزاء لزوم الاعتقاد الحق بالله سبحانه والدار الآخرة ، فلا يفرطن أحدكم بهذا الاعتقاد بحال بعد أن دلت عليه الأدلة الواضحة وقضى به المنهج القويم . . . فاذا وجد المرء من نفسه في برهة من عنفوان شبابه ضعفاً في دين مثل تثاقل عن فريضة أو رغبة في ملذة فلا يقطع ارتباطه بالله سبحانه وتعالى» .^(٣٥)

إن الإدارة الجامعية في العصر الحديث اتجهت إلى تحقيق التنمية الجسدية والعاطفية والروحية والاجتماعية لسلوك الطلاب ، كما أن الأمن والحفاظ عليه لم يعد مسؤولية الجهات الأمنية الرسمية فقط ، بل أصبح وظيفة تشاركية وتكاملية بين النظم المجتمعية الرسمية وغير الرسمية كافة ، وواجب من الواجبات وضرورة من الضرورات للمحافظة على مجتمع يتمتع بأمن وارف وطمأنينة دائمة .^(٣٦)

ولهذا فإن الجامعة تقع على عاتقها مسؤولية كبرى في حماية الطلاب من تأثير الغزو الفكري ، والتأثير الثقافي ، من خلال إكسابهم المعايير والقيم والمثل الخلقية ، والقُدوة الحسنة ، من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الجامعة

من خلال إرشادات الأساتذة ، ومراقبة سلوك الطلاب وتصرفاتهم ، وملاحظة ما يطرأ عليهم من تغيرات جسمية أو عقلية أو نفسية ، وإيجاد العلاج المناسب لكل حالة ، يمكن أن يعدل أي خلل في السلوك مما يؤمن مجتمعاً آمناً متماسكاً .^(٣٧)

وبتظافر هذه المقومات يبرز الدور الفعال لهذه المؤسسات التعليمية ، وينقسم هذا الدور إلى مراحل عدة ، تبدأ بالتنوعية والوقاية وتنتهي بالتقويم والمعالجة ، فإذا قامت هذه المؤسسات بواجبها الديني وواجبها الوطني تجاه توجيه الشباب التوجيه السليم ، وجذبهم إلى دائرة الخير والصالح ومحبة مجتمعهم ووطنهم وأمتهم وعلمائهم ، إن فعلت ذلك فقد أضافت للمجتمع عنصراً مهماً وفعالاً ، وإن لم تفعل ذلك خرج على الأمة أقوام يخلون بأمنها ، فيقتلون ويسرقون ويكفرون ويفجرون ، لخلو عقولهم من العلم الشرعي الصحيح .^(٣٨)

وهناك عدد من الأهداف التي على المؤسسة التعليمية العمل على وفقها ، والسعي في تحقيقها للطلبة الشباب في الجامعات ، ومن أهمها :

١ . قيام المؤسسات الجامعية بمواصلة التنشئة الاجتماعية ، من أجل تكوين شخصية الطالب وضمأن إمامه بما حوله .

٢ . تعريف الطالب بوظائفه الاجتماعية ، وضمأن إمامه بها ، فالتعليم وظيفة إنسانية اجتماعية قبل أن تكون معلوماتية .

٣ . توسيع دائرة نطاق التعامل والعلاقات الإنسانية ، والتفاعل مع الفئات المجتمعية المختلفة ، من خلال الجامعة وطلابها وأساتذتها والعاملين فيها .^(٣٩)

٤ . ربط الطلاب بالثقافة السائدة في المجتمع ، وتعريفهم بتراث أمتهم مع بث روح التجديد والابداع والتألق ، تجاوباً مع المستجدات والمتغيرات الحضارية فيما لا يخالف الأسس والثوابت الإسلامية .

٥ . تكامل الجهود التربوية بين البيت والجامعة المجتمع ، من أجل تكوين جيل نافع ، يعرف حقوقه فيقف عليها ، ويعرف واجباته فيؤديها على الوجه المطلوب .

٦ . الاهتمام بدراسة السلوك الاجتماعي وأنماط الحياة وتقديمها للطلبة الشباب بصورة مبسطة ، لأغراض التربية المدنية ؛ ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع وبما يضمن معه عدم وقوعهم في دائرة الزلل والانحراف .

٧ . تدريب وتعويد الطلبة على الانضباط وحسن التصرف والقدرة على تفهم الظروف المحيطة والتعامل المتزن في إطارها .

٢ . إقامة المعارض التربوية التي تؤكد على أهمية الأمن الفكري .

٣ . استضافة بعض القيادات الأمنية لمناقشة الطلبة حول الأمن ودورهم في تعزيزه .

٤ . التنسيق مع الجهات المختصة لمعالجة حالات الانحراف الفكري المستعصية .

الثالث : العمل على معالجة المشاكل والعوامل التي تسهم في الانحراف الفكري للطلاب ، ويتحقق ذلك عن طريق :

١ . العمل على تعظيم الدور التربوي للمؤسسات التعليمية .

٢ . التفكك الأسري وسوء التربية الأسرية .

٣ . ارتفاع نسب الجهل والأمية للأبوين .

٤ . التأكيد على تركيز المناهج على وسائل تعزيز المن الفكري .

٥ . العمل على معالجة الضغوط النفسية والاجتماعية التي يعيشها الطلاب .

٦ . التأكيد على توفر أماكن مناسبة وكافية لقضاء وقت

٨ . ربط الأنشطة التربوية والتعليمية بالجهود المجتمعية ، من أجل إيجاد نشء متوازن وسوي محاط بسياج من القيم الدينية والأخلاقية مما يؤدي إلى انساقه مع المحيط الذي يعيش فيه ويجعله عنصراً مشاركاً وعضواً فاعلاً^(٤٠) .

ولعل سبل تحقيق تلك الأهداف يمكن إجمالها في محاور ثلاثة :

الأول : تنمية وتطوير الموارد البشرية ، ويتضمن ذلك :

١ . إدراج مادة تسمى الأمن الفكري في الجامعات كافة .

٢ . العمل على تخطيط برامج التوجيه والإرشاد للطلاب وتطويرها ، وإسناد عملية الإرشاد إلى المرشدين المتخصصين .

الثاني : دور الجامعة في تعزيز الأمن الفكري بين الطلاب ، ويتحقق ذلك :

١ . عن طريق إجراء زيارات دورية لعلماء الدين للتواصل معهم .

الفراغ والترفيه .

طبقات المجتمع .^(٤١)

٧ . دعم مساعي الدولة لحل مشكلات البطالة .

٨ . التأكيد على تفعيل أدوار مؤسسات المجتمع المحلي في تعزيز الأمن الفكري .

٩ . العمل على نشر الثقافة الإسلامية ، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى بعض الشباب .

١٠ . تفعيل المنهج التكميلي لتعزيز الأمن الفكري بين مختلف الأجهزة والمنظمات ، وخاصة المؤسسات التربوية والشبابية .

١١ . الاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في مجال مواجهة المشاكل والانحرافات الفكرية ، وتعزيز الأمن الفكري للمجتمع .

١٢ . تعزيز روافد ومقومات الأمن الفكري والتربوي المرتبطة بالجوانب الفكرية ، وصياغة وتشكيل شخصية الطالب .

١٣ . تنوع وسائل الإعلام المختلفة (المقروءة ، المسموعة والمرئية) ضرورة اجتماعية وتربوية ونفسية ، إذ لها دور هام وفعال في نشر الوعي بين طبقات المجتمع على مستويات ثقافتهم وإدراكهم كافة ، تساهم في حل قضايا المجتمع بتقديم النصح والإرشادات التوجيهات لكل

دور الحوزات العلمية والجامعات في بناء

شخصية الطالب معرفياً

تعد المعرفة الركيزة الأساسية التي تبنى عليها كافة السلوكيات التي يقوم بها الناس في حياتهم ، إذ إن اتجاهاتهم ، وميولهم ، وعواطفهم ، ومشاعرهم لا يمكن أن تصدر من فراغ ، ومن ثم لا بد من توافر قدر معرفي متعدد لدى الفرد يتكئ عليه في اعتقاداته وسلوكياته الناتجة عن ذلك ، ومؤسسات التربية الرسمية والحوزة جنباً إلى جنب هما المعول عليهما في تقديم المعارف المناسبة لأفراد المجتمع ، وفق ظروفهم وأحوالهم المختلفة من جهة ، والتطورات والتجديدات العالمية الحادثة من جهة أخرى .^(٤٢)

فالأصل في الدراسة الجامعية أن يتحصل الطالب من خلال برامج الجامعة وأنشطتها عبر سنوات الدراسة على قدر من المعارف يساعده في الاعتماد على نفسه لاحقاً للتوصل إلى معارف أكثر تقدماً ، وهذا الامر لا يختلف الحال فيه في الحوزات العلمية ، إذ أنها تركز على حصول طالب العلم - سواء كان أكاديمياً أم حوزوياً ، وسواء كان طالباً أم أستاذاً - على قدر أكبر من العلوم والمعارف بكل ما

يمت من صلة للعلوم الشرعية والأخلاقية والعقدية ، وتحرص على السعي وإجهاد النفس في تحصيل تلك العلوم والمعارف ، والكدح لأجلها ، فإن فيها سعادة الدارين .

يقول السيد السيستاني (دام ظله) بهذا الصدد : «وليهم طلاب العلم الجامعي والأساتذة فيه بالإحاطة بما يتعلق بمجال تخصصهم مما انبثق في سائر المراكز العلمية ، حتى يكون علمهم لما يعاصرونه في المستوى المعاصر لمجالهم ، بل عليهم أن يهتموا بتطوير العلوم من خلال المقالات العلمية النافعة ولينافسوا المراكز العلمية الأخرى» .^(٤٣)

وتجدر الإشارة إلى أن الفلسفة التربوية التي يُفترض أن تتبناها الجامعة في ضوء عقيدة المجتمع وقيمه وتقاليده ، والتي ينبغي أن تضع الخطط التدريسية التفصيلية الكفيلة بتنفيذ هذه الفلسفة العامة بصورة قابلة للتطبيق ، تحقق الهدف الذي وضعت من أجله ، وبما يتلاءم مع إمكانيات الطالب المعرفية والعقلية ، ويتناسب مع المرحلة العمرية التي هو فيها .

وينبغي عليها أن تأخذ بنظر الاعتبار تزويد الطالب بأحدث المعلومات العلمية والتكنولوجية التي توصل إليها العلم في شتى بقاع العالم ، والاهتمام بإنجازات العلم

وبصورة مبسطة وميسرة له ، كي يستطيع استيعابها والإفادة منها لخدمة مجتمعه ، من خلال استخدام مختلف الطرائق التدريسية المشوقة والممتعة ، والتي تجذب انتباه الطالب أثناء المحاضرة وتزيد من دافعيته للتعلم ، والاهتمام بالدراسة والاستزادة من هذه المعلومات .^(٤٤)

ومن العناصر الأساسية لتحقيق هذا الغرض ؛ الأستاذ الجامعي الذي ينبغي أن يكون له الدور الكبير والمميز في تكوين شخصية الطالب المعرفية ، وتنمية مواهبه العلمية والثقافية بدرجة كبيرة ومؤثرة ، لأن الطالب يتأثر كثيراً بشخصية أستاذه الذي ينهل منه المعلومات العلمية ، وبذلك قد يجعله قدوة حسنة يقتدي بها ويهتم بما يقوله له ويزوده به من معلومات أثناء المحاضرة ، فالطالب ينظر إلى الأستاذ الجامعي كأحد مصادر المعلومات التي ينبغي الاستفادة منها ، واستثمارها بأفضل صورة بما يسهم في بناء شخصيته في الجانب المعرفي .

يقول السيد الحكيم (دام ظله) في هذا الصدد : «على الأساتذة وفقهم الله تعالى اليوم - بعد أن تحرروا من ذلك النظام البائد ، وانقشع عنهم ذلك الكابوس الخانق - أن يجدوا في إعادة مجدهم العلمي والثقافي ، ويجددوا ما اندرس منه ، فإن القوم أبناء القوم ، وهم نظراء أسلافهم

في عقولهم وقابلياتهم .

ولذا نرى أن كثيراً من العراقيين في العصر الحديث الذي طلبوا العلم والمعرفة بفروعها المختلفة في الخارج حيث الحرية والاستقلال والجد والاجتهاد قد بلغ الدرجات العليا في المعرفة ، وكان في الطراز الأول من العلماء . . . كما قد بلغ مراتب في العلم والمعرفة لا يستهان بها ، نتيجة ارتفاع مستوى التعليم فيه ، وقوة القابليات الفكرية والعقلية في أبنائه ، حتى كانت الشهادة العراقية تقبل ويعترف بها في جامعات العالم المرموقة ، وكفى بذلك محفزاً على ما نريده من الحديث حول المشاكل ومعالجتها» .^(٤٥)

لذا فإن دور الأستاذ الجامعي في تحقيق ذلك يأتي من خلال استقامته واستخدامه طرائق تدريسية كفؤة وفاعلة ومشوقة ، والإفادة من التقنيات التربوية الحديثة وأحدث الابتكارات العلمية التي تساعد في إيصال المادة العلمية إلى ذهن الطالب بأفضل صورة وأسرعها ، ومساعدته في الاحتفاظ بها لأطول مدة ممكنة ، وإمكانية الإفادة منها في حل المشكلات المستقبلية التي تواجهه ، فضلاً عن مساعدته في الكشف عن معارف لاحقة يقوم بها بنفسه .^(٤٦)

وقد ذكر أحد الباحثين : «أن طلبة الجامعة يمثلون

رأس المال الوطني ، وهم عدة الاستثمار في المستقبل سواء لأسرهم أو لمجتمعهم بشكل عام ، وأنهم يتأثرون بالعوامل السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية التي تحيط بهم ، وأنه يلزم التركيز على صحتهم النفسية ، والعناية بشخصياتهم للحاضر والمستقبل ، مع توفير مناخ جيد ومناسب لهم» .^(٤٧)

وفي السياق ذاته نجد أن الحوزة العلمية تسير جنباً إلى جنب مع المؤسسة الأكاديمية في رؤاها وتطلعاتها لبناء جيل من الشباب متزن وجدانياً تتحقق فيه المقومات الكافية كي يكون إنسان فاعلاً ومؤثراً تأثيراً إيجابياً في بناء نفسه والمجتمع ، يقول الشيخ بشير النجفي (دام ظله) في هذا الصدد ما نصه : «يجب على المهتمين بتربية طلابنا الأعزاء مراقبة سلوك الطالب وحثه على الالتزام بتقوى الله والخشية منه في السر والعلانية ، ويجب أن يرافق الارتقاء الروحي التقدم العلمي ، وأن يواكب السمو النفسي الارتفاع في مدارج العلوم التي يتغذى بها في مناهل العلم والمعرفة حتى يتجسد الدين في حركاته وسكناته ، فيكون مثلاً يحتذى به الناس» .^(٤٨)

ومن هنا يتضح أن الحوزة والجامعة التي تنطلق فلسفتيها وسياستهما التربوية من عقيدة المجتمع الذي تقوم به ، يترتب عليهما أن ينطلقا من فعاليتها هذه

تتفشى في الجامعات عند الطلبة ، مثل موجة الإلحاد ، والتسقيط المذهبي ، والجهل المعرفي بأصول العقائد ، والانحرافات في الفكر - بالتعاون مع المؤسسات الجامعية إلى الانخراط في الأجواء الأكاديمية بغية الإسهام في دعم الجهود الجامعية في القضاء على تلك الظواهر عن طريق التوعية والإرشاد والتثقيف ضد الأفكار المنحرفة ، والعقائد والثقافات المستوردة التي تحاول النيل من أفكار أبنائنا الطلبة .

يقول السيد سعيد الحكيم (دام ظله) في هذا الشأن : «إن المدرسة أو الجامعة كما هي مسؤولة بتعليم جيل الناشئة في فروع المعرفة الحياتية المختلفة ، وتثقيفها ثقافة علمية أصيلة رصينة ، كذلك هي مسؤولة بأمرين آخرين لهما أهميتهما الكبرى في واقع الإنسان :

١ . تثقيف الناشئة دينياً ، فإن الدين الحق مقدم على كل شيء ، وبه نجاة الإنسان من الهلكة الدائمة ، وهو الرقيب الداخلي الذي يدفعه للطريق المستقيم في هذه الحياة المملوءة بالمخاطر ، والمزروعة بالأشواك ، والتي تتقاذفها الأهواء والدعوات المختلفة ، خصوصاً بعد أن عاث الفساد في الأرض وانتشر فيها .

٢ . تربية الناشئة على الأخلاق الفاضلة وتركيز المثل الإنسانية ونوازع الخير فيها ، لأن قوام الأمة بأخلاقها

العقيدة ، وأن لا يكون ضمن أنشطتهما ما يخالف ذلك ، مع الأخذ بالاعتبار استلزام روح العصر وإفرازات التطور العلمي والتكنولوجي في العالم بصورة واعية وصحيحة ، من خلال إعدادها لخطة منظمة ودقيقة لتنمية اتجاهات الطالب نحو مختلف القضايا ، لتجعله صاحب رأي صريح وجريء ، وموقف محدد وإيجابي وقادراً على إبداء الرأي في الوقت المناسب ، وأن يحترم مبادئ دينه ، وما جاء به من الأخلاق الفاضلة ، ولا يغفل تقاليد وعادات مجتمعه النافعة ، وأن يكون حريصاً على وطنه والمساهمة في بنائه وتطويره .^(٤٩)

لذا لم تكن الحوزة العلمية بمنأى عن الحث على تطوير المهارات وإتقانها على الصعيد العملي والنظري من قبل الطلبة ، كل حسب اختصاصه وميله لهذا العلم أو ذاك ، يقول السيد السيستاني (دام ظله) بهذا الصدد : «أوصي الشباب الأعزاء بالسعي في إتقان مهنة وكسب تخصص ، وإجتهاد النفس فيه ، والكدح لأجله ، فإن فيه بركات كثيرة . . . وليهتم كل واحد بمهنته وتخصصه حتى يتقنها ، فلا يقولن بغير علم ولا يعملن على غير خبرة . . . وليعمل عمله ووظيفته بنفَس واهتمام وتذوق وإقبال» .^(٥٠)

وقد سعت الحوزة العلمية- نتيجة للظواهر التي بدأت

ومثلها» .^(٥١)

الفائزون» .^(٥٣)

دور الحوزة العلمية والجامعة في بناء شخصية الطالب وجدانيا

يعد الجانب الوجداني - أو ما يسمى بالجانب النفسي العاطفي والانفعالي - من الجوانب الأساسية في شخصية الطالب ، التي ينبغي الاهتمام بها وتنميتها في الاتجاه الصحيح ، بغرض تعديل سلوكه وتطويره بما يتماشى مع العقيدة الصحيحة ، والعادات والتقاليد الاجتماعية الصالحة في المجتمع .

ويتمثل الجانب الوجداني بأفكار الطالب وآرائه واتجاهاته وميوله ومعتقداته ، ونظرته إلى مختلف القضايا التي يتعايش معها بصورة مستمرة ، أو التي تصادفه بين فترة وأخرى ، والتي تتطلب منه إعطاء رأي فيها أو تكوين اتجاه نحوها ، وهذا الجانب مهم جداً في شخصية الطالب ، لأنه هو الذي يستطيع الفرد من خلاله أن يكون فرداً صالحاً وإنساناً ملتزماً وفاضلاً ، أو خلاف ذلك ، ويقع جزء مهم في بناء هذا الجانب وتوجيهه الاتجاه الإيجابي على عاتق مؤسسات التربية عامة ، والجامعة خاصة بمختلف فعاليتها بما في ذلك الأستاذ الجامعي» .^(٥٤)

وقد ذكر أحد الباحثين : «أن طلبة الجامعة يمثلون رأس المال الوطني ، وهم عدة الاستثمار في المستقبل سواء

فضلاً عن إسهام البرامج التعليمية التربوية التي تعدها الحوزة العلمية والجامعات في تزويد الطالب بما يحتاجه لغرض السيطرة على حالته الانفعالية ، وعدم تسرعه بإصدار الأحكام على الأمور والأشياء التي تصادفه ، وعدم اتخاذ القرارات بشأنها بصورة مستعجلة وأنية ، دون دراسة وافية وتفحص دقيق لحيثيات الموقف ومسبباته ونتائجه المحتملة ومدى تأثيراتها ، وبذلك سوف يصبح الطالب متزنًا انفعالياً ولديه اتجاهات إيجابية نحو مختلف القضايا ، وملتزماً بمبادئ دينه ، ومجتمعه ومستعداً لخدمة بلده والارتقاء به .

لذا فإن الحوزة والجامعة يسعيان بصورة فاعلة من خلال الإطار المرجعي في الإسلام (الكتاب والسنة المطهرة) إلى تنمية روح الالتزام لدى الطالب بتعاليم دينه وعقيدته الإسلامية ، والعمل بأوامر الله سبحانه وتعالى وطاعته ، والابتعاد عن المعاصي والذنوب ، والاهتمام بسنة الرسول القدوة ﷺ والسير عليها ، لأنه إذا صلح إيمان الطالب والتزامه بدينه ، وخوفه من خالقه صلحت الجوانب الأخرى في شخصيته ، وكان إنساناً متكاملًا ومتزنًا ومسؤولًا بدرجة كبيرة^(٥٢) ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

لأسرهم أو لمجتمعهم بشكل عام ، وأنهم يتأثرون بالعوامل السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية التي تحيط بهم ، وأنه يلزم التركيز على صحتهم النفسية ، والعناية بشخصياتهم للحاضر والمستقبل ، مع توفير مناخ جيد ومناسب لهم» .^(٥٥)

وفي السياق ذاته نجد أن الحوزة العلمية تسير جنباً إلى جنب مع المؤسسة الأكاديمية في رؤاها وتطلعاتها لبناء جيل من الشباب متزن وجدانياً تتحقق فيه المقومات الكافية كي يكون إنسان فاعلاً ومؤثراً تأثيراً إيجابياً في بناء نفسه والمجتمع ، يقول الشيخ بشير النجفي (دام ظله) في هذا الصدد ما نصه : «يجب على المهتمين بتربية طلابنا الأعزاء مراقبة سلوك الطالب وحثه على الالتزام بتقوى الله والخشية منه في السر والعلانية ، ويجب أن يرافق الارتقاء الروحي التقدم العلمي ، وأن يواكب السمو النفسي الارتفاع في مدارج العلوم التي يتغذى بها في مناهل العلم والمعرفة حتى يتجسد الدين في حركاته وسكناته ، فيكون مثلاً يحتذي به الناس» .^(٥٦)

ومن هنا يتضح أن الحوزة والجامعة التي تنطلق فلسفتها وسياستها التربوية من عقيدة المجتمع الذي تقوم به ، يترتب عليهما أن ينطلقان من فعاليتها هذه العقيدة ، وأن لا يكون ضمن أنشطتهما ما يخالف ذلك ، مع الأخذ بالاعتبار استلزام روح العصر وإفرازات التطور العلمي والتكنولوجي في العالم

بصورة واعية وصحيحة ، من خلال إعدادها لخطة منظمة ودقيقة لتنمية اتجاهات الطالب نحو مختلف القضايا ، لتجعله صاحب رأي صريح وجريء ، وموقف محدد وإيجابي وقادراً على إبداء الرأي في الوقت المناسب ، وأن يحترم مبادئ دينه ، وما جاء به من الأخلاق الفاضلة ، ولا يغفل تقاليد وعادات مجتمعه النافعة ، وأن يكون حريصاً على وطنه والمساهمة في بنائه وتطويره .^(٥٧)

وقد سعت الحوزة العلمية- نتيجة للظواهر التي بدأت تنفشي في الجامعات عند الطلبة ، مثل موجة الإلحاد ، والتسقيط المذهبي ، والجهل المعرفي بأصول العقائد ، والانحرافات في الفكر - بالتعاون مع المؤسسات الجامعية إلى الانخراط في الأجواء الأكاديمية بغية الإسهام في دعم الجهود الجامعية في القضاء على تلك الظواهر عن طريق التوعية والإرشاد والتثقيف ضد الأفكار المنحرفة ، والعقائد والثقافات المستوردة التي تحاول النيل من أفكار أبنائنا الطلبة .

فضلاً عن إسهام البرامج التعليمية التربوية التي تعدها الحوزة العلمية والجامعات في تزويد الطالب بما يحتاجه لغرض السيطرة على حالته الانفعالية ، وعدم تسرعه بإصدار الأحكام على الأمور والأشياء التي تصادفه ، وعدم اتخاذ القرارات بشأنها بصورة مستعجلة وأنية ، دون دراسة وافية وتفحص دقيق لحيثيات الموقف ومسبباته ونتائجه المحتملة ومدى

تأثيراتها ، وبذلك سوف يصبح الطالب متزناً انفعالياً ولديه اتجاهات إيجابية نحو مختلف القضايا ، وملتزماً بمبادئ دينه ، ومجتمعه ومستعداً لخدمة بلده والارتقاء به .

ويتضح مما تقدم أن الحوزة والجامعة يسعيان بصورة فاعلة من خلال الإطار المرجعي في الإسلام (الكتاب والسنة المطهرة) إلى تنمية روح الالتزام لدى الطالب بتعاليم دينه وعقيدته الإسلامية ، والعمل بأوامر الله سبحانه وتعالى وطاعته ، والابتعاد عن المعاصي والذنوب ، والاهتمام بسنة الرسول القدوة ﷺ والسير عليها ، لأنه إذا صلح إيمان الطالب والتزامه بدينه ، وخوفه من خالقه صلحت الجوانب الأخرى في شخصيته ، وكان إنساناً متكاملًا ومتزناً ومسؤولاً بدرجة كبيرة ^(٥٨) ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ^(٥٩) .

الخاتمة :

بعد المسيرة البسيطة في ثنايا هذا البحث ، فقد أسفر عن بعض النتائج ، وهي :

١ . في ظل التطورات التي يشهدها العالم ، والانفتاح الكبير غير المقنن على الثقافات الأخرى ، فإن عدداً من الممارسات المنحرفة بدأت تسود في أوساطنا الإسلامية ، وبدأ هذا الامر يتفشى ويظهر بأشكال مختلفة .

٢ . أفرزت الثقافات المستوردة الدخيلة على تراثنا الإسلامي جملة من الظواهر التي لا تمت إلى تعاليم الدين الحنيف بأي صلة ، سعيًا من تلك الثقافات إلى طمس هوية الإسلام وتشويهه ، بغية إظهاره كدين منحرف أو أنه دين إرهاب .

٣ . إن المؤسسة التعليمية سواء على الصعيد الأكاديمي المتمثل بالجامعات والمعاهد والهيئات التعليمية ، أم على صعيد الحوزات العلمية ، لها دور كبير ومسؤولية عظيمة في مواجهة الأفكار المنحرفة والمتطرفة ، وقد أخذت على عاتقها مسؤولية توعية الشباب وتوجيههم الوجهة الصحيحة حذراً من الوقوع في شباك الأفكار الضالة .

٤ . ظهر من خلال البحث أنه لا يوجد اختلاف وتباين أو تقاطع - كما يزعم بعضهم - بين الدور الذي تلعبه الحوزة العلمية والجامعات ، بل إن كلاهما يشتركان في الهدف والغاية وإن اختلفا في الشكل والطريقة ، وإنهما يسيران جنباً إلى جنب في طريق تحقيق الأهداف السامية وذلك في بناء الفكر الإنساني ومنهم الطالب والطالبة بناءً سليماً على وفق ما رسمه لنا الدين الحنيف .

٥ . دأب مراجعنا العظام (أدام الله ظلهم) على توجيه المؤسسات التربوية والتعليمية بالعمل على تثقيف الجيل

الواعي والجاد إلى كل ما من شأنه أن يحرف الفكر عن مساره الصحيح .

الناشئ من الطلبة على وفق مضامين الدين الإسلامي الحنيف ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، توجيه الطلبة إلى الالتزام بمبادئ وتعاليم شريعتنا الغراء ، والانتباه

المصادر:

خير ما يُتَدَبَّأُ به القرآن الكريم .

- ١ . إبراهيم ، عبد الستار ، العلاج النفسي السلوكي الحديث ، أساليبه ومبادئ تطبيقه ، القاهرة ، دار الفجر ، ١٩٩٨م : ١١٠ .
- ٢ . إبراهيم ، مجدي ، تطوير التعليم العالي في عصر العولمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٠م : ٣٦ .
- ٣ . ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، مدارج السالكين ، تحقيق : ناصر بن سليمان السعودي ، علي بن عبد الرحمن القرعاوي ، صالح بن عبد العزيز السويجري ، خالد بن عبد العزيز الغنيم ، ط ١ ، دار الصميعي ، الرياض ، ١٤٣٢هـ .
- ٤ . ابن منظور ، لسان العرب ، د . ط . ، قم ، ١٤٠٥هـ .
- ٥ . الإحسائي ، محمد بن علي ، عوالي اللئالي العزيرية في الأحاديث الدينية ، تحقيق : آقا مجتبی العراقي ، ط ١ ، قم ، مطبعة سيد الشهداء ، ١٤٠٣هـ .
- ٦ . أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، د . ط . ، مكتبة الإعلام الإسلامي .
- ٧ . أسامة ، بدر محمد ، مواجهة الإرهاب ، القاهرة ، النسر الذهبي للطباعة ، ٢٠٠٧م .
- ٨ . الأشموري ، عبد الرحمن ، المصالح الضيقة ، صنعاء ، دار الأمل ، ٢٠٠٤م .
- ٩ . الباز ، راشد مسعد ، أزمة السباب واستراتيجيات المواجهة ،

الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٢٥هـ .

- ١٠ . البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، دار الفكر للطباعة ، ١٤٠١هـ .
- ١١ . البراشي ، بكيل بن محمد ، دور الأمن الفكري في الوقاية من الإرهاب ، الرياض ، ١٤٣٢هـ .
- ١٢ . البرعي ، وفاء محمد ، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري ، رسالة دكتوراه ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢م .
- ١٣ . البكر ، رشيد ، تنمية الفكر من خلال المنهج الدراسي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٤هـ .
- ١٤ . التركي ، عبد الله ، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤١٧هـ .
- ١٥ . المجني ، علي ، الأمن في ضوء الإسلام ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ٢٠٠٨م .
- ١٦ . المجني ، علي ، الفهم المفروض للإرهاب المرفوض ، صنعاء ، مطابع الميثاق ، ٢٠٠٧م .
- ١٧ . الجوفي ، محمد ، العولمة وانحراف الفكر ، صنعاء ، دار النهضة ، ١٤٢٨هـ .
- ١٨ . حزير ، محمد الحبيب ، واقع الأمن الفكري ، مصر ، دار الجيل ، ٢٠٠٥م .
- ١٩ . الحسباني ، عبد الحميد ، الانحراف الفكري وأثره على المن

- الاجتماعي : ١٢ .
- ٢٠ . الحقييل سليمان ، الإدارة المدرسية وتعبئة قواعدها البشرية ، عمان ، دار عالم ، ١٤٢٤ هـ .
- ٢١ . الحكيم ، محمد سعيد ، رسالة توجيهية إلى التربويين العراقيين ، ط ٢ ، دار الهلال ، ١٤٢٤ هـ .
- ٢٢ . الحيدر ، حيدر عبد الرحمن ، الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية ، القاهرة ، دار الجيل ، ١٤٢٢ هـ .
- ٢٣ . الحيدري ، كمال ، الغلو ، حقيقته وأقسامه ، د . ط .
- ٢٤ . الخطيب ، محمد شحاته ، الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني ، القاهرة ، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية ، ١٤٢٦ هـ .
- ٢٥ . الركابي ، زين العابدين ، الأدمغة المفخخة ، الرياض ، غيناء للنشر ، ١٤٢٤ هـ .
- ٢٦ . الرمي ، صالح أحمد ، أساليب وقاية الطلاب من الانحراف ، الرياض ، مطبعة أمل ، ١٤٢٥ هـ .
- ٢٧ . الزبيدي ، تاج العروس في جواهر القاموس ، تحقيق : علي شيري ، د . ط . ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ .
- ٢٨ . السدلان ، صالح بن غانم ، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية ، ط ٢ ، دار بلنسية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٠ هـ .
- ٢٩ . السند ، محمد ، الإمامة الإلهية ، ط ٢ ، مطبعة الاجتهاد ، قم المقدسة ، ١٤٣٠ هـ .
- ٣٠ . السيستاني ، علي ، نصائح للشباب المؤمن ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء .
- ٣١ . شرقي ، ساجدة ، دور الجامعات في تطوير وتنمية المجتمع ، البصرة ، دار البرق ، ٢٠٠٩ م .
- ٣٢ . الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، د . ط . ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .
- ٣٣ . صالح ، جلال الدين ، الإرهاب الفكري ، مصر ، النهضة للطباعة والنشر ، ٢٠٠٦ م .
- ٣٤ . الصدر ، محمد باقر ، بحوث في شرح العروة الوثقى ، ط ١ ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٣٩١ هـ .
- ٣٥ . طاش ، عبد القادر ، وباء المخدرات ودور وسائل الإعلام في التوعية بمخاطره ، الرياض ، الميساء للطباعة والنشر ، ١٤١٣ هـ .
- ٣٦ . الطبراني ، سليمان بن احمد ، المعجم الأوسط ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤١٥ هـ .
- ٣٧ . الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، تفسير مجمع البيان ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة ، ط ١ ، مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٤ هـ .
- ٣٨ . الطبرسي ، حسين ، مستدرك الوسائل ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، ط ١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٧ هـ .
- ٣٩ . الطريحي ، فخر الدين ، مجمع البحرين ، تحقيق : أحمد الحسيني ، ط ٢ ، مكتب النشر الثقافة الإسلامية ، طهران ، ١٤٠٨ هـ .
- ٤٠ . الطلاع ، رضوان طاهر ، نحو أمن فكري إسلامي ، صنعاء ، مطابع العصر ، ١٤٢٩ هـ .
- ٤١ . عبيدات وآخرون ، ذوقان ، البحث العلمي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الرياض : المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٧ م .
- ٤٢ . العمري ، سلمان بن محمد ، الإسلام دين الوسطية والاعتدال

- القاهرة ، دار الجيل ، ١٤٢٥ هـ .
- ٥١ . المالكي ، عبد الحفيظ ، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب ، صنعاء ، دار الكتب ، ٢٠٠٦ م .
- ٢٨ المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- ٥٩ المفيد محمد بن محمد ، تصحيح اعتقادات الإمامية ، تحقيق : حسين درگاهي ، ط ٢ ، مؤسسة الطبع والنشر ، قم ، ١٤١٤ هـ .
- ٥٢ . الميداني ، عبدالرحمن حسن حبنكة ، الوسطية في الإسلام ، ط ١ ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- ٥٣ . النجفي ، بشير ، الدين النصيحة (إلى طلبة العلم) ، ط ٢ ، دار الضياء للطباعة ، النجف الأشرف ، ١٤٣٥ هـ .
- ٥٤ . الوادعي ، سعيد مسفر ، الأمن الفكري الإسلامي ، الأردن ، سبأ للنشر والتوزيع ، ١٤٢٨ هـ .
- على مدى الأزمان ، دار الهلال ، الرياض ، ١٤٣٠ هـ .
- ٤٣ . الغامسي ، يعد بن فالح ، الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن .
- ٤٤ . الغريزي ، سامي ، الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة ، ط ١ ، مطبعة نكاش ، قم ، ١٤٢٤ هـ .
- ٤٥ . فهمي هويدي ، التدين المنقوص ، ط ١ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٤١٤ هـ .
- ٤٦ . القرضاي ، الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د . ت .
- ٤٧ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٣٩٢ هـ .
- ٤٨ . القرني ، محمد ناصر ، المسؤولية الأمنية للمؤسسات التعليمية ، القاهرة ، دار الجيل ، ١٤٢٥ هـ .
- ٤٩ . اللقاني والجمل ، أحمد حسين ، علي أحمد ، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس ، ط ٢ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٩ م .
- ٥٠ . اللويحي ، عبد الرحمن ، الأمن الفكري ، ماهيته وضوابطه ،

الهوامش :

- [١] ينظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ٢ : ٤٢ .
- [٢] ينظر : الحسيني ، عبد الحميد ، الانحراف الفكري وأثره على المن الاجتماعي : ١٢ .
- [٣] ينظر : الغامسي ، يعد بن فالح ، الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن : ٦٠ .
- [٤] سورة طه : ١٢٤ .
- [٥] ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١١ : ٢٥٩ .
- [٦] ينظر : المحيني ، علي ، الأمن في ضوء الإسلام : ٢١٢ .
- [٧] الطبرسي ، حسين ، مستدرک الوسائل ١٧ : ٢٤٥ . ينظر : البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ١ : ٣٤ .
- [٨] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ١ : ٢٩ .
- [٩] أسامة ، بدر محمد ، مواجهة الإرهاب : ٦٦ .
- [١٠] الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، تفسير مجمع البيان ٤ : ٤٩ .
- [١١] إبراهيم ، عبد الستار ، العلاج النفسي السلوكي الحديث ، أساليبه ومبادئ تطبيقه : ١١٠ .
- [١٢] سورة التحريم : ٦ .

- [١٣] الإحسائي، محمد بن علي، عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية ١: ١٢٩.
- [١٤] البكر، رشيد، تنمية الفكر من خلال المنهج الدراسي: ٣٣.
- [١٥] ينظر: ابن منظور، لسان العرب ١٠: ١١٢، والطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين ١: ٣١٨.
- [١٦] ينظر: المفيد محمد بن محمد، تصحيح اعتقادات الإمامية: ١٠٩، والشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل ١: ١٧٣، والصدر، محمد باقر، بحث في شرح العروة الوثقى ٣: ٣٨٤.
- [١٧] قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا يرى الجاهل إلا مفراطاً أو مفراطاً». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار ١: ١٥٩.
- [١٨] ينظر: الغريسي، سامي، الجذور التاريخية النفسية للغلو والغلاة: ٣٥ و٤٩، والحيدري، كمال، الغلو، حقيقته وأقسامه: ٢٣-٢٩، وفهمي هويدي، التندين المنقوص: ١٢٦، والقرضاوي، الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف: ١٠٨.
- [١٩] ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ٥: ٩٦، والزبيدي، تاج العروس ٧: ٣٩٧.
- [٢٠] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين ٢: ٤٩٦. ينظر: الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط ١٢: ١٥٧، والطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين ٣: ٦٦.
- [٢١] ينظر: السند، محمد، الإمامة الإلهية ٢: ١٧.
- [٢٢] ينظر: الجوفي، محمد، العولمة وانحراف الفكر: ٢١.
- [٢٣] صالح، جلال الدين، الإرهاب الفكري: ٥٦.
- [٢٤] حزير، محمد الحبيب، واقع الأمن الفكري: ٨٨-٨٩.
- [٢٥] الأشموري، عبد الرحمن، المصالح الضيقة: ٧.
- [٢٦] الجحني، علي، الفهم المفروض للإرهاب المفروض: ١٨١.
- [٢٧] الطلاع، رضوان طاهر، نحو أمن فكري إسلامي: ٢٢.
- [٢٨] المالكي، عبد الحفيظ، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب: ٧٨.
- [٢٩] الخطيب، محمد شحاته، الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني: ١٠٣.
- [٣٠] الوادعي، سعيد مسفر، الأمن الفكري الإسلامي: ٥٠.
- [٣١] اللويحي، عبد الرحمن، الأمن الفكري، ماهيته وضوابطه: ٧٠.
- [٣٢] الركابي، زين العابدين، الأدمغة المفخخة: ١١٠.
- [٣٣] الحكيم، محمد سعيد، رسالة توجيهية إلى التربويين العراقيين: ٢٠.
- [٣٤] التركي، عبد الله، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام: ٩.
- [٣٥] السيستاني، علي، نصائح للشباب المؤمن: ٤.
- [٣٦] ينظر: الحقييل سليمان، الإدارة المدرسية وتعبئة قواعدها البشرية: ٦٦.
- [٣٧] طاش، عبد القادر، وباء المخدرات ودور وسائل الإعلام في التوعية بمخاطره: ٤٢٠.
- [٣٨] القرني، محمد ناصر، المسؤولية الأمنية للمؤسسات التعليمية: ٤٥.
- [٣٩] الربيعي، صالح أحمد، أساليب وقاية الطلاب من الانحراف: ١٠٠.
- [٤٠] ينظر: البرعي، وفاء محمد، دور الجامعة في مواجهة التطرف

المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس : ١٢ .

[٥٠] السيستاني ، علي ، نصائح للشباب المؤمن : ٦ .

[٥١] الحكيم ، محمد سعيد ، رسالة توجيهية إلى التربويين العراقيين : ١٨ .

[٥٢] ينظر : الباز ، راشد مسعد ، أزمة السباب واستراتيجيات المواجهة : ٩٢ .

[٥٣] سورة النور : ٥٢ .

[٥٤] ينظر : البكر ، رشيد ، تنمية الفكر من خلال المنهج الدراسي : ٣٣ .

[٥٥] البرعي ، وفاء محمد ، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري : ٧٩ .

[٥٦] النجفي ، بشير ، الدين النصيحة (إلى طلبة العلم) : ٣٥ .

[٥٧] ينظر : اللقاني والجمل ، أحمد حسين ، علي أحمد ، معجم

المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس : ١٢ .

[٥٨] ينظر : الباز ، راشد مسعد ، أزمة السباب واستراتيجيات المواجهة : ٩٢ .

[٥٩] سورة النور : ٥٢ .

الفكري : ٦ .

[٤١] ينظر : البراشي ، بكيل بن محمد ، دور الأمن الفكري في الوقاية

من الإرهاب : ٤٤ ، شرقي ، ساجدة ، دور الجامعات في تطوير وتنمية المجتمع : ٢٢ .

[٤٢] عبيدات وآخرون ، ذوقان ، البحث العلمي ، دار أسامة للنشر والتوزيع : ٣٣ .

[٤٣] السيستاني ، علي ، نصائح للشباب المؤمن : ٨ .

[٤٤] ينظر : السدلان ، صالح بن غانم ، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية : ٤٤ .

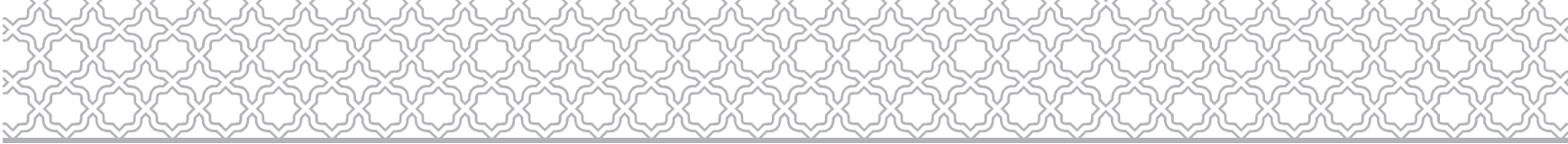
[٤٥] الحكيم ، محمد سعيد ، رسالة توجيهية إلى التربويين العراقيين : ١٢ .

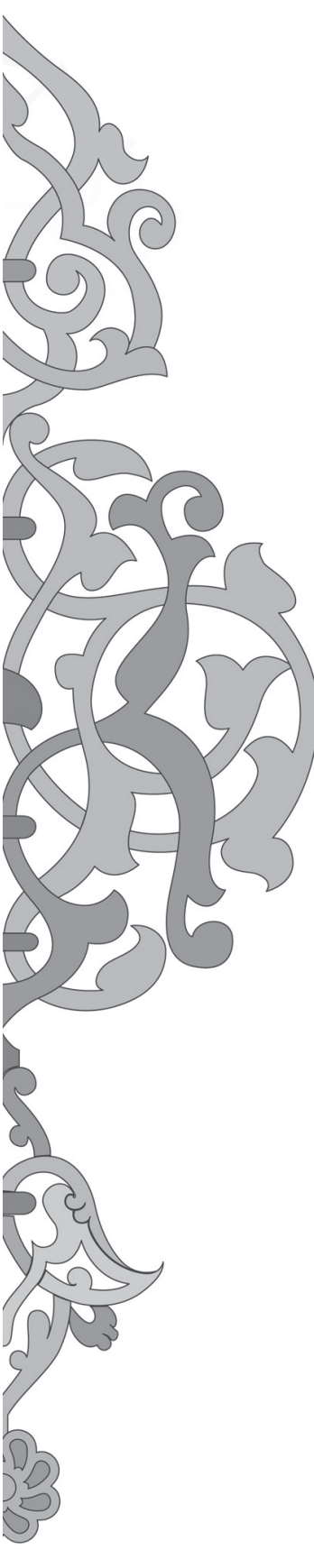
[٤٦] ينظر : العمري ، سلمان بن محمد ، الإسلام دين الوسطية والاعتدال على مدى الأزمان : ٢٢١ .

[٤٧] البرعي ، وفاء محمد ، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري : ٧٩ .

[٤٨] النجفي ، بشير ، الدين النصيحة (إلى طلبة العلم) : ٣٥ .

[٤٩] ينظر : اللقاني والجمل ، أحمد حسين ، علي أحمد ، معجم



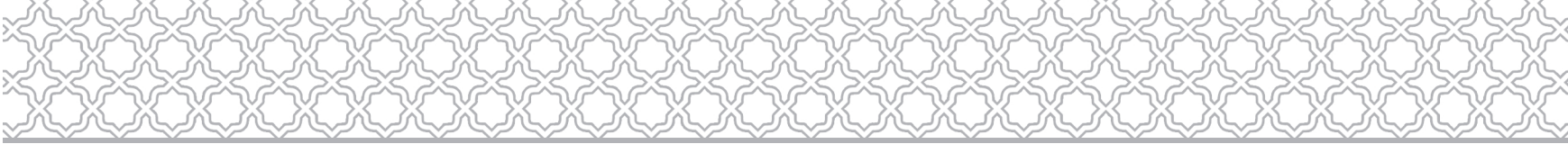


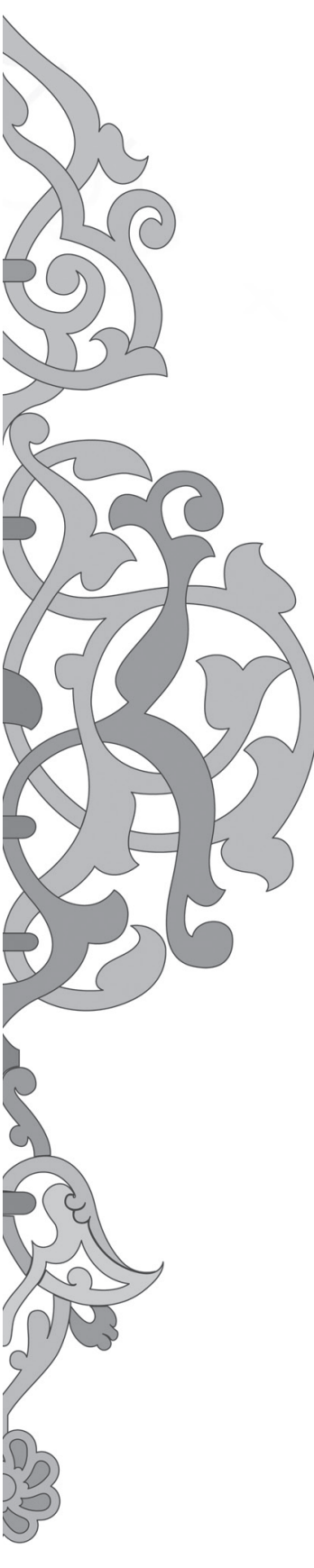
الدَّرَاسَاتُ الْفِكْرِيَّةُ

❖ الرُّؤْيَةُ الْكَوْنِيَّةُ لِلْكَوْنِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْإِتِّحَادِ

❖ مُعَوَّزَاتُ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرُهُ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

❖ تَطَوُّرُ عِلْمِ الرِّجَالِ فِي مَدْرَسَةِ الْحَلَّةِ

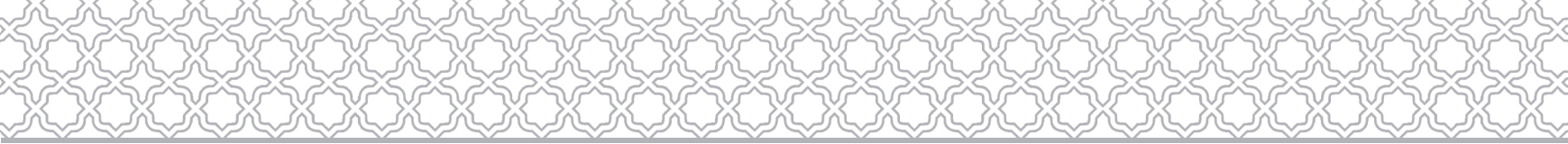




الرُّؤْيَةُ الْكَوْنِيَّةُ لِلْكَوْنِ بَيْنَ الْإِيْمَانِ وَالْإِيْمْحَادِ - الْقِسْمُ الْأَوَّلُ -

❖ السيد صدر الدين البقائي (*)

.....
(*) أستاذ في حوزة النجف الأشرف وإمام وخطيب جمعة النجف الأشرف .



توطئة قضية (الله)

إنها ليست قضية بحث فلسفي يتعشقه الفلاسفة ، أو
مغامرة في عالم الغيب نخوضها بدوافع نفسية .

لو كانت هكذا فمن الأجدر للإنسانية أن نتزل البحث
عنها ، وتترك الضجيج الحائم حولها ، وتسير في ركب
واحد ما دامت قضية الله لا ترتبط بالواقع العملي للإنسان
نفسه .

لو كانت القضية تقف عند هذه الحدود لم يكن هناك
قيمة لأن اكون مؤمناً أو أكون ملحداً ، وإذا اختلفنا لم
يكن خلافنا ممزقاً لوحدتنا ، أو مفزقاً لمسيرنا ، يكون كما
إذا اختلفنا في وجود سكان في المريخ أو لا ؟
إن قضية الله هي أكبر من تلك الحدود .

قضية (الله) ماذا تعني ؟

والبحث عن الله ماذا يعني ؟

قد تشرح قضية الله على أساس انها بداية هذا الكون
ونهايته ؟

كيف بدأ الوجود ، وكيف ينتهي ؟ وهل هناك سبب
أول إليه يرجع الكون كله أم لا ؟

هذا صحيح من الوجهة التي يتناولها الفلاسفة في
البحث عن الوجود ، إلا أن قضية الله لا يجب أن تفهم
بهذا المقدار .

إنها ليست قضية ترف عقلي ، أو تشوق إلى معرفة
المجهول ، أو حبّ التطلّع إلى البداية الكونية .

ولأنها أكبر من تلك الحدود قام حولها الصراع العالمي والعلمي الذي يملأ تاريخ الإنسانية الطويل .

إن قضية (الله) هي (قضية الإنسان) بالذات .

هي قضية قيمة هذا الإنسان ، ودوره ومسؤوليته ، وهي قضية مصيره ومستقبله ، وهي قضية الهدف من وجوده .

وهي رأس الخيط لكل قضايا هذا الإنسان .

وحينما تفهم القضية بهذا الشكل تصبح ضرورة ويصبح البحث عنها حتماً من الحتم ، وحينما تفهم القضية بهذا الشكل يستطيع أن نفهم لماذا (١٢٤) ألف نبي بُعثوا من أجل تدعيم هذه القضية .

ونستطيع أن نفهم ما معنى خط الله ، وخط الشيطان .

ونستطيع أن نفهم لماذا كان البُعد عن قضية الله ضالاً على حد تعبير القرآن الكريم .

ونستطيع أن نفهم لماذا كان الدين كله مجموعاً في هذه القضية ، قضية التوحيد .

موضوع البحث

ثم ما هو موضوع البحث في قضية الله ؟ وعماداً نبحت ؟

البحث في قضية الله هو بحث عن وجود عقل وإرادة صممت هذا الكون أو عدم وجود ذلك ؟

بحث عن وجود قوة اليها يرجع هذا الوجود كله .

أما ما هي تلك القوة ؟ هل هي بشكل كائن منفصل عن هذا الوجود ، وموجود في خارج دائرته ؟

وهل هي بوجود محدود متميز كما ان وجودنا ، ووجود هذا الكون المادي محدود ومتميز ؟

وهل هي بوجود مادي كسائر وجوداتنا ؟

أم أنها بوجود لا مادي ، ولا محدود ، ولا معزول عن هذا العالم ، ولا خارجٍ عن دائرته ، كما يؤكد التصور الإسلامي ؟

هذه أمور وتصورات يجب ان تبحث وتحدّد بالطبع ، الا أن موضوع البحث في قضية الله هو وجود (الله) أي القوة والعقل والارادة التي صممت وأبدعت هذا الوجود ، أما كيف يوجد ، وبأي صورة فذاك أمر يجب أن لا يدخل في أصل القضية .

أي ان البحث يجب ان يقع في مرحلتين :

في المرحلة الأولى نتساءل هل يرجع هذا الوجود إلى قوة هي التي خلقتة وصممتة أم ليس الا هذه المادة

العمياء ؟

وإذا أثبتنا وجود تلك القوة نتساءل في المرحلة الثانية عن طبيعة وجود تلك القوة .

ومن هنا فالذين انجروا الى الالحاد حين بدأوا البحث عن الخالق بوصفه كائناً مادياً محدوداً - كما في التصورات الدينية المحرّفة - ثم لم يعثروا على هذا الكائن . هؤلاء وقعوا في خطأ علمي منهجي ، لأنه في البداية يجب ان لا نحدد أي صورة مسبقة عن العلة الأولى لهذا الوجود ، وانما ندرس القضية على إجمالها ثم في المرحلة الثانية تحدد الصورة كما شرحنا .

- مسؤولية الاستدلال

نحن في قضية وجود الله امام ثلاثة مواقف :

الايمان ، الالحاد ، موقف الشك

- على من تقع مسؤولية إقامة الدليل ؟

- وأيّ المواقف الثلاثة مطالب بالدليل ؟

بالطبع ، فإنّ مَوقِف الشَّك غيرُ مسؤول عن الدّليل والبرهان ، ولا يمكن أن نقول للشاك :

- ما هو دليلك ؟ ؛ لأنّ الشكّ في الحقيقة ليس موقفاً محدداً ، الشكّ هو الحيرة والأدريّة ، والشكّ هو

اللاموقف - إن صحّ التعبير - ، ولذا ، فمن الناحية المنطقيّة ، لا يُلزم الشاك دائماً بإقامة الدليل ، وإنّما يكفيهِ لتصحيح شكهِ أن تبطلَ عنده أدلّة المثبتين ، وأدلة النافين ، أي : أدلّة موقف الإيمان ، وأدلة موقف الإلحاد .

كما أنّ من الخطأ أن يُطالب الإيمان وحده بالتدليل على موقفه ، فإنّ مسؤولية الاستدلال تقع على موقف الإيمان والإلحاد معاً ؛ فكلّ منهما موقفٌ من القضية ؛ أحدهما : موقفٌ إيجابي ، والآخر : سلبي ، وفي كل منهما يوجد تصوّر محدّد عن القضية يحتاج إلى برهان .

- فالمؤمن - الذي يقول : إنّ لهذا الكون بداية - مطالب بالدليل .

- والملحد - الذي يقول : لا يوجد لهذا الكون بداية - هو الآخر مطالب بالدليل .

- وكما لو قلْتُ : لا يوجد في الأرض كائن غير الانسان ، فإنّي - حينئذٍ - مطالب بالدليل ، وهكذا في الالحاد .

- فالاثبات والنفي في (قضية الله) معاً بحاجة إلى دليل .

وفي هذا الضوء نعرف خطأ الطريقة التي جرى عليها الماديون الملحدون ، فإنهم من أجل البرهنة على صحة

الطريق ، فليس معنى ذلك ان أحكم بان إنساناً لم يسر في هذا الطريق ما زلت لا أملك الدليل على ذلك ، فربما سار إنسان الا انه لم يترك أثراً .

وفي هذا الضوء يجب ان يتغير موقف المؤمنين أيضاً ، فليس عليهم أن يقدموا الادلة على موقفهم ، وانما لهم أيضاً أن يطالبوا الطرف الآخر باقامة الدليل .

موقفهم يكتفون بمناقشة أدلة الايمان ، الا انه حتى لو كانت مناقشاتهم صحيحة فان ذلك لا يبرر لهم ان يقفوا موقف النفي القاطع ، ما لم يقدموا هم الدليل على موقفهم السلبي ، وإلا فلماذا لا يكونون شكاكين ولا أدريين كما كان غيرهم ؟

مثلاً : اذا لم يثبت بالدليل ان إنساناً قد سار في هذا

الباب الأول : وجود الله تعالى

لمحة تاريخية عن القضية

- متى بدأت الانسانية تفكر في قضية الله ؟

قضية بداية هذا الكون ونهايته ، وموقع الانسان فيه ؟

- ومتى طرح الانسان على نفسه هذا السؤال : هل

يوجد وراء هذا الكون قوة أخرى ، مشرفة عليه ومسيطرة ،

أم ليس الا هذا الوجود المادي ؟

بعض المفكرين يعتقدون ان الانسانية عاشت قروناً

طويلة لا تفكر في قضية الله ، لأنها لم تكن بمستوى

فكري يفتح عليها مثل هذا البحث ، إنها عاشت مرحلة

مادية خالصة ، مشغولة بعيشها عن البحث في قضية هذا

الكون ، وجوده ، وبدايته ، والغاية منه ، ومصيره .

إن التفكير في قضية الله ، وحتى مجرد التفكير يحتاج
إلى سعة في أفق التفكير البشري ، وهذا ما لم يكن متوفراً
للانسان في مراحل الأولى كما كتب احد السوفسطائيين
قائلين :

« إن الانسان كان أول نشأته يعيش بغير رادع عن
قانون ، ولا وازع من خلق ، وأنه كان لا يخضع الا الى
القوة الباطشة »^(١) .

وعلى حد تعبير فولتير :

« إن الإنسانية لا بد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة
في حياة مادية خالصة قوامها الحرث والنحت ، والبناء ،
والحدادة ، والتجارة ، قبل ان تفكر في مسائل الدينيات

والروحانيات « (٢) .

بينما يذهب مفكرون آخرون إلى أن قضية (الله) هي قضية قديمة قدم الإنسانية ، وأن الإنسانية كانت تفكر في قضية الله منذ أيامها الأولى . يقول معجم لاروس للقرن العشرين :

« أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى أشدها همجية ، وأقربها إلى حياة الحيوانية . . . وان الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق الطبيعة هو إحد النزعات العالمية الخالدة للإنسانية » .

وهكذا يقرر (أوجيست كونت) في تحديده لمراحل البشرية :

إنَّ المرحلة الأولى هي : المرحلة الالهية ، حيث كان الانسان في هذه المرحلة ينسب كل شيء ، وكل الحوادث الى قوى ما وراء الطبيعة .

أمَّا في التصور الإسلامي فقضية (الله) مطروحة في الذهن البشري منذ بداية الجيل الجديد للإنسانية الذي يبدأ بـ (آدم عليه السلام) ، والتي نصلح عليها الإنسانية الآدمية .

فإن (آدم عليه السلام) حسب التصور القرآني ، كان مؤمناً ، وابنا آدم هابيل وقايل كان احدهما مؤمناً ، وكان الثاني

عاصياً ، ومعنى هذا ان قضية (الله) سلباً وإيجاباً كانت مثارة لدى الفكر الانساني ، وليس كما تصور فولتير ان الإنسانية عاشت قروناً بعيدة عن التفكير في هذه القضية ، اللهم الا اذا كان يقصد الإنسانية التي سبقت الجيل الآدمي .

وهكذا يتحدث القرآن الكريم عن قدم الايمان بالله ، ووجوده في عمق الفطرة الإنسانية ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ (٣) .

هذا جانب من الموضوع .

أمَّا الجانب الآخر فهو أنَّ الإنسانية مرّت بمراحل قبل أبينا آدم عليه السلام ، أي قبل هذا الجيل الآدمي ، هكذا في التصور الاسلامي على ما يستفاد من بعض نصوصه .

فبعض النصوص عن الأئمة من أهل البيت تؤكد « ان قبل آدمكم هذا ألف الف آدم » ، وعن الامام الصادق عليه السلام في كتاب (التوحيد) انه قال :

(لعلك ترى ان الله لم يخلق بشراً غيركم ؟ بلى ، والله لقد خلق ألف الف آدم وانتم في آخر اولئك الادميين) .

كما أن بعض المفسرين يستفيد هذا المعنى من قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) .

المفسرون يتساءلون :

كيف عرفت الملائكة ان الانسان يفسد في الارض ويسفك الدماء ؟ ثم كيف يكون الإنسان خليفة وما معناه ؟
ويجب بعضهم على ذلك بأن الجيل الآدمي ، وآدم بالذات هو خليفة للإنسان الذي سبقه ، ثم انتهى عصره وإنقضى .

ومن حيث إنَّ الإنسان القديم أفسد في الأرض ، وسفك الدماء ، تخيلت الملائكة ان الإنسان الجديد هكذا أيضاً .

وسواء قبلنا هذا التفسير للآية الكريمة أم لا ، فالأمر الذي نريد أن نقوله هو دلالة بعض النصوص الإسلامية على وجود أجيال وإنسانية سبقت آدم عليه السلام .

والسؤال الآن هو : هل كانت قضية الله مطروحة في تلك الأجيال ؟ حسب التصور الإسلامي لا يوجد لدينا اي دليل على ذلك ، فمن المعقول جداً أن تلك الأجيال عاشت بعيدة عن قضية الله ، لا تفكر فيها أصلاً ، لأنها لم تكن بمستواها ، بل كانت تعيش في عيشة مادية

خالصة ، وفي آفاق ضيقة من التفكير ، وأقرب ما تكون الى الحياة البهيمية .

إنهم لم يكونوا كفاراً ولم يكونوا مؤمنين ، لأن مستوى ادراكهم وتفكيرهم لم يصل إلى البحث في قضية الله ، والوجود .

وربما يؤيد ذلك الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام حين سئل عن الناس : أضلالا كانوا قبل بعثة الأنبياء عليه السلام أم على هدى ؟ فقال عليه السلام :

لم يكونوا على هدى ، بل كانوا على فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم الله ، أما تسمع قول إبراهيم « لئن لم يهدني ربي لأكونن من الضالين » .

تبقى كلمة أخيرة حول قضية (الله) .

- هل تستطيع الإنسانية أن تقلع عن التفكير في هذه القضية ؟

- هل تستطيع أن تعيش في معزل عن هذا الصراع المرير حول قضية الله ، فلا تفكر فيها أصلاً ؟

المناطقة الوضعيون يذهبون الى هذا الرأي ، فمن

رأيهم أن قضية الله لا معنى لها أصلاً ، ويجب حذفها من قاموس المباحث الفلسفية والإنسانية .

أما نحن فنعتقد إن القضية تفرض نفسها على البحث ، وتبقى الإنسانية سائرة في طريقها ، وباحثة عنها مهما كلف ذلك .

تماماً كما لاحظ (جوسدورف) حينما قال :

« إن فكرة الله تبقى موضوعاً ضرورياً للبحث ، وبدونها لا يمكن تكوين نظرة شاملة . . . »

وما أمل فيه الوضعيون من إمكان إستبعاد كل نظرة فوق طبيعية عن مجال الفكر العملي ، وإن كان هذا الأمر لا يزال يراود أنصار مدرسة فينا بنزعتها الفيزيائية فإن هذا الأمل يرجع الى الفلسفة وليس إلى فلسفة بمعنى الكلمة ^(٥) . . .

الإلحاد في العصر الحديث

تمهيد

الاحاد ليس موقفاً جديداً ، شهدته الإنسانية في العصر الحديث ؛ بل الاحاد كموقف يتخذه بعض الناس في قضية (الله) يمتد إلى قرون طويلة من تاريخ الإنسانية .

وهذه قضية لا نحتاج في اثباتها إلى دلائل تاريخية ، فالقرآن الكريم يشهد بها حينما يتحدث عن فرعون الذي قال ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ^(٦) ، أو عن ﴿ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ^(٧) .

وهكذا إذن فالإلحاد ليس ظاهرة جديدة تشهدها الإنسانية الحديثة .

الإلحاد في العصر الحديث

لكن ما الذي حدث في العصر الحديث ؟

الذي حدث أن الإلحاد أصبح يشكل إتجاهاً ومدرسة فلسفية ، وهذا ما لم يكن في العصور السابقة .

حقاً كان الإلحاد موجوداً ، وكان هناك فلاسفة ملحدون ، إلا انه لم يكن أكثر من مواقف شخصية وفردية ، أما بعد النهضة العلمية الحديثة فقد أصبح يمثل تياراً من أحد تيارين ، وإتجاهاً من أحد إتجاهين ، الإيمان والإلحاد ، والصراع بينهما محتدم .

بماذا نحلل هذه الظاهرة ؟

الماديون حاولوا أن يوعزوا هذه الظاهرة إلى التطور العلمي ، حيث تفتحت آفاق جديدة للإنسان ، واكتشفت ركائماً من الأخطاء الفكرية التي كان متورطاً بها من قبل .

الإنسان وقلبه بما تحقق وبما تكتشف ، بدأ موج الإلحاد يشتد ويطغى وذلك لأن الإنسان ما زال مبتدئاً في هذا المجال ، وما زال لم يضع الا الخطوة الاولى على الطريق ، ولم يعرف الا اللمسات الأولى للعلم وللتطور العلمي .

في هذه المرحلة استطاع ان ينسف مجموعة كبيرة من تصورات السابفة ، وبدأ ينظر الى العالم نظرة جديدة ، والى افكاره السابقة نظرة الفاحص المتأمل ، الا ان ذلك لم يكتب له السلامة من التورّط في اخطاء علمية اخرى ، حسب أنها حقائق غير قابلة للنقاش .

وكان الإتجاه المادي ، وطريقة التفكير المادي هو أحد الأخطاء التي تورّط فيها إنسان النهضة الحديثة .

واليوم بدأت تتكشف الحقائق أكثر فأكثر ، كلما تقدم الإنسان في طريق العلم ، وتجاوز مرحلة الطفولة ، وبدأ يتراجع عن كثير من اليقينيّات التي عشقها في أوائل النهضة العلمية .

وفي هذا كتب (ادوارد لوثر كيسييل) :

« لقد عمت أمريكا في السنوات الاخيرة موجة من العودة إلى الدين ، ولم تتخط هذه الموجة معاهد العلم لدينا . ولا شك ان الكشف العلمية الحديثة التي تشير الى

ويكون معنى ذلك أن التطور العلمي يبارك مسيرة الإلحاد ، ويدعمها ، وبفضله أصبح الإلحاد على شكل مدرسة علمية فلسفية .

يقول هكسلي :

« تعتبر التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضي انفجاراً معرفياً في وجه جميع الأساطير الإنسانية عن الإلهة والدين كما تفجّرت الأفكار القديمة عن المادة ، ونسفت بمجرد تفجير الذرة ^(٨) » .

ولكن ما هو مقدار الصحة في هذا التصور ؟

هل صحيح ان التقدم العلمي يدعو الى الانخراط في صفوف الالحاد ؟

وإذا لم يكن الأمر كذلك فيماذا نفسر موجة الالحاد بعد النهضة العلمية الحديثة ؟

وفي الاجابة على ذلك نقول :

إن تطور الإلحاد من مجرد اراء شخصية متفرقة إلى مدرسة فلسفية بعد النهضة العلمية لا يرجع الى التطور العلمي ، وإنما يرجع إلى مرحلة الطفولة في هذا التطور .

منذ أوائل هذه النهضة الحديثة ، وحينما بدأت التجربة العلمية تعمّق وجودها ، وتثبت جدارتها ، وتبهر عقل

ضرورة وجود إله لهذا الكون قد لعبت دوراً كبيراً في هذه العودة الى رحاب الله ، والإلتجاء اليه ^(٩) .

إن الخطأ الذي وقع فيه إنسان النهضة الحديثة هو أنه حاول تطبيق منهج الحس والتجربة في مجال الفلسفة والمعرفة ، لا فقط في مجال العلوم الطبيعية قدم هذا المنهج اكبر خدمة للإنسان ، الا انه في حالة غرور علمي بهذا المنهج حاول تطبيقه على مسائل الفلسفة والمعرفة الإنسانية عموماً ، فقال إن التجربة والحس هما الأصل في كل معرفة ، ولا يمكن التصديق بأي قضية ما لم تخضع للحس والتجربة .

وهنا تبرز في اخطاء وتناقضات سوف نشرحها لدى الحديث عن المذهب التجريبي .

وبهذا الصدد يعترف (سير جيمس جينز) قائلاً :

« إن في عقولنا الجديدة تعصباً جديداً يرجح التفسير المادي للحقائق » .

ومن ناحية ثانية من حقنا أن نتساءل :

- إذا كان التطور العلمي مدعاة للإلحاد ودافعاً نحوه ، فلماذا نجد علماء الطبيعة وهم بدرجة واحدة من العلم والنبوغ ، بينما احدهما مؤمن والآخر ملحد .

- أليس ذلك يدل على ان التطور العلمي هو حيادي

من ناحية الإيمان والإلحاد ؟

- أليس ذلك يدل على ان الالحاد هو طريقة خاصة في فهم التجارب العلمية ، فواحد يصل منها إلى الإيمان ، وآخر يصل الى الجحود والالحاد ؟

وإلا فما معنى ان يكون علماء امثال برتراند رسل ماديين ملحدين ، بينما يكون علماء امثال أينشتاين مؤمنين ؟

على أن الالحاد في العصر الحديث لم تدعُ اليه دلائل علمية بمقدار ما دعت اليه ردود فعل نفسية ، وعوامل ثانوية جانبية متعددة ، وذلك ما سوف نتناوله في الأبحاث الآتية ان شاء الله تعالى .

مراحل البشرية في تصور (أوجيست كونت)

يذكر (أوجيست كونت) ان البشرية مرّت بثلاث مراحل :

الأولى : المرحلة الإلهية

الثانية : المرحلة الفلسفية التجريدية

الثالثة : المرحلة العلمية الوضعية

- في المرحلة الأولى : كانت تنسب الحوادث مباشرة الى قوى خارجية وراء الطبيعة ، قوى الله ، او

الإلهة التي اصطنعها الإنسان واعتقد بها . فالزلازل ، والبركان ، والفيضان ، والعاصفة ، وهكذا الخسوف والكسوف والأمراض والأوبئة هي مباشرة من فعل قوى خارج حدود الطبيعة . كان هذا التفكير مسيطراً على الإنسان .

- أما في المرحلة الثانية : فقد بدأ الإنسان يفلسف قضاياها ومناهجها ، وفي هذا المجال فقد انتزع مفهوم العلية من الترابط والتعاقب الملحوظ بين حوادث الطبيعة . وحينئذ فبدل أن يؤمن الإنسان بسذاجة - بقوى غيبية وراء الأشياء ، بدأ يدرك أن حوادث الطبيعة مربوطة بعضها ببعض ، وخاضعة لمبدأ العلية ، ولا بد من علة لكل ما يحدث في هذا الكون .

وطبعاً إن مبدأ العلية هذا استخدم للوصول إلى الله بوصفه العلة الأولى ، في الوقت الذي لم يستخدمه آخرون ، ولم يصلوا منه إلى علة أولى .

- أما في المرحلة الثالثة : فقد غى الإنسان تفكيره الفلسفي القديم حول مبدأ العلية ، فحوادث الطبيعة مترابطة فيما بينها لا على أساس العلية ، وإنما على أساس قانون الطبيعة نفسه ، ومهما حاولت أن تفحص الحدث الأول والثاني المترابطين فإنك لا تجد علية ومعلولية ، كل ما تجد هو تعاقب وترابط ، ومعنى ذلك أن القانون الطبيعي

يقضي بترابط الأشياء ، د مع م ، وليس شيئاً آخر .

وعلى هذا ففي المرحلة الثالثة للبشرية تصبح قضية الإيمان بالله غير ذات معنى ، طالما أثبت العلم أنه لا توجد علية ، ولا ما يسمى بمبدأ العلية ، فإنهار بذلك الأساس الفلسفي لقضية الإيمان .

- مناقشة (أوجيست كونت)

نحن نعتقد بصحة التقسيم الذي ذهب إليه كونت من الناحية التاريخية ، إلا أننا نلاحظ على ذلك :

- أولاً : ان قضية الإيمان ليست مرتبطة بشكل كامل ب (مبدأ العلية) حتى إذا سقط مبدأ العلية سقطت قضية الإيمان .

هناك مجموعة ادلة أخرى تؤكد قضية الإيمان ، وهي غير مرتبطة بمبدأ العلية .

فإذا استطاعت البراهين العلمية فرضاً أن تثبت وهمية هذا المبدأ وعدم صحته فإنها لا تثبت بذلك وهمية وجود الله تعالى .

- ثانياً : ان البشرية في مراحلها الثلاث عاشت مبدأ العلية ، في المرحلة الأولى كان مبدأ العلية هو الحاكم في عقل الإنسان ، والموجه لطريقة تفكيره ، إلا أنه لم يكن

الإلحاد والفلسفة المادية

المادية في المفهوم الفلسفي الحديث تعني الفلسفة التي تلتزم بالقضايا الثلاث الآتية :

١ - أن هذا الكون له واقع موضوعي ، ووجود خارج ذواتنا وأفكارنا وتصوراتنا .

وفي هذا تفرق الفلسفة المادية عن الفلسفة المثالية ، بينما تتفق مع الفلسفة الإلهية .

٢ - إنه لا وجود لغير المادة ، فكل شيء خارج حدود المادة هو وهم من الأوهام ، واسطورة يجب الاقلاع عنها .

المادة هي كل الحقيقة ، وكل الوجود .

٣ - كما تلتزم المادية بأن الحس والتجربة هما المصدر الوحيد لكل معرفة صادقة فكل قضية لا تخضع للتجربة والحس ، ولا يمكن إثباتها على أساس مادي هي قضية كاذبة ، وليست معرفة بل هي جهل .

والمادية بهذا المعنى الذي شرحناه ليست جديدة في تاريخ الإنسان ، بل النزعة المادية المتطرفة لها جذور تاريخية ممتدة ، كل ما في الأمر لم يكن لتلك النزعة صياغة فلسفية محدّدة .

على شكل مفهوم فلسفي مدرسي ، وإنما على شكل إحساس وجداني بحاجة كل حادث إلى علة ، ومن هذا الإحساس الوجداني ، والشعور الباطني ، انطلق الإنسان لينسب كل الحوادث إلى قوى وراء الطبيعة .

ففي المرحلة الأولى اذن كان مبدأ العلمية موجوداً ومعتبراً به ، الا إنه لم يكن على شكل مبدأ ، وإنما على شكل إحساس وتعايش عملي مع هذا المبدأ ، واحتوائه والإيمان به باطنياً .

وفي المرحلة الثانية كان هذا المبدأ موجوداً على حد إعتراف (كونت) نفسه .

أما في المرحلة الثالثة فإنه لم يسقط ، وإنما سقط عند فئة من الفلاسفة .

وعلى ذلك فنحن إذا كنا نقبل مع كونت ان البشرية شهدت مرحلة ثالثة ، هي مرحلة الوضعية المنطقية ، فإنما نقصد ان البشرية في هذه المرحلة شهدت اتجاهاً فلسفياً ينكر مبدأ العلّة ويفسّر كل التعاقبات بين الحوادث الكونية على أساس انها قانون الطبيعة . وإذن فدخول البشرية في هذه المرحلة لا يعني أكثر من دخول بعض الناس في هذه الطريقة من التفكير ، وذاك أمر لا يرتبط بالتطور العلمي ولا هو وليده كما شرحنا .

الحقيقة أن الإلحاد يعود في أكثره إلى عوامل نفسية ،
أو ردود فعل لا ترتبط بشيء من البرهان الفلسفي والدليل
العلمي ، إلا أننا لا ننكر أن مجموعة من التصورات
النظرية حاول الإلحاد أن يتخذها كدلائل على موقفه
السلبى من قضية الله .

وإذن سنحاول - إن شاء الله - في البحوث الآتية أن
نعرف :

البحث الأول : الأدلة النظرية التي اعتمدها الإلحاد .

البحث الثاني : الدوافع الثانوية للإلحاد .

البحث الثالث : دوافع الإلحاد في الفهم القرآني .

أدلة الإلحاد

— اعتمد الإلحاد على عدة أدلة :

الأول : المذهب التجريبي

الثاني : المنطق الوضعي

الثالث : القلق الكوني

الدليل الأول : المذهب التجريبي

المذهب التجريبي في المعرفة كان أحد الدوافع نحو
الإلحاد ، وأحد المبررات الفلسفية له .

يحدث القرآن الكريم عن قوم موسى حين ﴿ سَأَلُوا
مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾^(١٠) .

كما يحدث عن أناس قالوا ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾^(١١) .

وهكذا فالنزعة المادية المتطرفة وجدت في كل مراحل
الأنبياء .

وفي التاريخ الإسلامي كانت هذه النزعة متمثلة في
الزنادقة والدهريين الذين حدث القرآن عن مقاتلهم :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا
الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾^(١٢) .

والفلسفة المادية في العصر الحديث استطاعت أن تبلور
تلك الأفكار ، بصياغات فلسفية ، محاولة البرهنة عليها
بالأداة الفلسفية مرة ، والعلمية مرة أخرى .

ومهما يكن فإن الفلسفة المادية هي اليوم فلسفة
الإلحاد ، أو بالأحرى هي الإلحاد بصياغات فلسفية .

والى هنا نكون قد اعطينا لمحة تاريخية عن الإلحاد .

والآن هل يملك الإلحاد مبررات علمية ومنطقية ؟

لقد قلنا : إن الإلحاد مسؤول عن اقامة الدليل ،
ومطالب به ، فما هي تلك الأدلة التي اعتمدها الملاحدة
الماديون ؟

التجريبي ، هل هي قضية بديهية ، ومن القضايا الأولية الثابتة لدى العقل قبل التجربة والبرهان ، أو أنها قضية ثابتة بالتجربة نفسها .

إذا كانت قضية عقلية بديهية سقط المذهب التجريبي من أساسه ، وسقطت هذه القضية بالذات ، اذ معنى ذلك وجود مصدر آخر للمعرفة هو العقل ، وإذا لم تكن قضية عقلية بديهية فهل هي ثابتة بالتجربة ؟

طبعاً لا ! لان التجربة لا تستطيع أن تثبت انه لا يوجد مصدر آخر للمعرفة غيرها ، نعم هي تستطيع أن تثبت انها مصدر للمعرفة ! اما أنها هي المصدر الوحيد ، وانه لا توجد معرفة غير خاضعة لها فذاك ما لا تثبته .

وخلاصة هذه المناقشة ان قضية (التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة) تكذب نفسها دائماً ، لأنها إن كانت قضية عقلية كذبت نفسها ، إذ معناه انه توجد قضايا عقلية غير مأخوذة من التجربة ، بينما القضية نفسها تقول انه لا توجد معرفة غير مستمدة من التجربة ، لأنها هي المصدر الوحيد .

وإن لم تكن قضية عقلية ، وكان لا بدّ من إثباتها بالتجربة ، فواضح ان التجربة لا تثبتها ، إذن فيجب ان تكون كاذبة طالما ان المصدر الوحيد للمعرفة الصحيحة هي التجربة .

خلاصة المذهب التجريبي في المعرفة ان التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة وان كل معارفنا البشرية يجب ان تخضع لهذا المقياس ، ولا يمكن ان نكون معرفة ما اذا لم تكن التجربة هي الدليل عليها ، والشاهدة بصدقها .

وعلى هذا الأساس تكون قضية (الاله الخالق) خرافة ، ما دام لا يمكن إخضاع هذه القضية للتجربة ، فالتجربة تقف عند حدود ما هو مادي ومحسوس .

هذه خلاصة عن المذهب التجريبي .

في المقابل يوجد مذهب آخر في نظرية المعرفة ومصادرها ، وهو المذهب العقلي . القائل بان المعارف لها مصدران الأول هو التجربة والاحساس ، والثاني هو العقل وقضاياها الثابتة بديهياً دونما حاجة إلى تجربة .

والآن . . . ما هو مدى صحة المذهب التجريبي ؟

ثم هل يمكن الاعتماد عليه في نفي وجود الخالق .

الصحيح ان المذهب التجريبي فاشل اولاً ، ولا يمكن الاستدلال على نفي الخالق ثانياً .

- مناقشة المذهب التجريبي

١ - اننا نتساءل عن قضية (التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة) ، هذه القضية التي يلتزم بها المذهب

٢ - ليس من شك ان هناك قضايا عقلية صحيحة ثابتة قبل التجربة ، ونحن بين خيار من خيارين ، فإما أن نقبل صحة تلك القضايا ، ومعناه ان هناك مصدراً آخر للمعرفة ، وإما ان لا نقبلها وحينئذ نغلق على أنفسنا أبواب كل معرفة أخرى ، وتسقط كل العلوم الطبيعية ، ولا تعد أكثر من احتمالات غير ثابتة الصحة على الإطلاق .

توضيح ذلك :

إن العقل يصدّق ويؤمن بمجموعة قضايا ليست مستمدة من التجربة ، ونحن نرى أنها غير قابلة للشك ، وتلك هي ما نسمّيها بالمبادئ العقلية ، من أمثلة هذه المبادئ :

مبدأ عدم التناقض : الذي يعني أن الشيء يستحيل أن يجتمع مع نقيضه ، فيستحيل أن يكون الشيء موجوداً وغير موجود ، صحيحاً وغير صحيح ، حياً وغير حيّ ، مريضاً وليس مريضاً ، جائعاً وغير جائع ، كل ذلك في وقت واحد ، ومكان واحد ، ومن جهة واحدة .

إن التناقض الذي يعني اجتماع السلب والإيجاب ، النفي والإثبات ، مستحيل بالبداهة العقلية .

فإذا كنت تعتقد ان هذا الكتاب موجود بين يديك فإنك ستكذب حتماً من يقول لك انه غير موجود ، لماذا ؟ لأنه

لا يمكن أن يكون الكتاب موجوداً وغير موجود في وقت واحد ، وما زلت ترى انه موجود ، فالقول بأنه غير موجود خطأ حتماً .

وإذا كنت تعتقد بأن ما تقرأه فعلاً صحيح ، فإنك سوف لا تقبل القول بأنه غير صحيح ، لماذا ؟

لأن الرأي - كل رأي - إما أن يكون صحيحاً أو خطأ ، ولا يمكن أن يكون صحيحاً وغير صحيح في وقت واحد ، وما زلت تعتقد بأنه صحيح فلا يمكن إذن ان يكون غير صحيح في ذات الوقت .

إن مبدأ استحالة التناقض مبدأ عقلي بديهي ، في الوقت الذي لا نستطيع أن نثبتته بالتجربة الخارجية .

وهكذا مبدأ الكل اكبر من الجزء : ومبدأ الواحد نصف الاثنين ، ومبدأ أن الشيء هو نفسه ، أو بالإصطلاح مبدأ (الهوية) ، ومبدأ أن الأشياء المتماثلة ذات أحكام متماثلة ، أو بالإصطلاح مبدأ (التماثل) ، وهكذا أيضاً مبدأ العليّة على حديث مفصل سنعرض له فيما بعد ان شاء الله تعالى .

إن هذه المبادئ العقلية هي الركيزة الأولى لكل معرفة بشرية ، وحتى التجربة نفسها لا تستطيع أن تعطينا معارف حقّة من دون الاستعانة بهذه المبادئ العقلية .

مثلاً : إذا كنا لا نقبل مبدأ عدم التناقض ، فليس من حقنا إذن الإصرار على رأي واحد مهما قدّمت لنا الخبرة والتجربة أو البحوث النظرية دلائل على صدقه ، إذ بالإمكان أن يكون ذاك الرأي صحيحاً وغير صحيح في وقت واحد ، بل ربما كانت حقيقة الشيء في نفسها متناقضة ما دام التناقض ممكناً .

فرفض مبدأ عدم التناقض يعني رفض كل الحقائق العقلية والعلمية وحتى الحقائق الحسيّة المسلّمة عندنا ، وهذا نفس لمعرفة الإنسان من أساسها ، ولكل العلوم الطبيعية المعتمدة على التجربة بالذات .

وهكذا أيضاً إذا كنا لا نقبل مبدأ التماثل ، فإنه ستسقط كل معارفنا القائمة على أساس التجربة ، وستفلس التجربة من كونها مصدراً للمعرفة الصحيحة .

ذلك أن التجربة ، والاستقراء ، لا تتناول كل المفردات والجزئيات ، وإنما تتناول بعضها ثم تصدر حكماً عاماً يشمل كل الجزئيات الأخرى اعتماداً على ان التماثل فيها ووحدة الحقيقة يعني وحدة أحكامها وخصائصها . فالتجربة حين أثبتت ان الحديد يتمدد بالحرارة ، أو أن الماء يتركب من عنصر الهيدروجين ، وعنصر الأوكسجين ، لم تكن قد شملت كل قطعات الحديد ، ولا كل ذرات الماء ، وإنما تناولت قطعات متعددة ، وذرات من

الماء ، ثم حكمت على الباقي بنفس الحكم اعتماداً على مبدأ التماثل .

إذا رفضنا هذا المبدأ فسوف نفقد كل معارفنا العلمية القائمة على أساس التجربة ، وسوف لن يكون من حقنا قبول أي تعميم في الحكم .

٣ - كما أن المذهب الحسي والتجريبي اذا رفض التسليم بأي قضية عقلية أولية فإنه يضطر حينئذ إلى إنكار الواقع الموضوعي ، أي إنكار الكون الذي نعيش فيه جملة وتفصيلاً ، لأننا لا نملك سوى الحس ، والحس إنما يعرفنا على الأشياء كما نحسّها ونراها لا كما هي ، فحين نحس بشيء يمكننا ان نؤكد وجوده في احساسنا ، وأما وجوده خارج نطاق وعينا وبصورة مستقلة وموضوعية ومسبقة على الإحساس فلا سبيل إلى إثباته ، فحينما ترى القمر في السماء تستطيع أن تؤكد فقط رؤيتك للقمر واحساسك به في هذه اللحظة ، وأما هل ان القمر موجود في السماء حقاً ؟ وهل كان له وجود قبل ان تفتح عينك وتراه ؟ فهذا ما وجد أصحاب تلك النزعات أنفسهم غير قادرين على تأكيده وإتباعه ، تماماً كالأحول الذي يرى اشياء لا وجود لها ، فهو يؤكد رؤيته لتلك الأشياء ، ولكنه لا يؤكد وجود تلك الأشياء في الواقع ^(١٣) .

٤ - ولنفترض جدلاً أننا قبلنا المذهب التجريبي في

تَصْعَدِ السَّمَاءَ وَلَمْ تَجْزِ هُنَاكَ فَتَعْرِفَ مَا خَلَقَهُنَّ وَأَنْتَ جَاوِدٌ بِمَا فِيهِنَّ وَهَلْ يَجْحَدُ الْعَاقِلُ مَا لَا يَعْرِفُ ، قَالَ الرَّنْدِيقُ مَا كَلَّمَنِي بِهِذَا أَحَدٌ غَيْرُكَ . . . » (١٤) .

هـ - ثم لماذا لا تشهد التجربة بوجود الإله ! ؟

يجب أن نعرف أولاً كيف نتوصل من خلال التجربة إلى معرفة ما ؟ ثم نرى أن هذا الأسلوب بالذات يمكن أن يفيدنا في قضية الله أولاً ؟ هل تحصل معارفنا من الأحساس والتجربة مباشرة . دون المرور بخطوة أخرى ؟ العلماء يجيبون على ذلك :

إننا من أجل تحصيل معرفة تجريبية لا بد أن نمارس خطوتين ، الخطوة الحسية ، والخطوة العقلية . أو التطبيق والنظرية كما اصطلحت عليه الماركسية ، أو مرحلة التجربة ومرحلة المفهوم والاستنتاج .

فنقطة الإنطلاق للمعرفة هي الحس والتجربة ، والدرجة العالية لها هي تكوين مفهوم علمي ونظرية تعكس الواقع التجريبي بعمق ودقة (١٥) .

وحتى الماركسية التي تؤمن بالمذهب التجريبي في نظرية المعرفة آمنت بهذا الرأي .

قال (ماوتسي تونغ) :

« الخطوة الأولى في عملية إكتساب المعرفة هي

المعرفة ، فهل يوصلنا هذا المذهب إلى الإلحاد ، وهل يمكن اعتماداً على هذا المذهب البرهنة على عدم وجود الخالق ؟

فإذا كانت التجربة لم تثبت وجود الله فهل أثبتت عدمه ؟

الجواب - طبعاً - لا ، لأن الترجبة طالما كانت محدودة لم تشمل حدود هذا الكون كله ، بل ولم تشمل كل السبل والأساليب المتجددة يوماً بعد يوم ، فهي إذن غير قادرة على أن تشهد بعدم وجود إله لهذا الكون . بل إذا كان وجود الله تعالى - حسب التصور الإلهي - غير خاضع للتجربة اصلاً ، فهي إذن عاجزة تماماً عن إثبات وجوده ، كما هي عاجزة عن إثبات عدمه .

وبهذا الصدد نتذكر حواراً جرى بين الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وبين أحد الزنادقة ، قال له الإمام الصادق (عليه السلام) : « أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَرْضِ تَحْتاً وَفَوْقاً ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَدَخَلْتَ تَحْتَهَا ، قَالَ : لَا ، قَالَ فَمَا يُدْرِيكَ مَا تَحْتَهَا ، قَالَ : لَا أَذْرِي إِلَّا أَنِّي أَظُنُّ أَنَّ لِبَيْتِهَا شَيْءٌ ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) : فَالْظُّنُّ عَجْزٌ لِمَا لَا تَسْتَيْقِنُ ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَفَصَعِدْتَ السَّمَاءَ ، قَالَ : لَا ، قَالَ أَفَتَدْرِي مَا فِيهَا ، قَالَ : لَا ، قَالَ : عَجَباً لَكَ لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ وَلَمْ تَبْلُغِ الْمَغْرِبَ وَلَمْ تَنْزِلِ الْأَرْضَ وَلَمْ

ان كل معارفنا التجريبية هي عبارة عن تفسيرات علمية لمجموعة ظواهر كونية نربط بينها ثم نعطيها تفسيراً واحداً .

يقول ماندير :

« القول بأننا عرفنا الحقيقة يعني اننا عرفنا معناها ، وبعبارة أخرى : اننا بحثنا عن وجود شيء ، وعن احواله ، ففسرناه ، واكثر عقائدنا تدخل في هذا النطاق ، فهي في الحقيقة (تفسيرات للملاحظة) »^(١٨) .

هذه قضية متفق عليها حتى في الفلسفة الماركسية .

إذن ففي كل استدلال تجريبي لا بدّ من خطوة عقلية استنباطية هي مرحلة التفسير والاستنتاج .

أما متى يكون هذا التفسير صحيحاً ومتى لا يكون ؟

ذلك هو الشيء المهم في عالم التجربة ، فقد توصلنا بعض التجارب إلى نتائج مغلوطة ، فمن أجل أن نصل إلى نتيجة صحيحة من خلال التجربة لا بدّ أن تتوفر ثلاثة شروط هي التي ذكرها (ماندير) .

« ١ - هذه النظرية توافق جميع الحقائق المعروفة .

٢ - في هذه النظرية تفسير لكثير من الوقائع ، لا يمكن فهمها إلا من طريقها .

الإتصال الأولي ، بالمحيط الخارجي - مرحلة الأحاسيس - الخطوة الثانية هي جمع المعلومات التي نحصل عليها من الادراكات الحسيّة وتنسيقها وترتيبها - مرحلة المفاهيم والأحكام والاستنتاجات^(١٦) » .

يشرح لنا البروفسور ا . ي . ماندير هذه الحقيقة بالمثل الآتي :

« إننا نرى الطير عندما يموت يقع على الأرض ونعرف أن رفع الحجر على الظهر أصعب ، ويتطلب جهداً . ونلاحظ أن القمر يدور في الفلك ، ونعلم أن الصعود في الجبل أشق من النزول منه ، ونلاحظ حقائق كثيرة كل يوم لا علاقة لاحداها بالأخرى ظاهراً . ثم نتعرف على حقيقة إستنباطية ، هي قانون الجاذبية ، وهنا ترتبط جميع هذه الحقائق ، فنعرف للمرة الأولى أنها كلها مرتبطة إحداها بالأخرى إرتباطاً كاملاً داخل النظام ، وكذلك الحال لو طالعنا الحقائق المحسوسة مجردة ، فلن نجد بينها أي ترتيب فهي متفرقة وغير مترابطة ، ولكن حين نربط الوقائع المحسوسة بالحقائق الإستنباطية نستخرج صورة منظمة للحقائق^(١٧) » .

إنه لا يوجد اليوم أي كشف علمي يعتمد على التجربة مباشرة ، وبدون أن يُدخل عملية الإستنباط والإستنتاج ، والتي هي عملية عقلية بالطبع - في الحساب .

٣ - ولم تظهر بعد نظرية تناسب وتوافق الحقائق بهذه الدقة ^(١٩) .

والآن نتساءل :

لماذا لا يمكن استخدام التجربة والاستقراء في مجال الإستدلال على وجود الله ؟ ما دامت التجربة تعني أولاً تجميع الظواهر والملاحظات ، وثانياً تفسيرها في ضوء نظرية موحدة .

في مجال الإستدلال على وجود الله يمكن ان مارس هاتين الخطوتين معاً .

الأولى : تجميع ظواهر كونية عديدة .

الثانية : محاولة تفسير تلك الظواهر ، وهنا لا نجد تفسيراً غير وجود قوة عاقلة مدبرة يخضع لها نظام هذا الكون ، كما سندرس ذلك في فصل آخر من الكتاب ان شاء الله تعالى .

فالنتيجة إذن ان المذهب التجريبي غير صحيح في نفسه ، في الوقت الذي لا يمكن الإعتماد عليه لانكار وجود الخالق .

- حقائق عن المذهب العقلي

بقي أن نوضح بعض الحقائق عن المذهب العقلي :

إذا كنا في المذهب العقلي نؤمن بالعقل كمصدر للمعرفة ، فإن ذلك لا يعني أن التجربة قد فقدت قيمتها وضرورتها كمصدر مهم للمعرفة أيضاً ، فالتجربة هي مصدر لأكثر معارفنا ومعلوماتنا ، وبدونها لا يمكن التقدم خطوة إلى امام في مجال اكتشاف حقائق الكون ، إلا أنها في ذات الوقت لا بد أن تعتمد على ركيزة عقلية أولية .

هذه خلاصة ما يؤمن به المذهب العقلي .

فليس المذهب العقلي طرحاً للتجربة ، وللمعارف التجريبية ، وليس هو محاولة لفهم العالم كله من نافذة التأمل التجريدي البحت ، بعيداً عن الممارسة والتطبيق ، والتجربة .

بقي تساؤل آخر حول المذهب العقلي يتلخص فيما يلي :

إذا كانت القضايا العقلية أولية وذاتية ، وكان التصديق بها غير محتاج إلى تحصيل وإكتساب ، كما هو غير محتاج إلى دليل وبرهان ، فلماذا لم توجد في الذهن منذ ولادة الإنسان ؟

لماذا تحصل في مراحل متأخرة من حياة الإنسان ؟

إن الطفل الصغير لا يفهم شيئاً عن مبدأ عدم التناقض ، أو العلية ، أو سائر المبادئ الاخرى ، وإنما

يعرفها ويصدق بها في مرحلة تالية من حياته ، وبعد أن يقطع شوطاً من عمره ، فإذا كانت هذه المبادئ نابعة من صميم النفس والعقل فكيف تأخرت ولادتها ونشأتها عن نشأة الإنسان ؟ وبماذا يفسر ذلك ؟

المفكر الكبير ، والشهيد العظيم ، السيد الصدر ، أعطى الإجابة على هذا التساؤل . ننقل هنا نص ما كتبه في ذلك :

الواقع ان العقليين حين يقررون ان تلك المبادئ ضرورية في العقل البشري يعنون بذلك ان الذهن اذا تصور المعاني التي تربط بينها تلك المبادئ فهو يستنبط المبدأ الأول دون حاجة إلى سبب خارجي . ولنأخذ مبدأ عدم التناقض مثلاً :

إن هذا المبدأ - الذي يعني الحكم التصديقي بأن وجود الشيء وعدمه لا يجتمعان - ليس موجوداً عند الإنسان في لحظة وجوده الأولى ، لأنه يتوقف على تصور الوجود ، وتصور العدم ، وتصور الإجتماع ، وبدون تصور هذه الأمور لا يمكن التصديق بأن الوجود والعدم لا يجتمعان ، فإن تصديق الإنسان بشيء لم يتصوره أمر غير معقول ، وقد عرفنا عند محاولة تحليل التصورات الذهنية أنها ترجع جميعاً إلى الحس وتنبثق عنه بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، فيجب أن يكتسب الإنسان مجموعة التصورات

التي يتوقف عليها مبدأ عدم التناقض عن طريق الحس ليتاح له أن يحكم بهذا المبدأ ويصدق به ، فتأخر ظهور هذا المبدأ في الذهن البشري لا يعني أنه ليس ضرورياً ، وليس منبثقاً عن صميم النفس الإنسانية ، بلا حاجة إلى سبب خارجي ، بل هو ضروري ونابع عن النفس بصورة مستقلة عن التجربة ، ولكن التصورات الخاصة شرائط وجوده ، وصدوره عن النفس .

وإذا شئت فقس النفس والمبادئ الأولية بالنار وإحراقها ، فكما أن إحراق النار فعالية ذاتية للنار ، ومع ذلك لا توجد هذه الفعالية الا في ظل شروط ، أي في ظروف ملاقة النار لجسم يابس ، كذلك الاحكام الأولية فإنها فعاليات ضرورية وذاتية للنفس في الظروف التي تكتمل عندها التصورات اللازمة ^(٢٠) .

الدليل الثاني : المنطق الوضعي

(المنطق الوضعي) هو أحد المبررات الفلسفية للإلحاد ، كما كان المذهب التجريبي .

والمنطق الوضعي هو خطوة فكرية أكثر تطرفاً من المذهب التجريبي ، وقد استخدم هذا المنطق في رد قضية الإيمان بالله ، وكان أحد الدوافع النظرية نحو الإلحاد .

ماذا يقول المنطق الوضعي ؟

يلتزم المنطق الوضعي بأن كل قضية لا يمكن إثباتها بالتجربة ، ولا يفرق صورة الواقع الخارجي بين حال صدقها ، وحال كذبها هي قضية غير ذات معنى ، أو هي ليست قضية بالإصطلاح المنطقي للقضية .

حين تقول (هذا الكتاب كتاب عقائدي) فإن هذه القضية يمكنك التحقق منها ، والتأكد من صدقها أو كذبها من خلال المشاهدة لمواضيع الكتاب ، كما أنها قضية تتأثر صورة الواقع الخارجي للكتاب بين حال صدقها أو كذبها ، فإذا كانت صادقة كان معناه انك ستجد في هذا الكتاب مواضيع عقائدية ، وإن كانت كاذبة كان معناه أن الكتاب يبحث في مواضيع غير عقائدية .

وهكذا حين تقول (ان المطر ينزل في الشتاء) ، فإنها قضية يمكن إخضاعها للإحساس والتجربة ، ويفرق الواقع الخارجي بين حال صدقها وحال كذبها . إن هذه وامثالها تعتبر منطقياً قضايا ذات معنى .

أما القضية التي لا تخضع للإحساس والتجربة ، وليس بموازاتها واقع عملي يتغير في حال صدقها عن حال كذبها ، بحيث يمكن التحقق - في ضوء ذلك - من القضية ، أي ان القضية لا اثر خارجياً لها قابلاً للإحساس ، فهي قضية بدون معنى ، أو بالأحرى هي

ليست قضية بالمعنى المصطلح عليه للقضية .

فحين تقول مثلاً : (هناك عليّة طبيعية بين الأشياء) فإنك لا تستطيع أن تثبت هذه القضية بالحس والتجربة ، لأن الواقع الخارجي للأشياء هو واحد سواء كانت هذه القضية صادقة أو كاذبة ، ان الواقع الخارجي للأشياء لا يتأثر بين ان تكون هناك عليّة ، أو لا تكون هناك عليّة وإنما مجرد تتابع بين الحدث الأول والحدث الثاني .

من ناحية عملية ، وفي الواقع الخارجي ، لا فرق بين أن تقول : « أكل الطعام علة للشبع » ، أو تقول : « أكل الطعام حدث يعقبه الشبع » ، دونما عليّة ، وإنما هو مجرد تعاقب ، فإنّ الواقع الخارجي واحد على كلا التقديرين .

إذن فقولك (هناك عليّة طبيعية بين الأشياء) هو قول فارغ من المعنى ، وهو ليس قضية أصلاً ، وهو كما لو قلت (يوجد في الصندوق سراع) فهي جملة غير مفهومة ، ولا معنى لها ، لأن كلمة (سراع) لا معنى لها ، وهي كلمة مهملة بالإصطلاح .

هذه خلاصة ما يؤمن به المنطق الوضعي .

وأنت تجد أن المنطق الوضعي أكثر تطرفاً ، ونزوعاً نحو المادية من المذهب التجريبي ، فبينما كان المذهب التجريبي يقول إن قضية (هناك عليّة طبيعية بين

المنطقية للإستقراء^(٢١) ، كما سبق له في كتاب (فلسفتنا) ان ناقش هذا المنطق ، ونحن نحيل القارئ لمزيد الاطلاع على هذين الكتابين ، أما هنا فنوجز بعض المناقشات :

- أولاً : سبق في مناقشة المذهب التجريبي ان التجربة ليست هي المصدر الوحيد للمعرفة ، وعلى هذا الأساس فمن أجل أن تكون القضية صحيحة لا يشترط خضوعها للتجربة ، وإمكانية التحقق من صدقها أو كذبها بالتجربة .

إن بالإمكان استخدام العقل للتعرف على صدق أو كذب بعض القضايا ، وحينئذٍ فلا مبرر لرفض قضايا الفلسفة الميتافيزيقية ، ورفض قضية الله بالذات ، باعتبارها قضايا خارجة عن نطاق التجربة .

- ثانياً : إن هناك قضايا ليست ذات معنى فحسب ، بل نعتقد عادة بصدقها ، ورغم ذلك ليس من الممكن إثبات صدقها أو كذبها بالخبرة الحسية ، كالقضية القائلة « ان خبرة الإنسان مهما امتدت فسوف تظل هناك اشياء في الطبيعة لا تصل إليها خبرة البشرية » أو « ان هناك أمطاراً قد وقعت ولم يرها إنسان » ، ان قضايا من هذا القبيل تعتبر عادة صحيحة وصادقة رغم ان إثبات صدقها وتحقيقها بالخبرة الحسية غير ممكن ، لأنها تتحدث عن

الأشياء) هي قضية غير صحيحة علمياً ، يقول المنطق الوضعي إنها غير ذات معنى أصلاً ، وهي كلام غير مفهوم ، ولا يمكن أن تسمى قضية حتى نقول صحيحة أو غير صحيحة .

وفي هذا الضوء يتناول المنطق الوضعي مسألة الإيمان بالله ، فيقول : إن قضية (الله موجود) لا معنى لها أصلاً ، وهي ليست قضية لنبحث هل هي صادقة أم لا ! ؟ لأنك لا تستطيع أن تثبتها بالتجربة ، إذ ان الواقع الخارجي لهذا الكون لا يتغير في فرض ما اذا كان هناك إله ام لا ، فهي قضية يستوي حال الوجود الخارجي بين فرض صدقها وفرض كذبها .

إذن ليست هي قضية كاذبة ، وإنما هي ليست قضية ، وكلام بدون معنى ، وعلى هذا الأساس أيضاً شن المنطق الوضعي حملة على الفلسفة الميتافيزيقية وكل موضوعاتها ، من حيث أنها فلسفة وهمية غير مفهومة ، ولا يمكن للتجربة أن تتناولها ، وإذن فهي غير قابلة للدراسة .

- مناقشات في المنطق الوضعي

وقد استعرض المفكر الكبير ، الشهيد الصدر ، رأي المنطق الوضعي تحليلاً ومناقشةً في كتابه (الاسس

اشياء لا تقع في الخبرة فلا يمكن إختبارها^(٢٢) .

إن المنطق الوضعي لا يسعه التكذيب بامثال هذه القضايا ، فهي صحيحة بالإتفاق ، في الوقت الذي لا يمكن التحقق من صدقها أو كذبها بالحس والتجربة .

- ثالثاً : ماذا يقصد المنطق الوضعي حينما يقول ان شرط كل قضية ان يمكن التحقق بالإحساس والتجربة من صدقها أو كذبها .

هل يقصد أن يكون مدلولها بالذات معطى حسيّاً خاضعاً للإحساس والتجربة ، كما في قولنا (البرد يشد في الشتاء ، والمطر يهطل في ذلك الفصل) ، أو يكتفي بأن يكون للقضية معطيات حسية ولو بصورة غير مباشرة . طبعي ان المنطق الوضعي لا يلتزم بالمعنى الأول ، وإلا كانت أكثر القضايا العلمية هي قضايا غير ذات معنى ، إذ في أكثرها لا يكون مدلولها خاضعاً للإحساس بشكل مباشر .

إن قانون الجاذبية مثلاً لا يعبر عن معطى حسي مباشر ، فنحن لا نرى الا سقوط التفاحة على الأرض ، اما الجاذبية بوصفها خاصة كامنة في الأرض فهذا ما لا يقع تحت الإحساس والتجربة .

أما إذا التزم المنطق الوضعي بضرورة خضوع محتوى

القضية للتجربة ولو بطريق غير مباشر فحينئذ يمكن القول ان قضايا الفلسفة الميتافيزيقية هي محققة لهذا الشرط ، فهي قضايا منطقية ومفهومة .

« خذ إليك مثلاً : القضية الفلسفية القائلة بوجود علة أولى للعالم ، فإن محتوى هذه القضية وان لم يكن له عطاء حسي مباشر غيران الفيلسوف يمكنه أن يصل اليه عن طريق المعطيات الحسية التي لا يمكن تفسيرها عقلياً الا عن طريق العلة الأولى » .

- رابعاً : وفي الختام هل يمكن للمنطق الوضعي أن يبرهن على عدم وجود الله ليكون حقاً احد دعائم الإلحاد ؟

إن كل ما يستطيع المنطق الوضعي أن يقوله هو : (إن قضية الله قضية غير ذات معنى وليست قضية من ناحية منطقية بل هي جملة مبهمه) .

ألا ان المنطق الوضعي لا يستطيع أن يثبت عدم وجود الإله ، طالما هو غير مستعد للدخول في بحث القضية أصلاً ، لاعتبارها قضية بدون معنى . إن المنطق الوضعي إذا اراد أن يثبت نفي الخالق ، فعليه أن يستخدم التجربة وحدها في عملية الاستدلال ، لأنه يؤمن بأن التجربة وحدها هي مصدر المعرفة ، ومن الواضح ان التجربة لا تشهد بعدم وجود الإله كما سبق أن شرحناه .

النظام في هذا الوجود ، فلماذا لا نندفع إلى التشكيك أو الإلحاد حينما نواجه أكثر من مظهر للفوضى وعدم النظام في هذا الوجود » . هكذا يقرر بعض العلماء .

وفي ضوء هذا التفكير تغيب عنهم الحقيقة ، فلا يرون الله في بديع هذا النظام ، ويطوون أنفسهم على شك قاتل ، أو إلحاد مظلم ، لأنهم وجدوا ما اعتبروه فوضى وعدم نظام .

حقاً إن كثيراً ممن يسيرون بهذه الطريقة من التفكير وقعوا تحت تأثير عواطفهم ، حينما وجدوا أن هذه الحياة مملوءة بالضجيج والصخب ، وحينما وجدوا أن طموحاتهم أكبر مما تحققه لهم هذه الأرض ، ولكن دعنا نسأل :

ما هي مظاهر الفوضى والإضطراب في هذا الوجود ؟

يقولون :

الإنسان التعيس على سطح هذه الأرض .

التناقض بين طموحاته ومدة عمره .

التناقض بين إمكانياته وبين ما تسمح به الطبيعة .

شقاؤه في هذه الحياة ، متاعبه ، مشاكله ، الأمراض والأوبئة التي تنغص عيشه .

غلبة الرذيلة على الفضيلة .

ولو استطاع المنطق الوضعي أن يستخدمها في ذلك لكان معناه أن قضية العلة الأولى هي قضية منطقية ذات معنى إذ يمكن التعرف بالتجربة على صدقها أو كذبها ، وبهذا يتناقض المنطق الوضعي مع نفسه .

- **خامساً :** على أننا نتساءل : ماذا يقصد المنطق الوضعي حين يقول إن القضية الميتافيزيقية لا معنى لها ؟ هل انها غير مفهومة أصلاً ؟ أم ماذا ؟

يجيب الأستاذ (آير) إمام الوضعية المنطقية الحديثة في انكلترا بأن كلمة معنى في رأي الوضعية تدل على المعنى الذي يمكن التثبت من صوابه أو خطئه في حدود الخبرة الحسيّة ، ونظراً الى ان القضية الفلسفية لا يمكن فيها ذلك فهي قضية بدون معنى ^(٢٣) .

وعلى ذلك فإن معنى قولهم (القضية الفلسفية لا معنى لها) هو (القضية الفلسفية لا يخضع مدلولها للتجربة) ، ولكن هذا المعنى ليس معطىً جديداً غير ما يقوله المذهب التجريبي الذي ناقشناه من قبل .

الدليل الثالث : شواهد القلق الكوني

« إذا كان في هذا الكون مظاهر النظام والتناسق والغائية ، فإن فيه أيضاً شواهد على الفوضى والإضطراب . وإذا كنا نندفع إلى الإيمان بخالق مدبر حينما نرى روعة

الفضيلة التي يطلبها لا تجتمع مع السعادة التي يرغب فيها أيضاً .

أين التدبير في حياة هذا الإنسان ؟
هذه جملة من مظاهر القلق في الكون .

-مناقشات حول القلق الكوني-

ولكن هل صحيح أن هذه فوضى ؟

هل صحيح أن الإنسان أسير هذه التناقضات ؟
هل صحيح أنه قد كتب على الإنسان أن يذوق التعاسة والمرارة في هذه الحياة ؟

هل صحيح أن السعادة تجري في إتجاه بينما الفضيلة في اتجاه آخر ؟

كثير من هذا صحيح حقاً ، لكن ما هو السبب ؟

من أين جاءت هذه الفوضى ؟

لماذا شقاء هذا الإنسان ؟

لماذا غلبة الشر على الخير ؟

لماذا يستعرق قلب الإنسان المأمرارة ؟

القرآن يجيب على ذلك بأن الإنسان هو السبب وليس غيره !

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (٢٤) .

الإنسان هو المسؤول عن تاريخه ، وهو الذي يحدد وحده سعادته أو شقائه ، وحينما لا يلتزم الإنسان طريق الله فإنه يكتب على نفسه الشقاء .

الجحود بالله هو الوادي المظلم الممتلئ بالتناقضات .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (٢٥) . البعد عن نور الحقيقة هو الذي يملأ قلب الإنسان عذاباً وتعاسةً . . .

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (٢٦) .

حينما كتب (رسل) أن الحيوانات تنال حظاً من السعادة اكثر مما يناله الإنسان ، كان على حق فيما كتب ، لكن ليس ذلك هو قدر الإنسان في هذه الحياة ، وإنما هو قدر الإنسان حينما يركب رأسه ، وحينما يعمي بصره وبصيرته الجحود .

حقاً يكون الإنسان تعيساً في هذه الحياة ، ويكون الحيوان أكثر منه رغداً ، وراحة حينما ينظر إلى وجوده بالطريقة التي نظر بها (رسل) حين قال :

« الإنسان وليد عوامل ليست بذات أهداف ، إن بدعه

ونشوءه ، وأمانيه ومخاوفه ، وحبه وعقائده ، كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضي إتفاقي في نظام الذرة ، والقبر ينهي حياة الإنسان ، ولا تستطيع أية قوة احياه مرة أخرى . إن هذه المجهودات الطويلة ، والتضحيات ، والأفكار الجميلة ، والبطولات العبقريّة كلها سوف تدفن إلى الأبد مع فناء النظام الشمسي ، ان الكفاح الإنساني كله سوف يدفن حتماً مع الأرض تحت أنقاض الكون » .

القرآن الكريم يؤكد أن مأساة هذا الإنسان هي نتيجة طبيعية لجحوده وبعده عن الله . ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢٧) .

ومن السذاجة والخطأ - حسب التصور الإسلامي - ان نتظر احداً يحدّد مصير الإنسان ، ومستقبله ، ويكتب حظه من الشقاء أو السعادة غير الإنسان نفسه .

بل إن عظمة الإنسان تتجلى في هذه الخصوصية بالذات ، خصوصية أنه هو صانع التاريخ ، وصانع القدر .

﴿ وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (٢٨) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٢٩) .

وهكذا في الفكر الديني لا يوجد في حياة هذا الإنسان

ما يسمى قلقاً وعدم نظام .

إذا كانت طموحات الإنسان أكبر من هذه الحياة ، فليس في ذلك أي تناقض ، إن وراء حياة يعيش فيها إلى الأبد .

وإذا كان في هذه الحياة متاعب ، وصعوبات ، فلأن هذه الحياة ليست أكثر من إمتحان ، إنها ليست حياة تتناسب مع سمو هذا الإنسان وطموحاته ، إن الحياة الجديرة بهذا الإنسان هي الحياة الآخرة ، أما هذه الأيام القصيرة فهي امتحان ، وهي تربية ، ولذا فإنها ليست نعيماً خالياً من الأشواك . ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٣٠) . إن النظرة الضيقة لهذا الإنسان هي التي تجعلنا أمام تناقضات ، اما في المنظار الديني فليس هناك أي تناقض ، لأن الإنسان أكبر من هذه الأرض ، وهذه الحياة ، فليس تناقضاً اذا لم يتحقق له ما يصبو إليه .

وإذا كانت هذه الحياة صراعاً بين الفضيلة والرديلة ، فذاك أمر تفرضه حرية هذا الإنسان ، التي هي ميزة عظمتة وقيمتة .

وحينما يستخدم الإنسان حريته في مجالها الأفضل فإنه لا يجني منها الا الخير العميم ، لكن لماذا يستخدمها في الطريق المعاكس ؟

لماذا يقتل الإنسان حريته ، ووعيه ، وفكره ، ثم يفضل عيشة البهائم ؟

لماذا نسي الإنسان انه انسان ؟

حينذاك طبيعي أن يقتل نفسه بسلاح الحرية الذي زود به .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (٣١) .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (٣٢) .

تبقى قضية الأمراض والأوبئة :

وتبقى قضية الكائنات عديمة الفائدة !

لماذا حدثت هذه ؟

وما هي الحكمة في خلقها ؟

لماذا لا ينعم الإنسان بالعافية المطلقة ؟

أليس هذه من مظاهر الفوضى ؟

في الحقيقة اننا لا نحتاج إلى الإجابة عن هذا السؤال ، إن علينا أن نجعل العلم والعلماء من مثل هذا التفكير !

متى عرف العلم كل الحقيقة ؟ أنه ما يزال على الشاطئ ، هكذا يقرر العلماء أنفسهم ، ولنا نحن .

وكما يقول (بول) :

« اننا نبصر اليوم الحقائق من وراء حجاب . وغداً عندما يكشف عنها الغطاء سوف نراها سافرة ، اننا لا نعلم اليوم الا قليلاً ، وغداً ينكشف لنا علم ما لم نكن نعلم » (٣٣) .

هل بلغنا أغراض الكون ، وأغراض الطبيعة ، لنحكم على ملايين من الكائنات أنها عديمة الفائدة ! ؟

ربما تكون عديمة الفائدة للانسان ، لكن لماذا تكون مصلحتنا هي المقياس في الحكمة والغاية من المخلوقات كلها ؟

اما لدى العلماء فتكاد تصبح حقيقة متفقاً عليها أنه لا يوجد في هذا الكون شيء بغير هدف ، وفي ذلك يقول الأستاذ (جوث) :

« إن الطبيعة لا تعرف الإسرافإنها دائماً صادقة وعظيمة ، إنها دائماً صائبة اما الخطأ فإنه لا يحدث الا من جانبنا ، إن الطبيعة تحارب العجز ، ولا تكشف أسرارها الا للقادرين المخلصين الاتقياء » (٣٤) .

أما الأستاذ (كريسي موريسون) فيضرب لنا مثلاً يؤكد

فيه وجود الحكمة في كل شيء ، يقول :

« منذ سنوات عديدة زرع نوع من الصبار في استراليا ، كسياج وقائي ، ولكن هذا الزرع مضى في سبيله حتى غطى ساحة تقرب من مساحة إنجلترا ، وزاحم اهالي المدن والقرى ، وأتلف مزارعهم ، وحال دون الزراعة ، ولم يجد الأهالي وسيلة لصدّه عن الانتشار ، وصارت استراليا في خطر من اكتساحها بجيش من الزرع صامت يتقدم في سبيله دون عائق .

وطاف علماء الحشرات بنواحي العالم حتى وجدوا أخيراً حشرة لا تعيش الا على ذلك الصبار ، ولا تتغذى بغيره ، وهي سريعة الانتشار ، وليس لها عدو يعوقها في إستراليا ، وما لبثت هذه الحشرة حتى تغلبت على الصبار ، ثم تراجعت ولم يبق منها سوى بقية قليلة للوقاية ، تكفي لصد الصبار عن الانتشار إلى الأبد »^(٣٥) .

ثم الأمراض والأوبئة أليست هي التي حقّزت الإنسان نحو البحث العلمي الجاد ؟

ومن ناحية ثانية ، أليست أكثر أمراض هذا الإنسان هي نتيجة إسرافه كما يقرر العلماء ، ومهما كانت كلمة (المعدة بيت الداء) قديمة لكنها في نظر العلماء هي كلمة صحيحة تماماً .

ماذا يبقى من مظاهر الفوضى في هذه الحياة ؟

قد يذكرون الزلازل والفيضانات .

وقد يذكرون المعتهوين ، وذوي الأمراض المزمنة .

لكن رغم كل الضحايا التي تقدمها البشرية في هذه العوارض ، هل يمكن أن نعتبرها شرّاً ، يدلل على عدم وجود المدبّر الحكيم ؟

هل فقد فيها جانب الخير تماماً ؟

لا نستطيع أن نقول ذلك

إن هذه العوارض مثلها مثل كل الحوادث في هذه الطبيعة خاضعة لقوانين .

إنها لا تحدث عفواً ولا سهواً .

الزلازل ، والعاصفة ، والفيضان ، كلها حسب قوانين تحكم هذه الطبيعة ، ولولا تلك القوانين لم تقم حياة على هذه الأرض .

إنها جميعاً قوانين خيرة ، وفي صالح البشرية ، حينما ننظرها بمنظار عام .

إن قانون (الحرارة تسري من الجسم الحار إلى الجسم البارد) هو قانون خيرٍ تماماً . ولولا هذا القانون لم نلبث لحظة على سطح هذه الأرض ، الا أنني قد احترق احياناً

بفعل هذا القانون ، وقد يلتهب منزلي ، أو أفقد عزيزاً لي
بفعل هذا القانون ، وهذا شرّ حتماً حينما أنظر اليه نظرة
جزئية ، لكن لماذا لا أتذكر ان القانون العميم بالخير هو
الذي جرّ الى هذا الحادث الإستثنائي .

وهكذا الولادة المشوّهة ، انها وليدة قوانين عامة تحكم
طريقة التناسل ، وهي قوانين في خير الإنسانية ، وبدونها لا
يمكن التعايش إطلاقاً .

وهكذا تعود النظرة العامة العميقة الى الأحداث كلها
باعتبارها خيراً في صالح الإنسانية ، وصدق الله العظيم إذ
يقول :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ (٣٦) .

وختاماً هل بقي للإلحاد دليل يستند اليه ؟

لقد كتب احد علماء الطبيعة تحت عنوان (إنكار وجود
الله لا يستند إلى دليل منطقي) :

إن احداً لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول
ان الله غير موجود ، وقد ينكر مفكر وجود الله ، ولكنه لا
يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل .

واحياناً يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ، ولا
بدّ في هذه الحالة ان يستند شكه الى أساس فكري ،
ولكنني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلاً عقلياً واحداً على

عدم وجوده تعالى .

وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة ، على
وجوده ، كما لمست بنفسي بعض ما يتركه الإيمان من
حلاوة في نفوس المؤمنين ، وما يخلقه الإلحاد من مرارة
في نفوس الملحدين (٣٧) .

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا
يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ (٣٨) .

الدوافع الثانوية نحو الإلحاد

تقدّم منا القول أن اموراً ثانوية وجانبية دفعت الى
الإلحاد ، غير مربوطة بالفكر ، ولا الحقائق العلمية ،
ونحاول هنا أن نتعرف على بعضها بإيجاز :

١- التعصب المادي والغرور العلمي

في البداية يجب أن نقرر أن لدى كل انسان نزوعاً
مادياً بحكم طبيعته المادية ، ففي الوقت الذي يملك
الإنسان تطلعات روحية معنوية ، يسمو بها ويرتفع فوق
المادة والماديات ، الا ان نزوعاً نحو المادة يبقى كامناً
لديه .

إن طبيعة الإنسان المزدوجة من مادة وروح تفرض

هذه الحقيقة .

وكشاهد على هذا النزوع المادي فإن قناعة الإنسان بما يراه ويحسّه أكبر من قناعته بما هو فوق الرؤية والإحساس ، هكذا في الغالب . ورغم أن هذا النزوع المادي لا يجعل الإنسان مادياً بالمعنى المصطلح إلا أنه قد ينمو ويتطرف إذا لم يجهد الإنسان في التحكم به وتصحيحه . إننا نلاحظ هذا النزوع حتى في إبراهيم عليه السلام حين رغب أن يرى الله ، فقال له الله ﴿ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ (٣٩) .

إلا أن هذا النزوع عند إبراهيم عليه السلام لم يجعله مادياً ملحداً ، وإنما هو مجرد رغبة ونزوع له حدوده التي يقف عندها ، فقد سأله الله ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ﴾ (٤٠) ، ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (٤١) .

وفي مقابل هذا النزوع المادي فإن للإنسان تسامياً روحياً ، يخلّق به في عالم المعاني ، والقيم ، والأفكار ، والأهداف العليا .

إن هذا التسامي الروحي يشترك فيه كل إنسان ، وهو من صميم الذات الإنسانية ، وقد يتصاعد الإنسان في هذا الجانب إلى درجة الوضوح المطلق ، حتى يقول : « **والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً** » كما قالها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

إن الإنسان محكوم لهذا التجاذب بين النزوع المادي ، والتسامي الروحي ، وبينهما تناسب عكسي تماماً ؛ فبمقدار ما يغرق الإنسان في المادة والماديات ويهبط إلى مستواها ، يتضاءل فيه السمو الروحي ، والعكس صحيح أيضاً .

في بداية النهضة الحديثة حينما بدأت التجربة تبهر عقل الإنسان ، وتثبت له جدارتها كوسيلة للتحقق من صحة معلوماته ومعارفه ، قفز لدى الإنسان مؤشر النزوع المادي ، وأصيب في ذات الوقت بالغرور العلمي .

لقد كشفت له التجربة زيف كثير من معلوماته السابقة ، وأثبتت له خطأه يوم كان غارقاً في التأمل العقلي لمعرفة اسرار الطبيعة ، وطبائع الأحياء ، وكل شيء بعيداً عن التجربة والتطبيق ، والملاحظة الخارجية . حينئذ أُصيب الإنسان بردة فعل عنيفة ، صاحبها غرور علمي قاتل . كما صاحبها توتر في النزوع المادي .

لماذا يعتمد على العقل والعقليات إذن ؟ وها هي التجربة تعطيه بالأرقام اشتباهاته حينما مارس ذاك الإسلوب .

ولماذا يضطر إلى حلول عقلية وفلسفية ، وها هو العلم يكشف له كل شيء ؟

حياته ، بل حياة كثير من البشر ، لقد كان يتطلع الى إبنته الصغيره ثم التفت دون شعور الى شكل أذنيها ، وذكر بينه وبين نفسه أنه من المحال أن تكون تلك التلايف الدقيقة التي تشتمل عليها الأذن قد نشأت عن طريق المصادفة ، إنها لا يمكن أن تكون قد نشأت الا عن خبرة بالغة وتصميم وتدريب .

ولكنه أبعد هذه الفكرة عن عقله المارق عن الدين فقد خشي أن يؤدي به هذا النوع من التفكير الى النتيجة المنطقية ، وهي أن التصميم يحتاج إلى مصمم ومبدع أو إله ، إنه لم يكن مستعداً حتى ذلك الوقت لقبول هذه الفكرة^(٤٣) إن هذا مثلٌ للتعصب المادي الذي يغلق على الإنسان طريق التفكير الحرّ .

أما الغرور العلمي فإن الأستاذ (بول كلارنس ابر سولد) يحدثنا عن نفسه فيقول :

« ولقد كنت عند بدء دراستي للعلوم شديد الإعجاب بالتفكير الإنساني ، وبقوة الأساليب العلمية إلى درجة جعلتني أثق كل الثقة بقدرة العلوم على حل أية مشكلة في هذا الكون ، بل على معرفة نشأة الحياة والعقل وإدراك معنى كل شيء » .

هذا الغرور مرض يصاب به كثير من المبتدئين ، إلا أن المضي في طريق العلم تكشف للإنسان الحديث رغم كل

وما هو المبرر لأن يؤمن بمقولات وراء الطبيعة ، طالما فقد الثقة بصحتها ، والتجربة العزيزة لا تدعمها ؟

وحينما تصاعد عند الإنسان نزوعه المادي ، تلاشى عنده الحسّ اللامادي الى درجة العمى .

لقد كتب (سير جيمس جينز) في كتابه الشهير (عالم الأسرار) ، كلمة نقلناه قبلاً « ان في عقولنا الجديدة تعصباً يرجح التفسير المادي للحقائق »

إن هذا التعصب الأعمى هو الذي دعا (سير آرثر) لأن يقول :

« ان نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً ، ولا سبيل الى اثباتها بالبرهان ، ونحن لا نؤمن بها الا لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق الخاص المباشر^(٤٢) ، وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه » .

إن الإيمان بما وراء الطبيعة أصبح قضية لا يمكن التفكير فيها ، لماذا ؟

ليس هناك دليل ، ولا استحالة عقلية ، ولا امتناع علمي ، وإنما النزعة المادية المتطرفة ، والتعصب فيها تقطع على الإنسان طريق ذلك .

يروى لنا (ويتاكر تشيبرز) في كتابه (الدليل) حادثة بسيطة لعلها كانت السبب في تحويل مجرى

ما وصل اليه انه ما يزال مرافقاً ، وسوف يبقى إلى الأخير ،
هكذا يحدث أبر سولد :

« وعندما تزايد علمي ومعرفتي بالأشياء من الذرة إلى
الأجرام السماوية ، ومن الميكروب الدقيق إلى الإنسان ،
تبين ان هنالك كثيراً من الأشياء التي لم تستطع العلوم
حتى اليوم أن تجد لها تفسيراً أو تكشف عن أسرارها
النقاب ، وتستطيع العلوم ان تمضي مظفرة في طريقها
ملايين السنين ومع ذلك فسوف تبقى كثير من المشكلات
حول تفصيل الذرة والكون والعقل كما هي لا يصل
الإنسان إلى حل لها أو الإحاطة بأسرارها »^(٤٤) .

والخلاصة : التي نريد أن نثبتها ، ان الغرور العلمي ،
والتعصب المادي الذي أصيب به انسان النهضة الحديثة
كان أحد الدوافع النفسية نحو الإلحاد .

٢- إستغلال قضية الله

إن إستغلال أية قضية ، وحرفها عن حقيقتها ، يخلق
رد فعل معاكساً تجاه القضية نفسها .

حينما تُستغل قضية (الحرية) مثلاً كوسيلة
للاعتداء وهدر الحقوق ، والقيم ، والكرامات ، فإن ذلك
لا يخلق رد فعل تجاه هذا الإستغلال فقط ، بل قد يخلق
موجة من السخط على الحرية نفسها الذي ذاق الناس

المرارة بإسمها هكذا في قضية الله !

فقد حدث قبل النهضة الحديثة أن أُستغلت هذه
القضية من أكثر من فئة . فاستغلها أرباب الكنيسة في
تدعيم ولايتهم على رقاب الناس ، وفي امتصاص الأموال
والثروات ، وفي محاربة العلم والعلماء .

واستغلها الحكام والملوك في تثبيت عروشهم ، ومدّ
ظلمهم وغييهم ، وتخدير مشاعر الناس ، وتمييع ثورتهم .
كما استغلّها الإقطاعيون ، والنبلاء ، في استخدام
الناس ، وتسخيرهم واستعبادهم .

إن هذا الإستغلال المكثّف لا يمكن أن ينطلي الى
الأخير على الشعوب ، ولا يمكن أن تبقى قضية الله على
مكانها في صدور الناس . وبعيدة عن رد الفعل النفسي .

وبالفعل ففي مطلع النهضة الحديثة ، وحينما كُثّف ارباب
الكنيسة ، والبرجوازيون ، استغلالهم للقضية ، كانت بوادر ردة
الفعل على الأبواب .

ومضت ردة الفعل متأرجحة حتى بلغت ذراها في
المادية الديالكتيكية ، التي تبنتها المدرسة الشيوعية .

لقد قال لينين :

« إننا لا نؤمن بالإله ، ونحن نعرف كل المعرفة ان

نشير إلى أن العلامة الكبير ، الشهيد الشيخ مرتضى مطهري ، قد تناول هذا الموضوع في بحث مفصل بعنوان (الدوافع نحو المادية) يجدر بالقارىء الكريم مراجعته .

دوافع الإلحاد في الفهم القرآني

القرآن الكريم يؤكد أنَّ الإلحاد وليد دوافع نفسية وثانوية أكثر مما هو وليد اشتباهات نظرية علمية .

وفي مجموعة من الآيات الكريمة يعرض لنا القرآن عدداً من تلك الدوافع ، وطبعاً فإن هذا العرض القرآني للدوافع نوح الإلحاد لم يكن مقصوداً ، وإنما جاء إستطراداً .

ونود ان نستعرض مع القارىء بعض التلميحات القرآنية حول الموضوع .

أ- الإستكبار

(كل كفر هو إستكبار) هكذا في الفهم القرآني ، وفي آيات كثيرة جداً يقرن القرآن الكفر بالإستكبار ، والاستعلاء ، ويذكر الكافرين بوصفهم متكبرين ومستكبرين .

﴿ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَّا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾^(٤٧) .

ارباب الكنيسة والإقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله الا استغلالاً ، ومحافظة على مصالحهم . اننا نكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الإنسان والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبقية ، ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع ، وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال ، لصالح الاستعمار^(٤٥) والاقطاع » .

٣- العامل السياسي

لقد كتب (لنديرك) :

« يرجع إنكار وجود الله في بعض الأحيان إلى ما تتبعه بعض الجماعات ، أو المنظمات الإلحادية ، أو الدولة من سياسة معينة ترمي إلى شيوع الإلحاد ومحاربة الإيمان بالله بسبب تعارض هذه العقيدة مع صالح هذه الجماعات ومبادئها^(٤٦) » .

هذه هي الحقيقة .

لقد لعبت روسيا الشيوعية دوراً كبيراً في نشر الإلحاد ، وضرب الفكر الديني ، وكان لها أياد طويلة في التأثير على الحركة العلمية والفلسفية ، واستخدمت في ذلك صنوف الوسائل الممكنة .

هذه بعض الدوافع نحو الإلحاد ، وفي الختام نود أن

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٤٨) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾^(٤٩) .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٥٠) .

وحتى كفر إبليس فقد كان إستكباراً لا شيء غيره .

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥١) .

وحينما يتحدث القرآن عن فرعون الذي قال ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ فإنه يذكر الكبر والإستكبار كعامل دفعه إلى ذلك .

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٥٢) .

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾^(٥٣) .

والإستكبار حقيقة واحدة مهما اختلفت نماذجه واشكاله .

قد يكون إستكباراً عن عبادة الله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٥٤) . وقد يكون إستكباراً عن الإيمان بالرسول ، والإنقياد حسب توجيهاته ، والخضوع لقيادته :

﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾^(٥٥) .

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٥٦) .

وقد يكون إستكباراً عن الخضوع للحقيقة ، والتنازل امام البرهان ، ﴿وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾^(٥٧) .

كل هذه نماذج تجمعها حقيقة واحدة .

ب — تأثير الأهواء والمصالح

ويقرر القرآن الكريم ان من عوامل الكفر والجحود ، إتباع الأهواء والمصالح ، وإيثار هذه الحياة الدنيا .

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٥٨) .

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٥٩) .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾^(٦٠) .

ج — الأساس المادي في التعامل مع الله تعالى

كتب (اندروكوتواي إيفي) :

« معظم الملحدين والمارقين في الأديان ينظرون إلى الله كما لو كان بشراً يمكن التعامل معه تعامل الأنداد فيقولون مثلاً سوف اعتقد بوجود الله اذا شفاني من مرضي ، أو اذا أنزل المطر ، أو إذا قضى حاجتي ، أو إذا

وقف الفيضان ، أو إذا محا الشر والظلم في الكون . . .
إلخ .

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ
الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا
مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٦٢) .

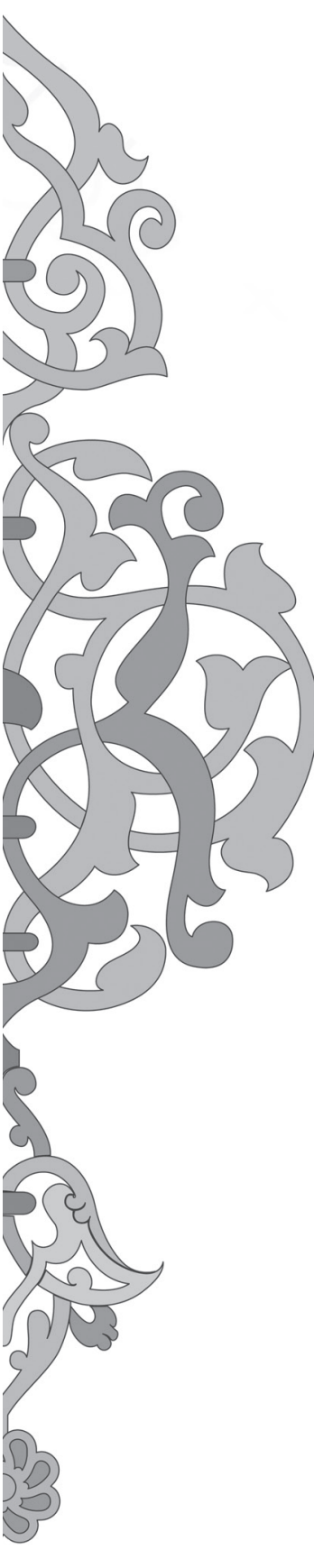
وقد يقول بعضهم : إذا كان هناك إله عادل ما أصابني
وجع في أسناني ، ومعنى ذلك بعبارة أخرى أنني أؤمن بالله
إذا بنى الكون أو عدله تبعاً لخطتي الخاصة التي تقوم على
الأنانية وتبعاً لصالح الشخص «^(٦١)» .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة في قوله

الهوامش :

- [١] الدين / د . عبدالله دراز / ٨٠ - ٨١ نقلاً عن مصادر أخرى .
- [٢] المصدر السابق ، ص ٨١ ، ٢١١ .
- [٣] سورة الأعراف : ١٧٢
- [٤] البقرة : ٣١ .
- [٥] مدخل جديد إلى الفلسفة ، الدكتور عبد الرحمن بدوي ، ٢١١ .
- [٦] النزاعات : ٢٤ .
- [٧] البقرة : ٢٥٨ .
- [٨] الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، ٢٥ .
- [٩] الله يتجلى في عصر العلم ، ٢٦ .
- [١٠] سورة النساء : ١٥٣ .
- [١١] سورة البقرة : ١١٨ .
- [١٢] سورة الجاثية : ٢٤ .
- [١٣] موجز في أصول الدين ، الشهيد الإمام الصدر ، ١٤ .
- [١٤] الكافي ، ج ١ ، ص ٧٢ ، الإحتجاج للعلامة الطبرسي ، الجزء ٢ ، ص ٧٣ - ٧٤ .
- [١٥] فلسفتنا : ٨٩ .
- [١٦] حول التطبيق ، ١٤ .
- [١٧] الإسلام يتحدى ، ٤٧ - ٤٨ .
- [١٨] الإسلام يتحدى ، ٥٠ .
- [١٩] المصدر السابق ، ٥٠ .
- [٢٠] فلسفتنا ، ٨٨ .
- [٢١] الأسس المنطقية ، ٤٩٢ - ٤٩٩ .
- [٢٢] والكتاب من الناحية الفلسفية يمثل أحدث نظرية في المعرفة الإنسانية ، وفي ضوء هذه النظرية يسجل وحدة الأساس المنطقي للعلوم الطبيعية وللإيمان بالله .
- [٢٣] الأسس المنطقية : ٤٩٦ .
- [٢٤] فلسفتنا ، ١٠٠ .
- [٢٥] سورة الروم : ٤١ .
- [٢٦] سورة البقرة : ٢٥٧ .
- [٢٧] سورة طه : ١٢٤ .

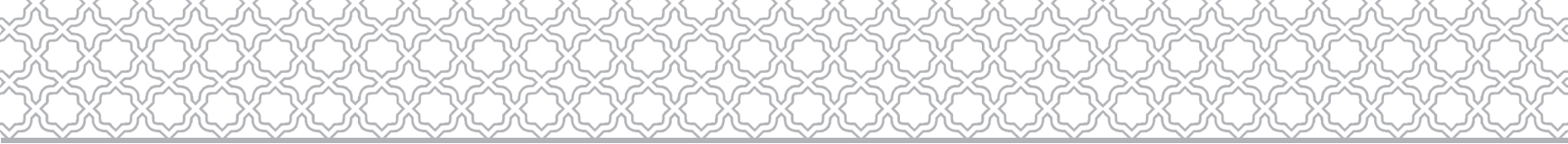
- [٢٨] سورة الأعراف : ٩٦ .
- [٢٩] سورة البقرة : ٢٥١ .
- [٣٠] سورة الرعد : ١١ .
- [٣١] سورة الملك : ٢ .
- [٣٢] سورة إبراهيم : ٢٨ .
- [٣٣] سورة هود : ١١٧ .
- [٣٤] الله يتجلى في عصر العلم ، ٧٢ .
- [٣٥] الله يتجلى ، ٦٣ .
- [٣٦] العلم يدعو للإيمان ، ١٥٩ - ١٦٠ .
- [٣٧] سورة الأنبياء : ١٦ .
- [٣٨] الله يتجلى ، ١٤٥ .
- [٣٩] سورة النجم : ٢٨ .
- [٤٠] سورة الأعراف : ١٤٣ .
- [٤١] سورة البقرة : ٢٦٠ .
- [٤٢] سورة البقرة : ٢٦٠ .
- [٤٣] الإسلام يتحدى ، ٤٢ .
- [٤٤] الله يتجلى ، ٤٢ .
- [٤٥] الله يتجلى ، ٣٦ .
- [٤٦] الإسلام يتحدى ، ٣٠ .
- [٤٧] الله يتجلى ، ٣١ .
- [٤٨] سورة البقرة : ٨٧ .
- [٤٩] سورة النساء : ١٧٣ .
- [٥٠] سورة الأعراف : ٤٠ .
- [٥١] سورة الصافات : ٣٥ .
- [٥٢] سورة البقرة : ٣٤ .
- [٥٣] سورة القصص : ٣٩ .
- [٥٤] سورة يونس : ٧٥ .
- [٥٥] سورة الصافات : ٣٥ .
- [٥٦] سورة التغابن : ٦ .
- [٥٧] سورة الاسراء : ٩٤ .
- [٥٨] سورة نوح : ٧ .
- [٥٩] سورة الأنعام : ١١٩ .
- [٦٠] سورة القمر : ٣ .
- [٦١] سورة النحل : ١٠٧ .
- [٦٢] الله يتجلى ، ١٤٥ - ١٤٦ .
- [٦٣] سورة يونس : ٢٢ .



مُعَوِّقَاتُ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرُهُ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

❖ الشيخ توقير الكاظمي (*)

(*) كاتب وباحث / حوزة قم المقدسة .



التمهيد :

في قوله تعالى : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٢) . ففي هذه الآية دلالة على حجية قول النبي ﷺ في بيان الآيات القرآنية ، ويلحق به بيان أهل البيت  لحديث الثقلين المتواتر وغيره .

فالرجوع إلى الأحاديث والروايات تعدّ من المباني والقواعد التفسيرية وقد ورد طائفة من الروايات عن أهل البيت  ، تدل على أنّ فهم القرآن يتوقف على بيان ذلك من القيم النبي ﷺ والأئمة  ، كرواية منصور بن حازم عن الإمام الصادق  : « إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم »^(٣) أي الشارح والمبين وهم المعصومون . وقد أشار الإمام الباقر إلى هذه النكتة حينما قال لقتادة : « ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به »^(٤) .

لا شك في إمكانية فهم القرآن لعموم الناس ، كما لا شك في أنّ لفهم القرآن مراتب مختلفة ، ولا يمكن لأحد أن يصل إلى بواطن القرآن وتأويله إلا الراسخين في العلم . ولكن مع هذا قد أكد أهل البيت  على تفسير القرآن الكريم ودعوا الناس إلى فهمه وإلى الاستفادة من هذا الكتاب العظيم ، من جهة أخرى قد بينوا  كثيراً من معوقات فهم القرآن وتفسيره لكي لا يكون هناك خلط في فهم القرآن وإفهامه للآخرين ، عمداً أو سهواً . فلننظر إلى بعض هذه المعوقات من وجهة نظر أهل البيت ^(١) .

(١) : عدم الرجوع إلى الروايات التفسيرية :

الروايات التفسيرية تشكل عمادا في تفسير القرآن ، لأنّها تعدّ قرائن غير متصلة لآياته ، ولا يمكن فهم بعض الآيات وتفسيرها إلا بالرجوع إلى الروايات ، وقد أشير إليه

٢ : تفسير القرآن بالرأي :

أحد المعوقات المهمة في فهم القرآن وتفسيره هو تفسير القرآن بالرأي ، وقد نهى عنه أهل البيت عليهم السلام بشدة ، فقد دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال له الإمام : « يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال : هكذا يزعمون ، فقال عليه السلام : بلني أنك تفسر القرآن ؟ فقال له قتادة : نعم ، فقال له أب جعفر عليه السلام : فإن كنت تُفسره بعلم فأنت أنت أنا أسألك . . . ويحك يا قتادة ! إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك ، إن كنت قد فسرت من الرجال ، فقد هلكت وأهلك . . . » ^(٦) .

وقد تضافرت الروايات الناهية عن التفسير بالرأي بحيث صار هذا الأمر واضحاً لدى كل المسلمين ، فلا نطيل الكلام في ذكرها ، وإنما المهم هنا أن نشير إلى ما هو المراد من التفسير بالرأي ؟ فنقول :

يطلق الرأي في اللغة على : الاعتقاد ، والعقل ، والتدبير ^(٧) . وأما مفهوم التفسير بالرأي اصطلاحاً فقد عرّفه علماءنا الأعلام بتعريفات مختلفة ، بألفاظ متقاربة ، وحاصل كلامهم : أنَّ المراد من التفسير بالرأي الذي يكون موضوعاً للنهي الوارد عن المعصومين عليهم السلام ، والذي يُعدّ من معوقات فهم القرآن من وجهة نظرهم عليهم السلام ،

فمن هنا نفهم أنَّ قول : « حسبنا كتاب الله » ليس إلا شعار سياسي للوصول إلى بعض الأهداف الخاصة وكان وراءه سعي لـ عزل أهل البيت عليهم السلام عن قيادة الأمة ، وحرمانها من العلوم المودعة عندهم عليهم السلام . وهذا القل مخالف للقرآن والسنة النبوية القطعية ، لأنّ إذا نعتقد بقول « حسبنا كتاب الله » كيف تثبت تفاصيل الأحكام وخصوصياتها من القرآن ، فيه المجمل المبين والمتشابه المحكم والعام الخاص والناسخ والمنسوخ ، وليس فيه تفاصيل الأحكام وخصوصياتها ؟ فهذه الصلاة - مثلاً - من أين نعرف أوقاتها وفرائضها وركعاتها وأجزائها وشرائطها ومقدماتها وما يتصل بها من أحكام لا تحصي ؟ فهل يرجع إلى اعتبار الحديث مرة أخرى ؟ أم يلتجئ عندئذ إلى الاعتراف بالثقل الذي أرجعنا إليه النبي صلى الله عليه وآله مع القرآن ؟ أم ماذا ؟ ^(٥) .

لا جواب مقنع على هذا التساؤل إلا أن نقول بأنّ حقيقة قول « حسبنا كتاب الله » ليس سوى التخطيط المسبق ، والتدبير السابق لتجريد أهل البيت عليهم السلام من حقهم الشرعي بالولاية ، ولإنفكاكهم عن القرآن . والحال ، لا يخفى على أهل العلم والبصيرة بطلان هذا القول ، وأنّه لا يمكن فهم القرآن إلا عن طريق الروايات ، ولا يمكن النجاة إلا بالتمسك بالثقلين .

هو : تفسير النص القرآني اعتماداً على رأيه وذوقه الشخصي بالمتبنيات الذهنية والفكرية والعقائدية المسبقة من غير رجوع إلى الكتاب أو السنة القطعية المفسرة للكتاب ، أو تفسير القرآن بالقياس والاستحسان المصالح والمرسلة وما أشبه ذلك من قضايا التي مرجعها الرأي^(٨) .

لابدّ هنا أن نشير إلى نكتة مهمّة وهي أنّ مفهوم الرأي في هذه القضية (أي التفسير بالرأي) ليس له دائرة أوسع ، بحيث تشمل كل جهد يمارسه الإنسان الباحث والمفسر العالم في فهمه للقرآن الكريم ، لأنّه من الواضح صحة تفسير القرآن اعتماداً على الخلفية العقائدية الصحيحة ولا يمكن أن يُفترض بأنّ تفسيره على أساس العقائد المستنبطة من القرآن نفسه ومن السنة القطعية هو باب تفسير بالرأي^(٩) .

فعلى هذا يجوز تفسير القرآن بالرأي المستند إلى استدلال واستنباط من النصوص القرآنية والسنة الصحيحة ، وهذا النوع من التفسير لا يكون من باب التفسير بالرأي المنهي عنه .

وهو ما أكد عليه العلامة الطباطبائي رحمه الله بقوله : « لَمَّا ورد قوله برأيه مع الاضافة إلى الضمير عُلِمَ منه أنّ ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في

تفسير القرآن حتى يكون بالملازمة أمراً بالاتباع والاقتصار بما ورد من الروايات في تفسير الآيات عن النبي وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم على ما يراه أهل الحديث ، على أنّه ينافي الآيات الكثيرة الدالة على كون القرآن عربياً مبيناً والآمرة بالتدبر فيه ، وكذا ينافي الروايات الكثيرة الآمرة بالرجوع إلى القرآن وعرض الأخبار عليه ، بل الإضافة في قوله : « برأيه » تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال بأن يستقلّ المفسر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس »^(١٠) .

فالمراد من التفسير بالرأي المنهي عنه إنما هو : الاستقلال في تفسير القرآن واعتماد المفسر على نفسه من غير رجوع إلى الكتاب أو السنة القطعية المفسرة للكتاب ، وهذا النوع من التفسير يُعدّ من معوقات فهم القرآن وبه يقع الانسان في قعر الضلالة بدل الهداية .

ولعلمائنا الأعلام في علمي التفسير والأصول كلامٌ مفصّل في بيان المقصود من « التفسير بالرأي » تحديداً ، ومن أراد الاطلاع يمكنه مراجعة إلى مقدمة مجمع البيان ، والمقدمة في تفسير الصافي ، ومقدمة البرهان في تفسير القرآن .

٣ : عدم الالتفات إلى قاعدة الجري والانطباق :

فكرة الجري والتطبيق هي من أهم النظريات والأفكار المطروحة في تفسير القرآن ، والإطلاع عليها عنصر ضروري في فهم آيات الكتاب الكريم وتفسيرها ، والغفلة عنها يُعدّ من معوقات تفسير القرآن ، وفي هذا المجال توجد نظرة شمولية يميّز بها أهل البيت عليه السلام ، بمعنى أنّ القرآن الكريم حي لا يموت ، تجري أحكامه وأمثاله ومفاهيمه في جميع الأزمان والعصور ، فهو وإن كان قد نزل في عصر معين وعالج قضايا وأحداثاً خاصة ، وتحدث عن أشخاص معينين ماضين أو معاصرين في القصص ، أو أحداث نزول الرسالة وتطورها مما يرتبط بأسباب النزول ، إلا أنّ القرآن - مع ذلك كله - هو الكتاب الإلهي للرسالة الخاتمة والمعجزة الخالدة للإسلام ونبيه الكريم ، يتحدث إلى جميع الناس في مختلف العصور والأزمان . فإذا نزلت الآية بسبب خاص ، وكان اللفظ فيها عاماً فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فلا يتقيّد المدلول القرآني بنطاقه السبب الخاص للنزول أو الواقعي التي نزلت الآية بشأنها ، بل يؤخذ به على عمومه ، لأنّ سبب النزول يقوم بدور الإشارة والقرينة ، لا التخصيص أو

التقييد .

وقد جرت عادة القرآن أن يُنزل بعض أحكامه وتعليماته وارشاداته على اثر وقائع وأحداث تقع في حياة الناس وتتطلب حكماً وتعليماً من الله تعالى ، لكي يجيئ البيان القرآني أبلغ تأثيراً وأشدّ أهمية في نظر المسلمين وإن كان مضمونه عاماً شاملاً ، فأية « اللعان » مثلاً تشرع حكماً شرعياً عاماً لكل زوج يتهم زوجته بالخيانة ، وإن نزلت في شأن « هلال بن أمية » ، وآية « الظهار » تبين حكم الظهار بصورة عامة ، وإن كان نزولها بسبب « سلمة بن صخر » ^(١١) .

وقد جاءت نصوص عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تؤيّد هذه النظرية ، وتعدّ الغفلة عنها من معوقات فهم القرآن ، كما ورد عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال : « . . . إن القرآن حي لا يموت ، والآية حية لا تموت ، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ، ماتت الآية لمات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضين » ^(١٢) . وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال : « إن القرآن حي لم يمت وإنه يجري كما يجري الليل والنهار ، وكما تجري

الشمس والقمر ، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا ^(١٣) .

٤ : عدم الالتفات إلى صفات القرآن :

بالرجوع إلى كلمات أهل البيت عليهم السلام ورواياتهم نفهم أنّ هناك صفات للقرآن الكريم ، لا يمكن فهم آياته وتفسيره إلا بالالتفات إليها ، ولا ينجح البحث في القرآن ولا يوفق المفسر في مهمته إلا بالتنبّه إلى هذه الصفات ، منها :

١ : الغفلة من اشتغال القرآن على ظاهر وباطن :

وقد تضافرت الروايات أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً بل له بطون لن تصل إليها أفهامنا القاصرة إلا بتوجيه من أهل البيت عليهم السلام الذين هم أهل القرآن .

أما المراد من البطون : فقد أحتمل بأنّ المراد هو : لوازم معناه المستعمل فيه اللفظ وملزوماته وملازماته من دون استعمال اللفظ فيها ، والتي لم تصل إلى إدراكها أفهامنا القاصرة إلى الراسخين في العلم ^(١٤) ، أو أنّ المراد من بطن القرآن : تأويله ^(١٥) .

وكيف كان فقد دلت على ذلك المعنى روايات

كثيرة واردة من طرق العامة والخاصة . ومن أراد الاطلاع على مجموع هذه الروايات فليطلبها من مصادرها ، فلنقتصر هنا على ذكر بعض هذه الروايات ، فقد نقل العياشي عن جابر : « قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني ، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر ، فقلت : جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ، فقال عليه السلام لي : يا جابر إنّ للقرآن بطناً ، وللبطن ظهراً ، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، إنّ الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء ، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه ^(١٦) » .

وقد اشتهرت الرواية من طريق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ^(١٧) » . وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وآله : « أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ^(١٨) » . وفي رواية أخرى أنّه قال : « ما نزل من القرآن من آية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ^(١٩) » .

وقد صرح بعض علماء العامة بأنّ أهل

البيت عليه السلام هم الذين عندهم علم باطن القرآن ، كما نقل الثعالبي عن ابن مسعود : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وإن علي بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن » ^(٢٠) .

فهذه الروايات ونظائرها تدلّ على أنّ التفسير ليس مجرد الأخذ بظواهر الكلام وأنّ للقرآن باطناً كما له ظاهر ، ولا يصل أحد إلى باطن القرآن إلا من توجّه إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، والغفلة عن هذه الصفة القرآنية يعدّ من أهم معوقات فهم القرآن .

ب) : الغفلة عن تأويل القرآن وأخذه من دون الراسخين في العلم :

لا شك في إمكان تأويل القرآن وقد أشار القرآن إلى هذه الصفة حينما قال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٢١) ، وكذلك يفهم من نفس هذه الآية أنّ محاولة تأويل القرآن من دون مراجعة

إلى مصدر الوحي ، وأخذ تأويله دون الراسخين في العلم ، يعدّ من معوقات فهمه وتفسيره . وقد أكد أهل البيت عليهم السلام على هذه النكتة وحذر الناس عن أخذ تأويل القرآن إلا عن طريق المعصومين ، كما أنّ الإمام حسن العسكري عليه السلام يعدّ من المتمسكين بالقرآن من أخذ التأويل من أهل البيت عليهم السلام ، حينما قال : « أتدرون من المتمسك به (القرآن) الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم ؟ هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت عليهم السلام وعن وسايطنا السفراء عنا إلى شيعتنا ، لا عن آراء المجادلين ، فأما من قال في القرآن برأيه فان اتفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله ، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار » ^(٢٢) .

وقد بيّن أهل البيت عليهم السلام أنّ « رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم ، قد علّمه الله عزّ وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله ، وأوصيائه من بعده يعلمونه كله » ^(٢٣) ، وقالوا : « نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله » ^(٢٤) .

ج) : عدم الالتفات إلى وجود الناسخ والمنسوخ :

قد تقرر أنَّ النسخ في الشرائع جائز وواقع ، وأنَّه موافق للحكمة ، وقد اتفق جمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه في القرآن ، وإن اختلفوا في مقدار وكمية ما نُسخ منه . ومعرفة الناسخ من المنسوخ يعدّ من المواضع المهمّة في التفسير والذي يمكن أن يكون سببا لاختلاف في فهم القرآن .

وقد أكد أهل البيت عليهم السلام على معرفة الناسخ والمنسوخ بحيث عدم معرفتهما يعدّ من معوقات فهم القرآن ، فقال الإمام الصادق عليه السلام احتجاجاً على الصوفية ، لما احتجوا عليه بآيات من القرآن في الإيثار والزهد : « دعوا عنكم ما لا تنتفعون به ، أخبروني أيها النفر الكم علم بناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضل من ضل وهلك من هلك من هذه الامة ؟ فقالوا له : أو بعضه فأما كلّه فلا ، فقال لهم : . . . فبئسما ذهبتُم إليه وحملتُم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل وردكم إيّاها بجهالتكم ترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي . . . وكونوا في

طلب علم ناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه ^(٢٥) .

كما سئل أمير المؤمنين عليه السلام قاض : « هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، فقال : فهل اشركت على مراد الله عزّ وجلّ في أمثال القرآن ؟ قال : لا ، قال : إذا هلكت وأهلك والمفتي يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقائق السنن وبواطن الإشارات و . . . » ^(٢٦) .

د) : عدم الالتفات إلى وجود المحكمات والمتشابهات :

قد نصّ القرآن على أنّه مشتمل على المحكم والمتشابه ، فقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ^(٢٧) كما أنّ القرآن بنفسه يؤكد على أنّ عدم الالتفات إلى المتشابهات وإتباعها من دون الرجوع إلى المحكمات تعدّ من معوقات فهم كتاب الله تعالى ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي

الْعِلْمُ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ كذلك قد عدَّ أهل البيت عليه السلام تفسير القرآن من دون الالتفات إلى هذه الصفة القرآنية ، من معوقات فهمه وأمروا بإرجاع المتشابهات إلى المحكمات لفهم الصحيح من كتاب الله ، كما قال الإمام الرضاء عليه السلام : « من ردَّ متشابه القرآن إلى محكمه فقد هدي إلى صراط مستقيم » ^(٢٨) . فيفهم منه أنَّ أحد معوقات المهمّة في فهم القرآن من وجهة نظر أهل البيت عليه السلام هو عدم الالتفات إلى وجود المتشابهات في القرآن ، وتفسير القرآن من غير إرجاع المتشابهات إلى المحكمات .

هـ : عدم الإنتباه إلى أسباب النزول :

قد نبّه أئمة أهل البيت عليه السلام على أهميّة معرفة أسباب النزول في التفسير ، وقاموا بتثبيت دورها الهوامش :

- [١] استفدنا (مع بعض التغييرات) في هذا المبحث من مقالة « آسيب شناسي فهم قرآن از منظر أهل بيت » لعلي محمد قاسمي ، طُبعت في مجلة المعرفة (٧١) لمؤسسة الإمام الخميني ، قم .
- [٢] سورة النحل (١٦) ، الآية : ٤٤ .
- [٣] الكليني ، الكافي ، ج ١ ، ص ١٦٩ ، (محققة) ، ط الثالثة ١٣٨٨ ، دار الكتب الإسلامية آخوندي .

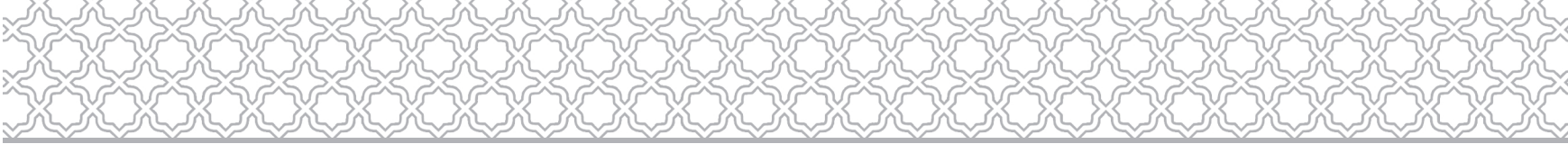
كعنصر له دور كبير في بيان فهم مفاهيم القرآن ، من ذلك ما ورد عن الصادق : « اعلّموا رحمكم الله أنّه من لم يعرف من كتاب الله : الناسخ والمنسوخ ، والخاص والعام ، والمحكم والمتشابه ، . . . وأسباب التنزيل . . . فليس بعالم القرآن ولا هو من أهله » ^(٢٩) ، هذا تصريح بأهمية معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن .

هذه أهم معوقات فهم القرآن وتفسيره من وجهة نظر أهل البيت عليه السلام ، ولكن لا بدّ من الالتفات إلى هذه النكتة : إنّ معوقات تفسير القرآن وفهمه من وجهة نظرهم عليه السلام لا تنحصر فيما ذكرناه بل يمكن استخراج معوقات أخرى بالتتبع في الروايات المنقولة عنهم واكتفينا بذكر أهمها طلباً للاختصار .

- [٤] المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣١٢ .
- [٥] الشيخ المظفر ، محمد رضا ، السقيفة ، ص ١٩٠ ، ط الثانية ، جمادي الثاني ١٤١٥ ، مؤسسة انصاريان قم .
- [٦] الحر العاملي ، وسائل الشيعة ج ٢٧ ، ص ١٨٥ .
- [٧] راجع : لسان العرب ومعجم الوسيط ، مادة « الرأي » .
- [٨] راجع : علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم ، ص ٢٣٣ إلى

- [١٩] الزركشي ، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .
- [٢٠] الثعالبي ، عبد الرحمن ، تفسير الثعالبي ، ج ١ ، ص ٥٣ .
- [٢١] سورة آل عمران (٣) ، الآية : ٧ .
- [٢٢] الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج ٢٧ ، ص ٣٣ .
- [٢٣] الكليني ، الكافي ، ج ١ ، ص ٢١٣ .
- [٢٤] المصدر السابق .
- [٢٥] الكليني ، الكافي ، ج ٥ ، ص ٦٥ - ٧٠ . الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج ٢٧ ، ص ١٨٤ .
- [٢٦] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار ، ج ٢ ، ص ١٢١ .
- [٢٧] سورة آل عمران (٣) ، الآية : ٧ .
- [٢٨] الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج ٢٧ ، ص ١١٥ ، الشيخ الطبرسي ، الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .
- [٢٩] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار ، ج ٩٠ ، ص ٤ .

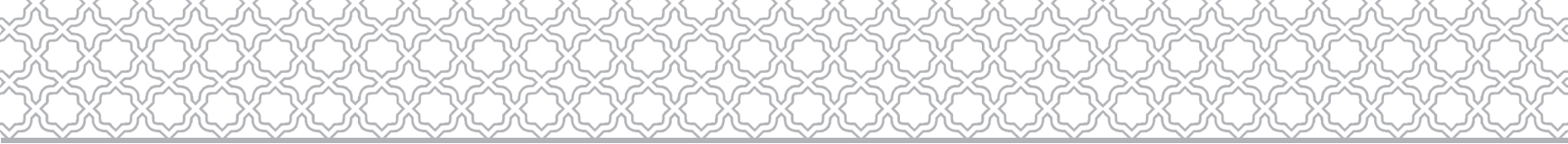
- ٢٣٨ ، ط الثالثة ١٤١٧ ، مؤسسة الهادي قم ، الناشر مجمع الفكر الإسلامي .
- [٩] راجع : المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .
- [١٠] الطباطبائي ، محمد حسين ، تفسير الميزان ، ج ٣ ، ص ٧٦ .
- [١١] الحكيم ، السيد محمد باقر ، علوم القرآن ، ص ٤٤ ، ٤٢ .
- [١٢] الخوئي ، أبو القاسم ، البيان في تفسير القرآن ، ص ٢٢ ، ط الرابعة ١٣٩٥ ، دار الزهراء بيروت .
- [١٣] المصدر السابق .
- [١٤] الآخوند الخراساني ، كفاية الأصول ، ص ٣٨ ، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث .
- [١٥] القمي ، علي بن ابراهيم ، تفسير القمي ، ج ١ ، ص ٢٠ ، السيوطي ، جلال الدين ، الدر المنثور ، ج ٢ ، ص ٦ .
- [١٦] العياشي ، محمد بن مسعود ، تفسير العياشي ، ج ١ ، ص ١٢ .
- [١٧] الهيتمي ، نور الدين ، مجمع الزوائد ، ج ٧ ، ص ١٥٢ .
- [١٨] الطبري ، ابن جرير ، جامع البيان ، ج ١ ، ص ٢٥ .



تَطَوُّرُ عِلْمِ الرِّجَالِ فِي مَدْرَسَةِ الْحِلَّةِ

❖ أ. أحمد عبد الحسين رهيف (*)

.....
(*) باحث من العراق .



في استنباطه للأحكام الإلهية من أحاديثهم المروية في كتبهم عن الأئمة عليهم السلام ، وبالجملات تأليف كتاب الرجال ، وكتب الفقه يسيران في الأهمية جنباً إلى جنب وإن كان علم الفقه أفضل وأشرف ولكنه لا يصير الفقيه فقيهاً ما لم يكن رجالياً فإنَّ إحدى مقدمات الاجتهاد معرفة رجال الحديث وسنده ^(١) .

وقد ذكر مؤلف كتاب (تكملة الرجال) وجه الحاجة إلى علم الرجال وبرهن عليه بأدلة قويّة ، حيث قال : (وقد اتفق الأصوليون والمجتهدون إلى شدة الحاجة إليه ، وهو الحق ، لنا وجوه :

أحدها : إنّ مأخذ جُلِّ الأحكام الشرعية من الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام هي أخبار آحاد لا تبلغ حدّ التواتر ، وهي مختلفة إمّا ظاهراً أو واقعاً ، إمّا على جهة العموم من وجه ، أو المطلق والمقيد أو غير ذلك ، فلا بد من الاطلاع على حال الرواة من الوثاقة وعدمها ، حتى يطرح خبر

قطع علم الرجال شوطاً في زمن مدرسة الحلّة ، فقد تطور تطوراً ملموساً ، حيث ابتدأ هذا العلم فأصبح بإدراج أسماء الرواة أولاً ، ثم تطور خلال السنين الطويلة حتى وصل الدور إلى مدرسة الحلّة ، فأصبح علماً يبحث عن شخصية الراوي وصفاته في الصدق أو الكذب ، وطبيعة محيطه الاجتماعي والعائلي ، ومدى صلته بالمعصوم عليه السلام بمعنى أنّ النظرية الرجالية بدأت تبحث عن الراوي من حيث شخصيته في الصدق والكذب ومنشأه الاجتماعي ومنزلته العلمية أكثر من كونه اسماً مجرداً .

أهمية علم الرجال

تبرز أهمية علم الرجال باعتباره من أهم الأدوات العلمية للفقيه خلال ممارسة عملية الاستنباط والاستدلال الفقهي (ولا ريب في لزوم رجوع الفقيه إلى أحوال الرجال

الكاذب ، ويعمل بخبر الصادق .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ... ﴾^(٢) .

فلا بد من العلم بحال المخبر ليرد أو يقبل .

الثالث : الأخبار

منها : مقبولة عمر بن حنظلة ، وفيها : (قلت : فإن كان كل واحد اختار رجلاً من أصحابنا فرضينا أن يكونا الناظرين في حقهما فاختلفا فيما حكما ، أو كلاهما اختلف في حديثكم ؟ قال : الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر ... الحديث^(٣) .

قال في (البحار) : (هذا الحديث رواه الصدوق في (الفقيه) وثقة الإسلام في (الكافي) بسند موثق ، لكنه من المشهور وضعفه منجبر بعمل الأصحاب)^(٤) انتهى .

ومنها : ما رواه الكشي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : اعرفوا منازل شيعتنا منا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا ، فإننا لا نعدُّ الفقيه فقيهاً حتى يكون محدثاً ، فقل له : أو يكون المؤمن محدثاً ، قال : يكون مفهماً والمفهم محدث^(٥) .

الرابع : إجماع العلماء من المتقدمين والمتأخرين

وسيرتهم على ذلك عصراً بعد عصر في جميع الأمصار من غير نكير فيما بينهم ، وقد صنفوا في ذلك كتباً كثيرة كالبرقي والعقيقي والكشي والشيخ والنجاشي وابن الغضائري والعلامة وغيرهم ، مع أن احتياجنا أكثر من احتياجهم ؛ لكثرة الوسائط وبعد المدى ، وخفاء كثير من الأحكام ، وانعدام كثير من القرائن الخارجة والداخلية ، وسيرتهم جرت على ذلك في كتبهم الفقهية ، وترجيح بعضها على بعض بذلك^(٦) .

المدارس الرجالية في التاريخ الإمامي

اهتم علماء الشيعة من عصر التابعين إلى يومنا هذا بعلم الرجال ، فكان علم الرجال من أوائل العلوم الإسلامية التي اهتم بها الأصحاب اهتماماً كبيراً .

وتشير المصادر إلى أن (أول من أسس علم الرجال وصنف فيه هو أبو محمد بن عبد الله بن جبلة بن حيّان بن ابهر الكناني ، صنف كتاب (الرجال) ، كما في فهرس أسماء المصنفين من الشيعة للنجاشي ، قال : وببيت جبلة بيت مشهور بالكوفة وكان عبد الله واقفاً ، وكان فقيهاً ثقة مشهوراً ، له كتب منها كتاب (الرجال) إلى آخر ما ذكر من أسماء مصنفاته ، ثم قال : ومات عبد الله بن جبلة سنة تسع عشرة ومائتين)^(٧) .

وعلى ضوء ذلك تكون بداية نشوء علم الرجال عند الشيعة الإمامية في القرن الثالث الهجري ولمعرفة التطور الكبير في علم الرجال الذي حصل في مدرسة الحلة لابد من التطرق إلى الآثار العلمية الرجالية في القرون السابقة لمدرسة الحلة ، مع بيان النتائج لكل مرحلة من تلك المراحل الطويلة ، وهي كالتالي :

١- القرن الثالث الهجري :

أهم كتب هذه المرحلة هو كتاب أحمد بن عبد الله بن أحمد البرقي المسمى (برجال البرقي) ، ولكن الكتاب يُنسب أحياناً لأحمد بن محمد البرقي صاحب (المحاسن) المتوفى (٢٧٤ هـ)^(٨) ، حيث تطرّق المصنف إلى ذكر الرواة من جهة صحبتهم للرسول - والأئمة عليهم السلام ، ولكنه لم يتعرض لتوثيقهم أو تضعيفهم ، حيث ذكر في الباب الأول أصحاب رسول الله - ، وفي الباب الثاني أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وهكذا . . .

ومن ثمار هذه المرحلة أيضاً كتب رجالية أقل أهمية مثل :

١- كتاب الرجال لعبد الله بن أبحر الكناني المتوفى (٢١٩ هـ) .

٢- معرفة رواية الأخبار والمشيخة للحسن بن محبوب

السرد المتوفى (٢٢٤ هـ) .

٣- كتاب الرجال لأبي محمد الحسن بن علي بن فضال الكوفي المتوفى (٢٢٤ هـ) ، وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام .

٤- كتاب تاريخ الرجال لأحمد بن علي العلوي العقيقي المتوفى (٢٨٠ هـ) .

وقد ألفت كتب غير هذه التي ذكرنا في علم الرجال في هذا القرن ، واستمر التدوين في كتب الرجال إلى أواخر القرن الرابع ، لكنه لم تصل إلينا هذه الكتب ؛ وذلك لأسباب تاريخية أدت إلى فقدانها .

٢- القرن الرابع الهجري .

أهم الكتب المؤلفة في هذه الفترة كتاب (رجال الكشي) ، وربما يقال : إنه أسماه بـ (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) أو (معرفة الناقلين) ، وهو لأبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي المتوفى (٣٢٨ هـ) ، وكان ذلك الكتاب مثقلاً بالأخطاء ، فقام الشيخ الطوسي بتهذيبه وتجريده من الزيادات ، وأسماه بـ (اختيار معرفة الرجال) ، ثم أملاه على تلاميذه في النجف الأشرف سنة (٤٥٦ هـ)^(٩) .

وقد كان هذا الكتاب موجوداً عند السيد ابن طاووس ؛

وأورد من بعد ذلك من لم يذكره . . . (١٢) .

٣- كتاب (المشيخة) للشيخ الصدوق ، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن بن موسى بن بابويه القمي المتوفى (٣٨١ هـ) ، حيث ذكر فيه مشايخه من الرجال . وقد وصل عددهم إلى أكثر من مائتي شيخ وكتاب (المشيخة) مطبوع في القسم الأخير من كتاب (من لا يحضره الفقيه) .

وللصدوق كتاب آخر في الرجال اسمه (كتاب المصاييح في من روى عن النبي - والائمة عليه السلام) ، وقد بوّه إلى خمسة عشر باباً في من روى عن النبي - من الرجال والنساء ، وفي من روى عن أئمة أهل البيت عليه السلام وبضمنهم سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وأسماء الرجال الذين خرجت إليهم التوقيعات من صاحب الزمان (١٣) .

القرن الخامس الهجري

ألفت في هذه الفترة الأصول الرجالية للطائفة الإمامية ، وهي (رجال النجاشي) و (اختيار معرفة الرجال) للكشي ، و (الرجال) و (الفهرس) للشيخ الطوسي ، و (رجال ابن الغضائري) . ومن أهم شيوخ هذه المدرسة شيخان هما : شيخ الطائفة أبو جعفر

لأنّه تصدى لترتيبه وتبويبه وضّمه إلى كتب أخرى من الكتب الرجالية وأسماه ب (حلّ الإشكال في معرفة الرجال) ، وكان موجوداً كذلك عند الشهيد الثاني ، والموجود من كتاب الكشي في هذا الزمان هو الذي اختصره الشيخ مسقطاً منه الزوائد .

إنّ الخصوصية التي تميّز بها هذا الكتاب عن سائر ما ألفت في هذا المضمار عبارة عن التركيز على نقل الروايات المربوطة بالرواة التي يستطيع القارئ بالإمعان فيها تمييز الثقة عن الضعيف ، وقد ألفه على نهج الطبقات ؛ مبتدئاً بأصحاب الرسول والوصي إلى أن يصل إلى أصحاب الهادي والعسكري عليه السلام ، ثم إلى الذين بعدهم ، وهو عند الشيعة قطبقات ابن سعد عند السنة (١٠) .

وهناك كتب أخرى ألفت في هذه الفترة . منها :

١- كتاب الرجال لحُميد بن زياد الدهقان المتوفى (١١) هـ (٣١٠ هـ) .

٢- كتاب (الرجال) للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة المتوفى (٣٣٣ هـ) . وقد جمع المصنف فيه أسماء من روى عن الإمام الصادق عليه السلام وعددهم أربعة آلاف رجل ، وقد أوردتهم الشيخ الطوسي في رجاله ، حيث قال : (إلّا ما ذكره ابن عقدة من رجال الصادق عليه السلام فإنه قد بلغ الغاية في ذلك ، ولم يذكر رجال باقي الائمة عليه السلام ، وأنا أذكر ما ذكره ،

الطوسي ، والشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن العباس النجاشي .

فقد ألف الشيخ النجاشي المتوفى (٤٥٠ هـ) كتابه المعروف بـ (رجال النجاشي) ، وهو كتاب مختص بمشايخه كما يذكر في مقدمته ، حيث يقول : (أما بعد فإني وقفت على ما ذكره السيد الشريف - أطال الله بقاءه وأدام توفيقه - من تغيير قوم من مخالفينا ؛ إنه لا سلف لكم ولا مصنف ، وهذا قول من لا علم له بالناس ، ولا وقف على أخبارهم ، ولا عرف منازلهم وتاريخ أخبار أهل العلم ، ولا لقي أحداً فيعرف منه ، ولا حجة علينا لمن لم يعلم ولا عرف وها أنا أذكر المتقدمين في التصنيف من سلفنا الصالح ، وهي أسماء قليلة ، ومن الله استمد المعونة ، على أن لأصحابنا (رحمهم الله) في بعض هذا الفن كتباً ليست مستغرقة لجميع ما رسمه ، وأرجو أن يأتي في ذلك على ما رسم وحد إن شاء الله تعالى ، وذكرت لرجل طريفاً واحداً حتى لا تكثر الطرق فيخرج عن الغرض)^(١٤) .

وقد ذكر المصنف ترجمة (١٢٩٦) راوياً مفصلاً في كُناههم وألقابهم ومصنفاتهم ولمحات عن حياتهم ودرجة وثافتهم أو ضعفهم . والمعروف عند فقهاء الطائفة أن فهرس الشيخ النجاشي كان قد ألف بعد كتاب (رجال

الشيخ الطوسي والفهرست) ، والذي يشهد لذلك أنه ترجم للشيخ الطوسي ، وذكر في الترجمة كتابي (الرجال والفهرست) من كتب الشيعة ومصنفاتهم^(١٥) .

وكان المحقق البروجردي رحمته الله يعتقد بأن فهرس النجاشي كالذيل لفهرست الشيخ الطوسي^(١٦) ، وهذا يعني أن (رجال النجاشي) قد استدرك النواقص التي وقعت في كتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي .

أما الشيخ الطوسي رحمته الله فقد قام بتأليف ثلاثة كتب رجالية ، وهي :

أ- الفهرست : وهو كتاب موضوع لذكر الأصول والمصنفات وذكر الطرق إليها وهو يحوي على ما يزيد على تسعمائة من أسماء المصنفين من أصحاب الكتب والأصول ، حيث اورد لكل من ترجم له كتاباً أو أصلاً مصرحاً في الوقت نفسه بدرجة وثاقة الكتاب أو الأصل .

حيث قال في مقدمة الكتاب : (فإذا ذكرت كل واحد من المصنفين وأصحاب الأصول فلا بد أن أشير إلى ما قيل فيه من التعديل والتجريح ، وهل يعول على روايته أو لا ، وأبين اعتقاده وهل موافق للحق أو هو مخالف له ؛ لأن كثيراً من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة وإن كانت كتبهم معتمدة . فإذا سهل الله إتمام هذا الكتاب ، فإنه يطلع على أكثر ما عمل من

التصانيف والأصول ويعرف به قدر صالح من الرجال وطرائقهم^(١٧) .

يقول السيد الجلالى بأن كتاب : (الفهرست للطوسي ، وهو مثل كتاب النجاشي منهجاً وأسلوباً ، إلا أنه اعتمد ذكر ما يفيد النواحي الرجالية والحديثية بالنسبة إلى الرواة الذين أوردتهم في كتاب رجاله والطرق إليهم ، وحتى الكتب التي ذكرها لهم ، فكتابه أجمع لهذه النواحي من كتاب النجاشي وإن كان النجاشي يبدو أكثر موسوعية في الجوانب العامة للرجال . . . ومهما تكن الفوارق بين الفهرستين للنجاشي والطوسي فإنهما متقاربان ويبدوان كأنهما مأخوذان من مصدر علمي واحد ، أو من إملاء شيخ واحد ؛ لمزيد القرب بينهما في المنحى والمنهج والغاية والهدف ، ولذا تكثر مشتركتهما إلى حد بعيد ، بل يتفقان في أكثر المعلومات الأساسية والطرق الموصلة إلى الكتب المفهرسة^(١٨) .

ب - رجال الطوسي : ويسمى أيضاً بـ (الأبواب) لأنه مرتّب على أبواب بعدد رجال أصحاب النبي - ورجال أصحاب كل واحد من الأئمة عليهم السلام ، ورجال من لم يرو عنهم إلا بواسطة ، مرتّباً ذلك باباً باباً ، وتضمن الكتاب حوالي (٨٩٠٠) اسم ، وكان غرضه من تأليفه مجرد تعداد أسمائهم ، وجمع شتاتهم وتمييز طبقاتهم ، لا تمييز الممدوح

منهم من المذموم كما ذكر ذلك في مقدمته^(١٩) .

يقول الشيخ التستري : (وأما رجال الشيخ فمسلكه غير ذلك ، حيث إنّه أراد استقصاء أصحابهم ومن روى عنهم مؤمناً كان أو منافقاً إمامياً كان أو عامياً ، فعّد الخلفاء ومعاوية وعمر بن العاص ونظرائهم من أصحاب النبي - ، وعدّ زياد بن أبيه ، وابنه عبيد الله بن زياد من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وعدّ منصوراً الدوائقي من أصحاب الصادق عليه السلام بدون ذكر شيء فيهم ، فالاستناد إليه ما لم يحرز إمامية رجل غير جائز حتى في أصحاب غير النبي وأمير المؤمنين فكيف في أصحابهما ؟)^(٢٠) .

ويقول الشيخ السبحاني : (كان سيدنا المحقق البروجردي يقول : (إن كتاب (الرجال) للشيخ كانت مذكرات له ، ولم يتوفق لإكمالها ، ولأجل ذلك نرى أنه يذكر عدّة أسماء ولا يذكر في حقهم شيئاً من الوثاقة والضعف ولا الكتاب والرواية ، بل يعدهم من أصحاب الرسول والأئمة فقط)^(٢١) .

ج - اختيار معرفة الرجال : ويعدّ هذا الكتاب نسخة منقحة ومختصرة لكتاب رجال الكشي ، وميزته ربط الروايات بأسانيد الدالة على وثاقة الراوي أو عدم وثاقته .

وهناك مصنفات وكتب أخرى كانت في تلك الفترة لكنّها أقل أهمية من تصنيفات النجاشي والطوسي ، ومن

حيث قال السيد له : (إنَّ شيخنا الموفق السعيد أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسي - رفع الله منزلته - قد صنَّف كتاباً في أسماء مشايخ الشيعة ومصنفيهم ، ولم يصنّف بعده شيء من ذلك .

فأجابه الشيخ منتجب الدين بقوله : (لو أَرَّ الله أَجلي وحقَّق أُملي لأضفت إليه ما عندي من أسماء مشايخ الشيعة ومصنفيهم الذين تأخَّر زمانهم عن زمان الشيخ أبي جعفر عليه السلام وعاصروه) .

وهكذا فقد حقق الله أمله ومدَّ في عمره فكتب (الفهرست) ، وقد قال في مقدمة الكتاب : (وقد بنيت هذا الكتاب على حروف المعجم اقتداءً بالشيخ أبي جعفر عليه السلام ، وليكون أسهل مأخذاً ، ومن الله التوفيق) ^(٢٣) .

ثم إنَّ الغاية من اقتراح السيد عزَّ الدين يحيى تقيب السادات هو كتابة ذيل لـ (فهرست) الشيخ على غرارهِ ، بأنَّ يشتمل على أسامي المؤلفين ومؤلفاتهم واحد بعد واحداً ، وقد ارتأى الشيخ منتجب الدين اقتراح السيد وقام بهذا العمل ، لكنَّه عليه السلام عدل عند الاشتغال بتأليف (الفهرست) عن هذا النمط ، فجاء بترجمة كثير من شخصيات الشيعة يناهز عددهم الـ (٤٥٠) شخصية علمية وحديثية من دون أن يذكر لهم أصلاً وتصنيفاً ، ومجموع الذين ذكر لهم كتباً لا

أبرز هذه الكتب كتاب رجال ابن الغضائري ، وهو كتاب خاص في أسماء الرواة الذين لا يؤخذ بروايتهم ، ولذلك سُمِّي بكتاب (الضعفاء) ، وافتقد هذا الكتاب حوالي مدة قرنين ونصف من الزمان حتى عثر عليه السيد أحمد بن طاووس ، وبعدها كُثِر النقل عنه عند الرجاليين المتأخرين ، وبضمنهم السيد ابن طاووس وتلميذاه ابن داود الحلِّي والعلامة الحلِّي ، وقد أدرجه ابن طاووس ضمن كتابه (حل الإشكال في معرفة الرجال) .

وبقي وضع الكتاب على هذا الشكل مدة تزيد على ثلاثة قرون حتى قام الشيخ عبد الله التستري باستخراج جميع عبارات ابن الغضائري من كتاب (حل الإشكال في معرفة الرجال) وفهرستها على ترتيب الحروف الهجائية وأسماء بـ (رجال ابن الغضائري) ، وهو الكتاب المتداول اليوم ^(٢٤) .

القرن السادس الهجري

وهذا القرن يمثِّل امتداداً لعصر الشيخ الطوسي ، وقد ألَّف في هذا القرن كتابان في الرجال ، وهما :

الأول : كتاب (الفهرست) للشيخ منتجب الدين علي بن موفق الدين عبيد الله بن بابويه القمي ، وقد ألَّفه للشيخ الجليل أبي القاسم يحيى بن الصدر بطلبٍ منه ،

يتجاوز عددهم حدود مائة شخص^(٢٤) ، وقد أدرجه الشيخ المجلسي في (بحار الأنوار) بتمامه^(٢٥) .

الثاني : كتاب معالم العلماء

وهو من تأليف رشيد الدين محمد بن علي السروري الشهير بابن شهر آشوب المتوفى (٥٨٨ هـ) ، وقد ألفه تلميذاً لـ (فهرست) شيخ الطائفة ، وذكر فيه أنه زاد عليه نحو من ستمائة مصنف ، حيث قال : (وإن كان قد جمع شيخنا أبو جعفر الطوسي (رضي الله عنه) في ذلك العصر ما لا نظير له ، إلا أن هذا المختصر فيه زوائد وفوائد ، فيكون اذن تنمة له ، وقد زدت فيه نحواً من ستمائة مصنف ، وأشارت إلى المحذوف من كتابه وإن كانت الكتب لا تُعد ولا تحصى)^(٢٦) .

ويتضمن الكتاب (١٠٢١) ترجمة ، وفي آخرها (فصل في ما جهل مصنفه) ، و (باب في بعض شعراء أهل البيت) .

وهذا الكتاب كفهرست الشيخ منتجب الدين تكملة لفهرست الشيخ الطوسي ، والمؤلفان متعاصران والكتابان متقاربا التأليف وقد أصبح (معالم العلماء) من المدارك المهمة لعلماء الرجال كالعلامة الحلي في (الخلاصة) ومن بعده^(٢٧) .

ولا شك أن القرن السادس الهجري عاش تحت مظلة أفكار شيخ الطائفة ، وما أسسه من منابع للفكر الإمامي في حوزة أهل البيت (عليه السلام) في النجف الأشرف ، وكانت هيمنة الشيخ العلمية وقدرته الهائلة إلى استرجاع ما فقد من مصادر عبر كتابات جديدة في علوم الشريعة أحد الأسباب التي جعلت الفقهاء الذين جاؤوا من بعده ولفترة طويلة لا يتجرؤون على مناقشة آرائه أو تفنيدها^(٢٨) .

ومهما يكن فإن أبرز محاولة في القرون السابقة هي محاولة الشيخ الطوسي التي كانت محاولة تأسيسية في هذا الميدان .

مدرسة الحلة وتطور علم الرجال

كانت المحاولات السابقة لمدرسة الحلة في علم الرجال كلها محاولات تأسيسية ، حتى جاء دور علماء الحلة لينهضوا بهذا الأمر ، في عقلية منهجية منظمة ؛ فقاموا بوضع الهيكل العلمي المتكامل لتطوير الفكر الفقهي الإمامي ، وإعداد الوسائل الوافية للنهوض بعملية الاستنباط من خلال إعداد العدة الكاملة للمادة الفقهية أقوالاً وأدلةً وطريقة استدلال ، ومما ألفه علماء الحلة في علم الرجال يدخل في هذا المجال التطويري لعملية الاجتهاد .

وأبرز علماء الحلة في علم الرجال

١- السيد أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس

توفي سنة (٦٧٣ هـ) ، وهذا الرجل لم يشتهر كما اشتهر أخوه السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس المتوفى (٦٤٤ هـ) ، لكن بصماته كانت واضحة جداً على الفكر الشيعي في علمي الرجال والحديث ، فعلى الرغم من بقاءه خلف الافق كانت له مساهمات فكرية عديدة ، لكن - وللأسف - إن أكثر كتبه فقدت ولم تصل إلينا .

وقد نص أكثر من عالم على أن ابن طاووس كان سباقاً في علم الرجال ، وناقداً له :

قال ابن داود الحلّي : (وحقق في الرجال والرواية والتفسير تحقيقاً لا مزيد عليه)^(٢٩) .

وقال المحدث النوري : (هو رحمته الله أول من نظر في الرجال ، وتعرض لكلمات أربابها في الجرح والتعديل ، وما فيها من التعارض ، وكيفية الجمع في بعضها ، ورد بعضها ، وقبول الأخرى في بعضها ، وفتح هذا الباب لمن تلاه من الأصحاب ، وكلما أطلق في مباحث الفقه والرجال ابن طاووس فهو المراد منه)^(٣٠) .

(ويكشف هذان النصان عن أن ابن طاووس لم يكن

رجالياً ناقلاً أو صاحب تجميع للمعلومات والوثائق ، بل كان ناقداً ؛ ولهذا عبر النوري عنه بأنه أول من نظر في الرجال ، أي اجتهد ومارس نقداً وتحليلاً وتقويماً ، وإلا فالرجاليون الشيعة الذين سبقوه كثيرون كما هو واضح ، وهذا معناه أن ابن طاووس كان أول من فتح علم الرجال بوصفه علماً تنظيرياً لا خبرياً فحسب ، ونقدياً لا تقريرياً فقط)^(٣١) .

كما أن السيد أحمد بن طاووس كان أستاذاً للعلامة وابن داود الحلّي كما يصرح بذلك السيد الأمين رحمته الله عند ترجمته للسيد ابن طاووس حيث يقول : (من تلاميذه العلامة الحلّي والحسن بن داود الحلّي صاحب كتاب (الرجال) . . .)^(٣٢) .

وهذا معناه أنه إذا ثبت شيء ما عنه قبل أن يثبت للعلامة وابن داود فمن المحتمل أن يكون العلامة وابن داود قد أخذوا ذلك الشيء عنه . ويؤيد ما قلناه ما ذكره ابن داود عنه ، بقوله : (ربّاني وعلمني وأحسن إليّ وأكثر فوائد هذا الكتاب ونكته من إشاراته وتحقيقاته)^(٣٣) .

وكذلك ما ذكره صاحب الذريعة حيث قال : (كان أستاذ العلامة الحلّي وابن داود الرجالي ، فما في خلاصة العلامة ورجال ابن دود مأخوذ منه كما صرح ابن داود في كتابه)^(٣٤) .

ومن أهم كتبه في علم الرجال هو كتاب (حلّ

الإشكال في معرفة الرجال) .

وتتبع أهمية هذا الكتاب من أنه جمع فيه أسماء الرجال المذكورة في المصادر التالية :

(اختيار رجال الكشي ، والفهرست للشيخ الطوسي ، ورجال الطوسي ، رجال النجاشي ، وكتاب الضعفاء لابن الغضائري ، ورجال البرقي ، ومعالم العلماء) .

وقال السيد في أول (حلّ الاشكال) ما لفظه : (قد عزمت على أن أجمع في كتابي هذا أسماء الرجال المصنفين وغيرهم ممن قيل فيه مدح أو قذح ، من كتب خمسة : كتاب (الرجال) لشيخنا أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رضي الله عنه ، وكتاب (فهرست) المصنفين له وكتاب (اختيار الرجال) من كتاب الكشي أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز ، وكتاب أبي الحسين أحمد بن العباس النجاشي الأسدي ، وكتاب أبي الحسين أحمد بن الحسين بن عبيدالله الغضائري في ذكر الضعفاء خاصة ، (رحمهم الله جميعاً) ، ناسقاً لكل على حروف المعجم ، وكلّما فرغت من مضمون كتاب في حرف شرعت في الآخر ضاماً حرفاً إلى حرف منتهياً على ذلك إلى آخر الكتاب ، وبعد الفراغ شرعت كذلك في إثبات الكنى ونحوها من الألقاب ، ولي بالجميع روايات متصلة عدا كتاب ابن الغضائري ، واختص كتاب الاختيار من كتاب

الكشي بنوعي عناء لم يحصل في غيره) (٣٥) .

ويقول القهبائي : (إنني لمّا وقفت على كتاب السيد المعظم السيد جمال الدين أحمد بن طاووس في الرجال ، فرأيتته مشتملاً على نقل ما في كتب السلف) (٣٦) .

وقد تصدّى الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين العاملي (صاحب المعالم) لكتاب (حلّ الإشكال) وانتزع منه ما حرّره السيد ابن طاووس ووزعه في أبواب من كتاب (الاختيار) وأسماء (التحرير الطاووسي) ، فقد صرح في أوله بأن ابن طاووس عني (بتبويبه [رجال الكشي] لأنّه غير مبوب] وتهذيبه ، ؟ وبحث عن أكثر أخباره متناً وسنداً وضمّ إليه فوائد شريفة وزوائد لطيفة ، ووزّعه ، على أبواب كتابه) (٣٧) ويقصد بـ (كتابه) كتاب (حلّ الإشكال في معرفة الرجال) وأنّ (التحرير الطاووسي) هو تحرير لهذا الكتاب .

وتعتبر تجربة المصنف من التجارب الرائدة في حقل تصنيف الرجال ، حيث يقول في مقدمة الكتاب : (وما أعرف أحداً سبقني إلى هذا على مرّ الدهر وسالف العصر ، وقد يكون عذر من ترك أوضح من عذر من فعل ووجه عذري ما نهت عليه أنّ الكتاب ملتبس جداً وفي تدبيره على ما خطر لي بعد عن طعن عدوّ ، أو شكّ وليّ ، أو طعن في ولي ، أو مدح لعدوّ ، وذلك مظنة الاستيناس في

موضع التهمة ، والتهمة في موضع الاستيناس ، وبناء الأحكام وإهمالها على غير الوجه ، وهو ردم لباب رحمة وفتح لباب هلكة ^(٣٨) .

وتعتبر محاولة السيد ابن طاووس هذه أول محاولة للكتابة الموسوعية في علم الرجال عند الشيعة الإمامية .

٢. ابن داود الحلّي .

هو تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي ، المولود سنة (٦٤٧ هـ) ، أي قبل تولّد العلامة بسنة ، تتلمذ على السيد جمال الدين أحمد بن طاووس (المتوفى سنة ٦٧٣ هـ) قرأ عليه أكثر كتبه ، مثل (البشري) و (الملاذ) ، حتى قال : (وأكثر فوائد هذا الكتاب من إشاراته وتحقيقاته ، ربّاني وعلمني وأحسن إليّ) ^(٣٩) .

وقد اشتهر بكتابه الرجالي (رجال ابن داود) المسمّى بـ (كتاب الرجال) ، وقد أثار هذا الكتاب الكثير من الجدل بين الفقهاء ؛ بسب ما فيه من أخطاء وهفوات ، ويكون لمراد من الأغلاط أنّه كثيراً ما يذكر الكشي مع إنّ الصواب النجاشي ، أو ينقل عن كتاب ما ليس فيه ، واشتباه رجلين بواحد ، وجعل الواحد رجلين ، أو نحو ذلك من الأغلاط في ضبط الأسماء وغير ذلك ^(٤٠) .

وقد أحصى العلامة المحقق أبو الهدى الكلباسي جميع

هذه الأغلاط ^(٤١) ، وقال صاحب (نقد الرجال) : (له في علم الرجال كتاب معروف حسن الترتيب إلّا أنّ فيه أغلاطاً كثيرة) ^(٤٢) .

وقد لخص الميرزا النوري موقف الفقهاء من الكتاب بقوله : (إلّا أنّهم في الاعتماد والمراجعة إلى كتابه هذا بين غالٍ ، ومفرطٍ ، ومقتصد .

فمن الأول : العالم الصمداني الشيخ حسين والد شيخنا البهائي ، فقال في درايته الموسومة بـ (وصول الأخير) : وكتاب ابن داود عليه السلام في الرجال مغني لنا عن جميع ما صنف في هذا الفن ، وإنّما اعتمادنا الآن في ذلك عليه .

ومن الثاني : شيخنا الاجل المولى عبد الله التستري فقال في شرحه على التهذيب ، في شرح سند الحديث الأول منه في جملة كلام له ، ولا يعتمد على ما ذكره ابن داود في باب محمّد بن أورمة ؛ لأنّ كتاب ابن داود ممّا لم أجده صالحاً للاعتماد ؛ لما ظفرنا عليه من الخلل الكثير في النقل عن المتقدمين ، وفي تنقيد الرجال والتميز بينهم ، ويظهر ذلك بادني تتبع للموارد التي نقل ما في كتابه منها .

ومن الثالث : جلّ الأصحاب ، فنراهم يسلكون بكتابه سلوكهم بنظائره ووصفوا مؤلفه بمذائح جليلة ، فقال المحقق الكركي في إجازته للقاضي الصفي الحلّي :

(وعن الشيخ الإمام سلطان الأدباء والبلغاء تاج المحدثين والفقهاء تقي الدين . . .)^(٤٣) .

وقد دافع صاحب (رياض العلماء) عن كتاب الشيخ ابن داود بقوله : (وليعلم أنَّ نقل ابن داود في رجاله عن كتب رجال الأصحاب ما ليس فيها ممَّا لي فيه طعن عليه ، إذ أكثر هذا نشأ من اختلاف النسخ ، والازدياد والنقصان الحاصل من جانب المؤلفين أنفسهم بعد اشتهاار بعض نسخها وبقي في أيدي الناس على حاله الأولى من غير تغيير ، كما يشاهد في مصنفات معاصرنا أيضاً ولا سيَّما في كتب الرجال التي يزيد فيها مؤلفوها الأسامي والأحوال يوماً فيوماً ، وقد رأيت نظير ذلك في كتاب (فهرس الشيخ منتجب الدين) ، و(فهرس الشيخ الطوسي) ، وكتاب (رجال النجاشي) وغيرها ، حتى أنَّي رأيت في بلدة السَّاري نسخة من (خلاصة) العلامة قد كتبها تلميذه في عصره ، وكان عليها خطُّه ، وفيها اختلاف شديد مع النسخ المشهورة ، بل لم يكن فيها كثير من الأسامي والأحوال المذكورة في النسخ المتداولة منه)^(٤٤) .

مميزات رجال ابن داود

لهذا الكتاب مميزات يمتاز بها لا بد من ذكرها :

أولاً : وظَّف ابن داود كتابه لخدمة علم الحديث والفقه ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : (فإني لما نظرت في أصول الفتاوى الفقهية وفروعها النظرية ، وحاولت الخلاص من الشبهات التقليدية ، واتباع ما نشأت عليه من الفتوى المحلية اضطررت إلى سبر الأحاديث المروية عن الأئمة المهديّة ، والدخول بين مختلفها على الطريقة المرضية في القواعد الأصولية ، واعتبار ما استنبطه الأصحاب منها من الفتاوى الفرعية لأصطفي الموافق للحق في الرواية ، وأطرح المخالف بالكلية ، رأيت من لوازم هذه القضية النظر في الأحاديث الإمامية ورجالها المرضية وغير المرضية)^(٤٥) .

ثانياً : اعتمد ابن داود في كتابه على مصادر رجالية لها صفة الأصالة في الفكر الشيعي الإمامي ، حيث قال : (فصنفت هذا المختصر جامعاً لنخب كتاب (الرجال) للشيخ أبي جعفر عليه السلام ، و(الفهرست) له ، وما حققه الكشي والنجاشي وما صنفه البرقي والغضائري وغيرهم)^(٤٦) .

ثالثاً : استخدم الشيخ ابن داود الحلي رموزاً في كتابه لم يسبقه أحد من الرجاليين الإماميين إليها ، فيقول : (وضمنته رموزاً تغني عن التطويل وتنبؤ عن الكثير بالقليل ، وبيّنت فيها المظان التي أخذت منها

واحد منهم عليه السلام (لم)^(٤٩) .

خامساً : قام بترتيب الكتاب على حروف المعجم في الأوائل والثواني ؛ فالآباء حيث قال : (ورُتِّبته على حروف المعجم في الأوائل والثواني ؛ فالآباء ، على قاعدة تقود الطالب إلى بغيته وتسوقه إلى غايته من غير طول وتصفح للأبواب ولا خبط في الكتاب)^(٥٠) .

وقد كان رائعاً في ترجمته المقتضبة للإمام الصادق عليه السلام بقوله : (لا تسع الصحف ذكر مناقبه وعلو مقامه ، فالأدب يقتضي الوقوف دونها)^(٥١) .

أمّا الإمام زين العابدين عليه السلام فذكره ابن داود بالقول : (تقصر العبارة وتضيق الأوراق عن مناقبه)^(٥٢) .

وإنّ هذه الريادة في المنهجية قد أشار إليها الشيخ ابن داود بقوله : (وهذه لجة لم يسبقني أحد من أصحابنا رضي الله عنهم) إلى خوض غمرها ، وقاعدة أنا أبو عذرها ، فالله تعالى يوفّقني لإتمام المراد ، ويجعله وسيلة إلى دار السلام بمحمد وآله الكرام)^(٥٣) .

وقال الشهيد الثاني في إجازته للحسين بن عبد

واستخرجت عنها ؛ فالكشي (كش) ، والنجاشي (جش) ، وكتاب الرجال للشيخ (جخ) ، والفهرست (ست) ، والبرقي (قي) ، وعلي بن أحمد العقيقي (عقب) ، وابن عقدة (قد) ، والفضل بن شاذان (فش) ، وابن عبدون (عب) ، والغضائري (غض) ، ومحمد بن بابويه (يه) ، وابن فضال (فض)^(٤٧) .

وقد أشار إلى هذه المنهجية الشيخ الطهراني بقوله : (وهو أول من استعمل الرموز لمصادر كتابه)^(٤٨) .

رابعاً : رمز لأصحاب النبي - ولأصحاب الأئمة عليهم السلام رموزاً خاصة بهم ، حيث أشار إلى ذلك بقوله : (وبيّنت رجال النبي - والأئمة عليهم السلام ، فكل من أعلمت عليه برمز واحد منهم فهو من رجاله ، ومن روى عن أكثر من واحد ذكرت الرمز بعددهم ؛ فالرسول (ل) ، وعلي (ي) ، والحسن (ن) ، والحسين (سين) ، وعلي بن الحسين (ين) ، ومحمد بن علي الباقر (قر) ، وجعفر بن محمد الصادق (ق) ، وموسى بن جعفر الكاظم (م) ، وعلي بن موسى الرضا (ضا) ، ومحمد بن علي الجواد (د) ، وعلي بن محمد الهادي (دي) ، والحسن بن علي العسكري (كر) ، ومن لم يرو عن

الصمد العاملي عند ذكره ابن داود : (صاحب التصانيف الغزيرة والتحقيقات الكثيرة التي من جملتها (كتاب الرجال) ، سلك فيه مسلكاً لم يسلكه فيه أحد من الأصحاب)^(٥٤) .

قال صاحب (أعيان الشيعة) : (والرجاليون منا ومن غيرنا وإن رتبوا كتبهم على حروف المعجم ، إلا أن ذلك الترتيب كان ناقصاً ، فهم يذكرون حسن قبل حسان ، وحسن بن علي قبل حسن بن أحمد ، وهو أول من التفت إلى ذلك وتداركه من أصحابنا أما من غيرنا فلست أعلم أول من فعل ذلك ، وهذا يدل على جودة قريحته ، وحسن تفكيره . ثم هو أول من رمز إلى أسماء الكتب والرجال في كتب الرجال من أصحابنا ، وتبعه من بعده إلى اليوم طلباً للاختصار . . .)^(٥٥) .

وقد تأثر بمنهجية ابن داود الشيخ الحر العاملي في كتابه (أمل الآمل) بقوله : (وسلوكه في كتاب الرجال أنه رتبته على الحروف الأول فالأول في الأسماء وأسماء الآباء والأجداد كما فعلنا نحن هنا)^(٥٦) .

وقد أشاد الشيخ الطهراني بمنهجية الشيخ ابن داود فقال : (سلك ابن داود في رجاله مسلكاً لم يسبقه إليه أحد ؛ حيث رتبهم على الحروف في الأسماء والآباء ،

وجعل الرموز لِمأخذ كتابه من كتب الرجال ، وجعل لأبواب رجال الشيخ الطوسي رموزاً بالقبول)^(٥٧) .

منهجية ابن داود في كتابه

كان رجال ابن داود متميزاً في المنهجية والترتيب العلمي ؛ فقد رتبته على أساس الحروف الأبجدية ، الأول فالأول من الأسماء وأسماء الآباء والأجداد ، وقد قسّم كتابه إلى قسمين ، وأشار إلى ذلك بقوله : (بدأت بالموثّقين وأخّرت المجروحين ليكون الوضع بحسب الاستحقاق ، ولا ترتيب بالقصد لا بالاتفاق)^(٥٨) .

أما القسم الأول فقد خصّصه للممدوحين وأشار إليه بقوله : (في ذكر الممدوحين ومَن لم يضعفهم الأصحاب في ما علمته)^(٥٩) .

وقد وزّع الرجال في فصول على حروف المعجم من الهمزة إلى الياء ، ووضع فصلاً للكنى وآخر للنساء اللواتي لهنّ روايات ، وقد ختم بذلك القسم الأول من كتاب الرجال .

وأهم ميزات الجزء الأول أنه وضع عنواناً خاصاً لجماعة وصفهم النجاشي بقوله : (ثقة ثقة)^(٦٠) مرتين ، وعددهم أربعة وثلاثون رجلاً ، رتبهم على

الحروف ، وأضاف إلى ذلك خمسة رجال وصفهم ابن الغضائري بأنهم (ثقة ثقة) مرتين .

ومن ميزاته أيضاً أنه قد خصّص مؤلفه فيه للعظماء من الرجال جانباً من كتابه وأشار إليهم بقوله : (أجمعت الصحابة على ثمانية عشر رجلاً فلم يختلفوا في تعظيمهم غير أنهم يتفاوتون ثلاثة درج)^(٦١) .

وأما القسم الثاني : فقد خصّصه الشيخ ابن داود للرجال المجروحين والمجهولين وأشار إليهم بقوله : (إذ بمعرفتهم يتمّ غرض الناظر في الأحاديث ليتقي السقيم ، ويعمل بالسليم ، وهذا القصد وإن كان منهياً لقوله تعالى : ﴿ إِنِّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(٦٢) ، فهو في هذا الماقت مأمور به ، إذ العرض منه الوقوف على الحق ، والبعد عن الشبهة في الفتيا لا قذف الرواة وبيان نقصهم . . .)^(٦٤) .

وقد ورّع الرجال في فصول على حروف المعجم من الهمزة إلى الياء ، وبعد حرف الياء خصّص (٦٦) ترجمة للواقفة ، و (١٦) ترجمة للفطحية ، و (٢٧) ترجمة للزيدية ، و (٣٩) ترجمة للسنة و (١٦) ترجمة للكيسانية . . . وإلى آخره ، وقد

أنهى القسم الثاني من الكتاب بباب (كنى الضعفاء) .

ومما تميّز به الجزء الثاني أنه وضع عنواناً بلفظ (تنبيهات)^(٦٥) أوضح فيه المصطلحات الخاصة بعلم الرجال وعددها تسع تنبيهات ، وكان التنبيه التاسع قد خصّ به رواية الشيخ الصدوق وما رواه الشيخ الطوسي .

٣. العلامة الحلي

كتب العلامة في الرجال أربعة كتب ، بعضها مطولات ، وأخرى مختصرات ، إلا أنّ أهمّ ما وصل إلينا هو كتاب واحد فقط ، بينما فقدت الأخرى ، وهذه الكتب هي :

أ- إيضاح الاشتباه في أسماء الرواة

فقد ورد هذا الكتاب بلفظين : (إيضاح أسماء الرجال)^(٦٦) ، و (إيضاح الاشتباه في أحوال الرواة)^(٦٧) .

وقد ترجم له الشيخ الطهراني فقال : (إنّ هذا الكتاب في ضبط تراجم الرجال على ترتيب حروف أوائل الأسماء ببيان الحروف المركبة منها ، أسماؤهم وأسماء آبائهم وبلادهم ، وذكر حركات

تلك الحروف . . . ورَّبه جدّ صاحب (الروضات)
على النحو المألوف من مراعاة الترتيب في الحروف
الثاني والثالث أيضاً ، وسَمَّاه (تَتْمِيمُ الإِفْصَاحِ)
وتَمَّمه بإلحاق جملة مما فات من العلامة مع رعاية
تمام الترتيب . . .)^(٦٨) .

ب . كشف المقال في معرفة الرجال .

أشار العلامة الحلي إلى كتابه هذا في رجاله
المعروف (خلاصة الأقوال في معرفة الرجال) ،
وقد أوضح منهجه في كتابه هذا بقوله : (ذكرنا فيه
كلّما نقل عن الرواة والمصنفين ممّا وصل إلينا عن
المتقدمين ، وذكرنا أحوال المتأخرين والمعاصرين ،
فمن أراد الاستقصاء فعليه به ، فإنّه كافٍ في
بابه)^(٦٩) .

ج . تلخيص فهرست الشيخ الطوسي .

حيث قام رحمته الله بتلخيص كتاب (الفهرست) الذي ألفه
الشيخ الطوسي ، وحذف منه الكتب والأسانيد^(٧٠) .

د . خلاصة الأقوال في معرفة الرجال

وهذا هو المصدر الوحيد الذي وصلنا من كتب
العلامة الرجالية ، وهو من المصادر المهمّة عند

الطائفة ، وقد عُرف هذا الكتاب باسم (رجال العلامة
الحلي) ، حيث بيّن فيه أهمية علم الرجال وأثّره
جزءاً لا يتجزأ من أدوات الاستنطاق ، وبيّن سبب تأليفه
للكتاب ، فقال في مقدمته : (إنّ العلم بحال الرواة
من أساس الأحكام الشرعية ، وعليه تبتنى القواعد
السمعية ، يجب على كل مجتهد معرفته وعلمه ،
ولا يسوغ له تركه وجهله ؛ إذ أكثر الأحكام تستفاد
من الأخبار النبوية والروايات عن الأئمة المهديّة ،
فلا بد من معرفة الطريق إليهم ، حيث روى مشايخنا
(رحمهم الله) عن الثقة وغيره ، ومن يعمل بروايته
ومن لا يجوز الاعتماد على نقله ، فدعانا ذلك إلى
تصنيف مختصر في بيان حال رواة ومَن يعتمد
عليه ، ومن تترك روايته ، مع أنّ مشايخنا السابقين
(رضوان الله عليهم أجمعين) صنفوا كتباً متعددة
في هذا الفن ، إلّا أنّ بعضهم طوّل غاية التطويل مع
إجمال الحال فيما نقله ، وبعضهم اختصر غاية
الاختصار ، ولم يسلك أحد النهج الذي سلكناه في
هذا الكتاب ، ومن وقف عليه عرف منزلته وقدره
وتميّزه عمّا صنّفه المتقدمون)^(٧١) .

منهجيته في كتاب خلاصة الأقوال في معرفة الرجال

قسّم العلامة الكتاب إلى قسمين وخاتمة :

فالقسم الأول : خصّصه للذين يُعتمد على روايتهم ، أو يترجّح عنده قبول قولهم ، وهم (الثقات والممدوحون) .

وقد ضمّ القسم الأول سبعة وعشرين فصلاً ، وخصّص الفصل الثامن والعشرين للكنى .

أما القسم الثاني : فقد خصّصه لمن تُركت روايته أو توقف فيه ، وهم (الضعفاء والمجاهيل) .

وقد ضمّ سبعة وعشرين فصلاً ، وقد رتبّه على حروف المعجم للتقريب والتسهيل .

والخاتمية : وجعل فيها عشر فوائد ، وهذه الفوائد تعبّر عن أسانيد الروايات التي يعتمدها المحدثون والفقهاء وأصحاب الكتب الأربعة في الحديث عند الإمامية ، فيقول : (قد ذكر أصحابنا في كتب الأخبار روايات برجال يذكرون كناهم دون أسمائهم ويعسر تحصيل أسمائهم ومعرفة حالهم إلاّ بعد تعب شديد ، وقد ذكرت أكثر ذلك في هذه الفائدة)^(٧٢) .

وقد أوضح خصائص الفوائد العشر كل واحدة على انفراد ، وختم بقوله : (وقد اقتصرت من الروايات إلى هؤلاء المشايخ بما ذكرت ، والباقي من الروايات إلى هؤلاء المشايخ وإلى غيرهم مذكور في كتابنا الكبير من أراده وقف عليه هناك)^(٧٣) .

وأهم ميزة تميّز بها كتاب (خلاصة الأقوال) للعلامة هذا أنّه نقل أسانيداً من رجال العقيقي وابن عقدة وثقات ابن الغضائري ، وكُتب أخرى لم تصل إلينا ، فكان حلقة الوصل إلى كتب القدماء التي اندثرت لسبب من الأسباب ، وإلى ذلك أشار المحقق التستري بقوله : (فجعله من المدارك مطلقاً كما فعلوا ، حيث ينقلون عباراته كما ينقلون من الكشي والنجاشي ورجال الشيخ وفهرسته وابن الغضائري ، فغير حسن في كلّ موضع ، وإنّما يحسن في ما لم نقف على مستنده ؛ كما في ما ينقل من جزء من رجال العقيقي ، وجزء من رجال ابن عقدة ، وجزء من ثقات كتاب ابن الغضائري ، ومن كتاب آخر له في المذمومين لم يصل إلينا كما يظهر منه في سليمان النخعي ، ومن كتابه الواصل إلينا ممّا ليس موجوداً في نسخنا ، وكذا من النجاشي في ما لم يكن في نسخنا ، فكان عنده الكاملة من النجاشي ، وأكمل من الموجود من ابن

كما يمكن أن يقال : إنَّ كليهما قد استقلا في التنسيق والمنهج بلا استلزام أحدهما من الآخر ، غير أنَّ المظنون هو أنَّ المؤلِّفين بما أنَّهما تتلمذا على السيد جمال الدين أحمد بن طاووس المتوفى سنة (٦٧٣ هـ) ، وقد كان هو رجالي عصره ، ومحقق زمانه في ذلك الفنّ ، قد اقتفيا في تنسيق الكتاب ما خطّه أستاذهما في ذلك الموقف ، والله العالم ^(٧٥) .

والنتيجة : أنَّ علم الرجال في زمن مدرسة الحلة قد حظي بترتيب ومنهجية أسماء الرواة بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الإمامي ، حيث أكّد علماء الحلة على كون الاعتناء بعلم الرجال باعتباره ركناً مهماً من أركان الاستنباط الفقهي ، وكانت منهجية علم الرجال واستخدام الشفرات والرموز وأساليب الاختصار الأخرى محاولة جديدة لتيسير مطالب هذا العلم للجيل الجديد من الفقهاء والمجتهدين .

الغضائري كما في ليث البختري ، وهشام بن إبراهيم العباسي ، ومحمد بن نصير ، ومحمد بن أحمد بن سنان ، ومحمد بن أحمد بن قضاة ، ومحمد بن الوليد الصيرفي ، والمغيرة بن سعيد ، ونقيع بن الحارث ، وأحمد بن هلال العبرتائي ، وأحمد بن القاسم بن طرخان وجابر بن يزيد الجعفي ، والحسن بن علي بن زكريا ، والربيع بن زكريا الوراق ، وسليمان بن زكريا الديلمي ، وعبد الحميد بن أبي الديلم ، وعبد الكريم بن عمرو ، وعلي بن أبي حمزة .

وكما ينقل في بعضهم أخباراً لم نقف على مأخذها ؛ كما في إسماعيل بن الفضل الهاشمي ، وفي ما أخذه من مطاوي الكتب كـ (محمد بن أحمد النطنزي) ^(٧٤) .

وبما أنَّ هذا الكتاب و (رجال ابن داود) متماثلان في التنسيق وكيفية التأليف يمكن أن يقال : إنَّ واحداً منهما اقتبس المنهج عن الآخر ،

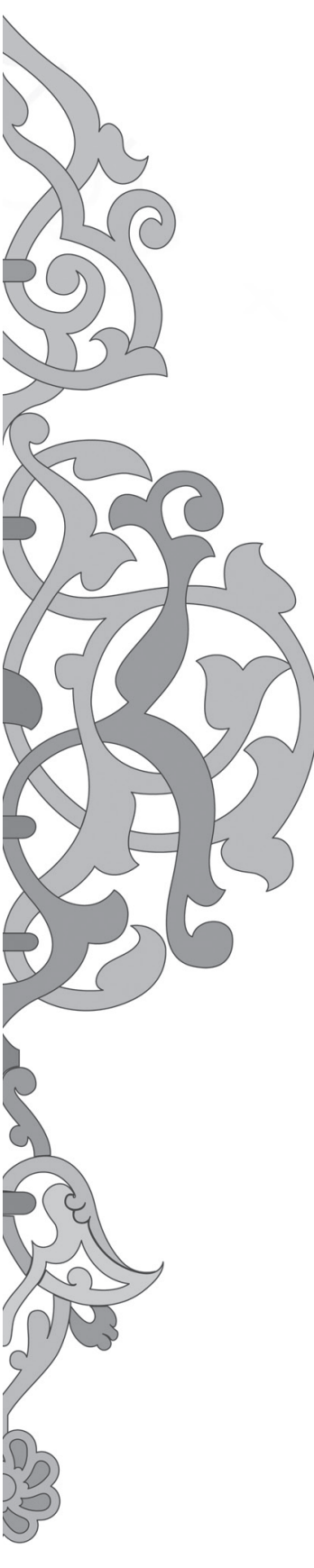
الهوامش :

- [٥] الطوسي ، محمد بن الحسن ، اختيار معرفة الرجال ، ص ١٤ ، ح ٢ .
[٦] الكاظمي ، عبد النبي ، تكملة الرجال ، ج ١ ص ١٠٩ - ١١١ .
[٧] الصدر ، حسن ، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : ص ٢٣٣ .

- [١] الأعرجي ، زهير ، مجلة تراثنا : ج ٨٩ - ٩٠ ، ص ١٥٤ .
[٢] سورة الحجرات : ٦ .
[٣] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار ، ج ٢ ص ٢٢١ .
[٤] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

- [٨] انظر : النجاشي ، أحمد بن علي ، رجال النجاشي : ص ٧٦ ، رقم ١٨٢ .
- [٩] انظر : ابن طاووس ، علي بن موسى ، فرج المهموم ، ص ١٣٠ .
- [١٠] السبحاني ، جعفر ، كليات علم الرجال ، ص ٥٩-٦٠ .
- [١١] انظر : النجاشي ، أحمد بن علي ، الرجال ، ص ١٣٢ ، رقم ٣٣٩ .
- [١٢] الطوسي ، محمد بن الحسن ، الرجال ، ص ٢ .
- [١٣] النجاشي ، أحمد بن علي ، الرجال ، ص ٣٨٩-٣٩١ ، رقم ١٠٤٩ .
- [١٤] النجاشي ، أحمد بن علي ، رجال النجاشي ، ص ٢ .
- [١٥] النجاشي ، أحمد بن علي ، رجال النجاشي ، ص ٤٣٠ ، رقم ١٠٦٨ .
- [١٦] السبحاني ، جعفر ، كليات علم الرجال ، ص ٦٣ .
- [١٧] الطوسي ، محمد بن الحسن ، الفهرست ، ص ٢ .
- [١٨] الجلال ، محمد رضا الحسيني ، المنهج ، ص ٦٢-٦٣ .
- [١٩] انظر : الطوسي ، محمد بن الحسن ، رجال الطوسي ، ص ٢ .
- [٢٠] التستري ، محمد تقى ، قاموس الرجال ، ج ١ ص ٢٩ .
- [٢١] السبحاني ، جعفر ، كليات علم الرجال ، ص ٦٩ .
- [٢٢] انظر : الغضائري ، أحمد بن الحسين بن عبد الله ، رجال ابن الغضائري ، ص ١٨ ، (المقدمة) .
- [٢٣] منتجب الدين ، علي بن موفق الدين ، فهرست الشيخ منتجب الدين ، ص ٥-٦ .
- [٢٤] انظر : السبحاني ، جعفر ، كليات علم الرجال ، ص ١١٢ .
- [٢٥] المجلسي ، محمد تقى ، بحار الانوار ، ج ١٠٥ ص ٢٠٠ .
- [٢٦] ابن شهر اشوب ، محمد بن علي ، معالم العلماء ، ص ٢ .
- [٢٧] السبحاني ، جعفر ، كليات علم الرجال ، ص ١١٣ .
- [٢٨] الاعرجي ، زهير ، مجلة تراثنا ، ج ٨٩-٩٠ ص ١٨٣ .
- [٢٩] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٤٦ .
- [٣٠] النوري ، الميزرا حسين ، خاتمة مستدرک الوسائل ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ .
- [٣١] انظر : حب الله ، حيدر ، نظرية السنة في الفكر الإمامي ، ص ١٧٠ .
- [٣٢] الأمين ، محسن ، أعيان الشيعة ، ج ٣ ص ١٩٠ .
- [٣٣] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٤٦ .
- [٣٤] الطهراني ، آقا بزرگ ، الذريعة ، ج ٧ ص ٦٤ .
- [٣٥] الطهراني ، آقا بزرگ ، الذريعة ، ج ٧ ص ٦٤-٦٥ .
- [٣٦] القهبائي ، علي ، مجمع الرجال ، ج ١ ص ١٠ .
- [٣٧] العاملي ، حسن بن زين الدين ، التحرير الطاووسي ، ص ٤ .
- [٣٨] العاملي ، حسن بن زين الدين ، التحرير الطاووسي ، ص ٥ .
- [٣٩] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٤٦ .
- [٤٠] انظر : ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ١٤ .
- [٤١] الكليني ، أبو الهدى ، سماء المقال في تحقيق علم الرجال ، ص ٩٢ .
- [٤٢] التفرشي ، مصطفى بن الحسين ، نقد الرجال ، ج ٢ ص ٤٣ .
- [٤٣] النوري ، ميرزا حسين ، خاتمة مستدرک الوسائل ، ج ٢ ص ٣٢٥-٣٢٦ .
- [٤٤] الأفندي ، عبد الله ، رياض العلماء ، ج ١ ص ٢٥٨ .
- [٤٥] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٥ .
- [٤٦] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٦ .
- [٤٧] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٦ .

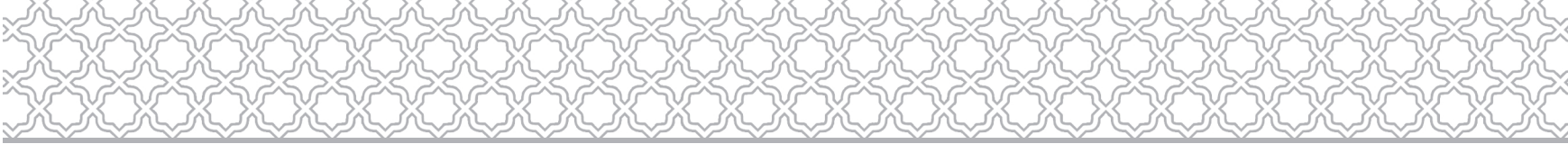
- [٤٨] الطهراني ، آقا بزر ، طبقات اعلام الشيعة ، القرن الثامن ، ص ٤٣ .
- [٤٩] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٦ .
- [٥٠] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٥ .
- [٥١] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٦٥ .
- [٥٢] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ١٣٦ .
- [٥٣] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٦ .
- [٥٤] الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، أمل الآمل ، ج ١ ص ٧١ .
- [٥٥] العاملي ، محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج ٥ ، ص ١٩٠ .
- [٥٦] الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، أمل الآمل ، ج ٢ ص ٧١ .
- [٥٧] الطهراني ، آقا بزرگ ، مصفى المقال في تصنيف الرجال ، ص ١٢٦ .
- [٥٨] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٥ .
- [٥٩] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٩٢ .
- [٦٠] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٩ .
- [٦١] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٠٧ .
- [٦٢] سورة النور ، الآية ١٩ .
- [٦٣] الماغوط : رشاء الدلو . (انظر : الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس ، ج ٥ ، ص ٢٢٦) .
- [٦٤] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٢٢٥ .
- [٦٥] ابن داود ، الحسن بن علي ، كتاب الرجال ، ص ٣٠٦ .
- [٦٦] الصدر ، حسن ، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ، ص ٢٧١ .
- [٦٧] الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، أمل الآمل ، ج ٢ ص ٨٥ .
- [٦٨] الطهراني ، آقا بزرگ ، الذريعة ، ج ٢ ص ٤٩٣ .
- [٦٩] الحلّي ، الحسن بن يوسف ، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال ، ص ٤٤ .
- [٧٠] انظر : بحر العلوم ، محمد صادق ، مقدمة (رجال العلامة) ، ص ٣٢ .
- [٧١] الحلّي ، الحسن بن يوسف ، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال ، ص ٤٤ .
- [٧٢] الحلّي ، الحسن بن يوسف ، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال ، ص ٤٢٧ .
- [٧٣] الحلّي ، الحسن بن يوسف ، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال ، ص ٤٤٥ .
- [٧٤] التستري . محمد تقي ، قاموس الرجال ، ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ .
- [٧٥] انظر : السبحاني ، جعفر ، كليات علم الرجال ، ص ١٢٠ .



فِي ضُفَافِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

❖ الْعَدَالَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ فِي وَصَايَا أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

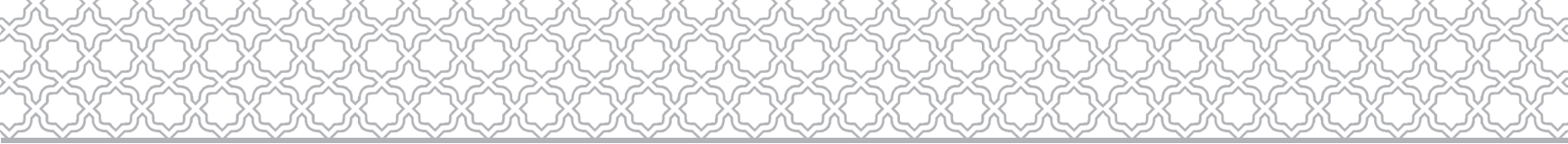
❖ لِمَكَانِ مِنْ حَيَاةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ الْجَوَادِ



العَدَالَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ
فِي وَصَايَا أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
رِسَالَةُ الْحُقُوفِ أُنْمُودَجًا

❖ د. صادق عبد الرحيم العلوي (*)

(*) أكاديمي وباحث من العراق.



رسالة الحقوق - وثيقة أخلاقية وإنسانية

ان رسالة الحقوق لا يمكن التعامل معها على انها تخص المسلمين الشيعة او المسلمين فقط بل هي بمثابة رسالة عامة ووثيقة أخلاقية-إنسانية لكل «العالمين» وفق النص القرآني ﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾ ولا بد من تعميمها ومقارنتها او ربطها بمبادئ حقوق الانسان والهيئات الدولية المختصة بالعدالة المساواة ومن خلال هذه النافذة يمكننا اشراك الآخرين بثقافتنا العادلة والعالمية والمنفتحة ردا على التشويه الذي أحدثته الجماعات التكفيرية من «داعش» و«النصرة» واخواتها التي تعمل على إظهار الإسلام بأنه دين التوحش والسبي والاعتصاب والقتل وهدم الإرث الحضاري للأمم والتكفير العشوائي للمسلمين ولكل العالم ما عدا اميركا والعدو الإسرائيلي .

تعريف «العدالة الاجتماعية» في القانون الوضعي

ان مصطلح العدالة الاجتماعية مصطلح مركّب من كلمتي «العدالة» و«الاجتماعية» ولتبيان وفهم هذا المصطلح لا بد من تعريف كلمتي العدالة والاجتماعية .

تعريف العدالة : العدالة (اسم) - مصدرها (عَدَلَ) يعني (عَدَلَ ، إِنْصَافَ ، حُكْمَ مُتَجَرِّدَ ، من دون تَحْيِيزٍ)^(١) والأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط والمساواة في إعطاء الحقوق والالتزام بالواجبات دون تفرقة أو تمييز لأي سبب من الأسباب سواء كان دين أو جنس أو لون والعدل اسم من أسماء الله الحسنى ويشدد الله سبحانه على وجوب العدل فيقول (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا

أعدلوا هو أقرب للتقوى (٢)

تعريف العدالة الاجتماعية في الفلسفة :

تعتبر العدالة الاجتماعية إحدى الفضائل الأربع التي سَلَّم بِهَا الْفَلَسَفَةُ وَهِيَ (الْحِكْمَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَدَالَةُ) .

العدالة الاجتماعية :

تتعدد تعريفات العدالة الاجتماعية وتتغير عبر التاريخ فهي منظومة أخلاقية إنسانية وفق التكافل الاجتماعي وتكافؤ الفرص عبر نظام اقتصادي واجتماعي يزيل الفوارق الاقتصادية الكبيرة بين طبقات المجتمع كافة مناحيه ، لتوفير معاملة عادلة وحصة تشاركية من خيرات المجتمع وتشكل حقوق الانسان والمساواة وحرية الفكر والتعبير وحرية التنقل ، ويعتبر الفيلسوف «جون رولس» (٣) أن العدالة الاجتماعية فكرة فلسفية لا سياسية) . ويعتبر حزب الخضر (٤) احد اهم المنظمات التي ترفع شعار العدالة الاجتماعية ويطلقون عليها اسم «المساواة العالمية والاجتماعية والعدالة الاقتصادية (Global Equality social and Economic Justice)» وتعد أحد الأركان الأربعة لحزب الخضر Four Pillars of the Green Party . ويعرّف حزب الخضر الكندي العدالة

الاجتماعية بأنها «التوزيع المتساوي للموارد لضمان بأن الجميع لديهم فرص متكافئة للتطور الاجتماعي والشخصي» .

لكن رغم التنوع الكبير في مفهوم العدالة الاجتماعية ، والتعريفات ، يجمع الكثير من البحوث الأكاديمية ، على عدد من العناصر لتحقيق العدالة الاجتماعية أبرزها :

- * المساواة وعدم التمييز وتكافؤ الفرص .
- * التوزيع العادل للموارد والأعباء .
- * الضمان الاجتماعي .
- * توفير السلع العامة .
- * العدالة بين الأجيال .

ان العدالة الاجتماعية حق من حقوق الإنسان مهما كان لونه او جنسه او قوميته او معتقده كفلته الشرائع السماوية وخاتمتها الإسلام الذي بشر به وارسى دعائمها الرسول الأكرم محمد ﷺ والأئمة عليهم السلام وهي ليست عطاء او مكرمة من احد بل حق مفروض ومكتسب لا يجوز لأحد ان يسلبه لأي فرد مهما كان ضعيفا او مستضعفا» .

مرجعية وركائز العدالة الاجتماعية .

تنقسم العدالة الاجتماعية من حيث المرجعية الحاكمة والمبادئ والأسس الى نوعين :

عدالة الهية ثابتة لا تتغير لأنها الأمثل لا تميز بين «العالمين» واولى مظاهر العدالة الاجتماعية الإلهية ما بشر به القرآن الكريم ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾^(٥) حيث عمم الرحمة لتشمل العالمين ولم يخصها بالمسلمين او المؤمنين ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾^(٦) ﴿ وما أرسلنا رسولا الا بلسان قومه ليبين لهم .. ﴾^(٧) لإحترام الناس خلاف المستعمرين الذين يفرضون لغتهم لمحو الهوية الثقافية للشعوب المستضعفة .

عدالة وضعية (بشرية) تتغير وفق نظام الحكم او شخصية الحاكم او العقيدة والقومية الحاكمة ولا يمكن تحديد تعريف واحد للعدالة الاجتماعية الوضعية لا من جهة الثبات ولا من جهة المفهوم .

تعريف العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم :

تعتمد العدالة الاجتماعية في القرآن على المبادئ التالية :

- المعاملة بالمثل المعاقبة بالمثل مع التشجيع على

العفو ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾^(٨)

- التعامل بالمساواة وعدم التمييز بين الخلق . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ وجعل منظومة التقرب الى الله والتكريم الإلهي بيد المخلوق وفق معادلة التقوى والطاعة لله والخوف من معصيته أي ترك الحرية المطلقة للإنسان بخياراته السلوكية نحو الله سبحانه .

- عدم الإكراه : لقد ترك الله الخيار في عبادة الانسان له وفق خيار الانسان وعدم الإكراه في المعتقد ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ - مع قدرة الله على الزامه - ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾ مع الكرم والرفق الإلهي في ارشاد المخلوق الى الطريقين الايمان والكفر ودون تحميل الانسان عبء البحث عنهما حيث يقول تعالى ﴿ انا هديناه النجدين فاما شاكر ااما كفورا ﴾

- حصر العقاب بالفاعل ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ مما يعني عدم تحميل مسؤولية لغير الفاعل ومعاقبة اقربائه وعائلته او عشيرته وبالتالي تسقيط منظومة (الثأر) المعتمدة في مجتمعنا الإسلامي

قبول التوبة والاستغفار بما يمثلان من قمة في العدالة

- عدالة اجتماعية بين طرفين بشروط الهيئة (حق أهل الذمة) او ثلاثية الاطراف

الاختلاف في الدين والعقيدة لا يمنعان وجوب العدالة لا يسلب المخالف لعقيدتك من استفادته من العدالة الاجتماعية الحاكمة ولكن بشروط الهيئة وردت في القرآن الكريم (وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَاَلْحُكْمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا قَبِلَ اللَّهُ ، وَتَفِي بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ ذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ وَتَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ فِيمَا طَلَبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأُجْبِرُوا عَلَيْهِ وَتَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حَكَّمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا جَرَى بَيْنَكَ [وَبَيْنَهُمْ] مِنْ مُعَامَلَةٍ) لقد تم تحديد مبادئ العدالة الاجتماعية بين المسلم واهل الذمة انه بين طرفين بشريين لكنها خاضعة لشروط الهيئة ونبوية لا تسمح بالاجتهاد فيها لأن الذمي المعتقد برسالة سماوية انزلها الله سبحانه ولو خالف بعض معتنقيها بعض المبادئ منها او تم تحريف بعض مفاهيمه فالحساب متعلق بالله سبحانه وهو يقبل او يرفض عملهم ولا شأن لك بمحاسبة الآخرين في دينهم بل عليك واجب ارشادهم ودعوتهم الى الإسلام ولذا ورد في النص المتعلق باهل الذمة (بما قبل الله منهم -بما جعل الله لهم -بما حَكَمَ الله . .) .

— عدالة اجتماعية بين طرفين : وهي العدالة الاجتماعية العامة بين الناس على اختلاف طبقاتهم

الاجتماعية الإلهية فبمجرد الاستغفار الأصيل والتوبة النصوح حتى لو قاربت الروح حبل الوريد قبل الموت لقبها الله سبحانه ثم اتبعها بالشفاعة يوم الحساب للرسو الاكرم ﷺ والأئمة عليهم السلام ثم الشهداء والصادقون والصالحون وتختتم بالشفاعة الإلهية العامة حتى يكاد «ابليس» ان يمد عنقه حتى ينال بعضا منها .

أنواع العدالة الاجتماعية في رسالة الحقوق :

تشمل كل ما يتعلق بأحوال الانسان لتبقيه جزء فاعلا غير مشلول او معزول ومنبوذ في بيئته الاجتماعية على المستويات السياسية والمعيشية والثقافية وكل مرتكزات التي يقوم عليها المجتمع الإنساني وفق الرؤية الإلهية القرآنية والسنة النبوية الشريفة ومساهمات الأئمة عليهم السلام وتنقسم الى اربع مستويات وفق التالي :

- عدالة اجتماعية تتمثل بحق طرف واحد ولا تحتاج الى طرفين وهي العدالة بين الله سبحانه وتعالى وبين المخلوق حيث يكون لله جل وعلا الحق عليك ولا حق لك عليه فهو الذي خلقك واعطاك كل شيء ولم تعطه أي شيء مقابل ، فالعدالة تقتضي بأن تعطيه حقه بأن تعبد لا تشرك به شيئا (أما حق الله الأكبر فإنك تعبد ، لا تشرك به شيئا) .

واجناسهم ومواقعهم الاجتماعية والسلطوية وعلاقاتهم الخاصة والعامة وبين الفرد ونفسه .

- عدالة اجتماعية ذاتية (بين الفرد ونفسه) . وهذا ما يتعلّق بالإنسان ونفسه وروحه وأعضاء بدنه وحواسه التي بالمعطى الظاهري يمتلكها وله حق الإمرة والعمل بها لكن في الجوهر فإنه مؤتمن عليها ولا يحق التصرف والعمل بواسطتها الا وفق الشروط والمبادئ الإلهية الحاكمة في منظومة الطاعة والعبادة ومكارم الأخلاق .

ان رسالة الحقوق للإمام السجّاد عليه السلام لم تنص مباشرة بالمصطلح الصريح على (العدالة الاجتماعية) واسسها ومركزاتها ومبادئها ، بل اذابت مكنوناتها في الحقوق التي ذكرها الامام السجاد مستلهما من النص القرآني (العالمين) و(الناس) ومن النص النبوي الشريف (لا فضل لعربي على اعجمي . . . الا بالتقوى) ولذا فقد ارتكزت العدالة الاجتماعية في رسالة الحقوق على المبادئ التالية :

- العدالة الاجتماعية نتاج تكامل القناعة والسلوك والعقيدة الإسلامية وتربية ذاتية ومكتسبة يمكن ان تكون عملا الزاميا يفرضه ولي الأمر على القضاة والمجتمع الإسلامي وعدم تحويله لعمل انتقائي أو مصلحي .

- العدالة الاجتماعية تمثل عملا «عابديا» وهي من

مركزات المنظومة الأخلاقية الإسلامية وقد جاء في الحديث النبوي (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٩)

- العدالة الاجتماعية على مستويين الهي (ديني) وديوي (ذاتي وعام) اما الذاتي ان تتعاطى بعدل مع نفسك الكليّة والجزئية من أعضاء جسدك (اليد والرجل والعين واللسان . .) وخارجي مع (الاسرة والرحم والعدو والصديق وبقية الشرائع الاجتماعية)

- العدالة لا تكون باتجاه واحد بل بالاتجاهين فمن يطلب حقه عليه ان يعطي الآخرين حقوقهم .

ان العدالة الاجتماعية التي تكتنزها رسالة الحقوق تنفرد عن غيرها من المفاهيم المتعلقة بالعدالة الاجتماعية انها تعتبر ان لكل مخلوق حقوقا «تجاه الآخرين بالتلازم على اعترافه بأن للآخرين حقوقا» عليه الا في أمر واحد يتعلق بالله سبحانه فله الحق الأكبر على الانسان ولا حقوق للمخلوق عليه وانما واجبات تبدأ بالشكر والحمد والعبادة وعدم الإنكار لرحمته وفضله على الناس اما بقية المخلوقين فإن منظومة الحقوق متبادلة بالاتجاهين حيث تتحقق العدالة بينهما بشراكتهما في صناعتها بالتنازل والتعويض او التبادل في الحقوق حتى لا تعرّض العدالة الاجتماعية بينهما للاختراق والخذش ولا تحتاج عملية تحقيق العدالة في رسالة الحقوق الى قوة القاهرة لتثبيتها

واحقاقها بل تتولد العدالة نتيجة قناعة واعتقاد الطرفين بوجوبها وثواب تحقيقها طاعة لله سبحانه وتنفيذا لأحكامه ولا تحتاج الى قاض وشرطي وحاكم يفرضها بل تتولد بسعي الطرفين اليها بطوعية واستحباب طلبها للثواب والأجر وهي تتميز أيضا بأنها ثابتة لا تتغير وفق الزمان والمكان والسلطة الحاكمة -المفترض- ان تكون (إسلامية) وبالتالي تشكل عدالة اجتماعية (معولمة) ثابتة لا تتغير وفق الزمان والمكان او السلطة الحاكمة ويمكن ان تتغير بالمصطلحات وفق العصر الذي تعيش فيه او تتوسع بمحاورها وفق الأمور المستجدة من ناحية التطور والحقوق التي لم تكن موضع ابتلاء او شكاوى (مثال الملكية الفكرية وحقوق النشر -المياه الإقليمية - ترسيم الحدود وغيرها الكثير من المستحدث في امور الحياة لكن مع ثابت لا يتغير هو المفهوم وجوهر بناء الحقوق ويترك للشارع التفصيل بالجزئيات والتفاصيل واستنباط احكامها من بطون الحقوق الإلهية التي نصّت عليها رسالة الحقوق وذلك مقابل عدالة اجتماعية متعددة التعريفات والشمولية والاستثناءات في القوانين الوضعية الرأسمالية او الاشتراكية او العنصرية او الاستعمارية (العدالة الاجتماعية الوطنية او الإقليمية او الدولية) ، مع ان العدالة الاجتماعية الاسلامية قد تم اختراقها خلافا للنص الإلهي والنبوي ، حيث قام البعض بتقسيم

المسلمين بين المسلمين الموالى والمسلمين العرب القرآني ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(١٠) والنص النبوي (إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط ، لا فضل للعربي على العجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى^(١١)) وتم تقسيم المسلمين الشيعة «المؤمنين» الى طبقتين (السادة)^(١٢) و(العامة) واعطي احد الطرفين -السادة- بعض الامتيازات وهو “الخمس” بعيدا عن الشروط المفترض وضعها للتمييز بين السادة العاملين والمؤمنين وبين السادة بالولادة فقط وضرورة التشدد بشروط الاستفادة من أموال الخمس حتى لا تكون مزاجية او انتقائية او مواصفات امام البلد واو أي عالم دين يستلم الخمس والأموال الشرعية ، بالإضافة شيوع عدم امتهان رجال الدين لأي عمل لتأمين مقومات معيشتهم (حتى التأليف او الكتابة او الوعظ والتثقيف الذي عليه واجب القيام به مقابل استفادته من الخمس والأموال الشرعية) مع ان رسول الله ﷺ والامام علي عليه السلام كانا يعملان في البساتين والنخيل ونقل الماء دون ان يكون لهم خدم للمساعدة وقد سبق اليهود وبمنطق ديني -محرف (بنسف العدالة الاجتماعية بين الناس على مدى الزمان والمكان عندما اطلقوا على الشعب اليهودي (شعب الله

المختار) وان جميع الخلق قد خلقوا من اجل خدمتهم كحيوانات بنسخة ادمية تكريما لليهود حتى لا يتفردوا من منظره . يعتقدون أن (الغويم)^(١٣) من نطف الحيوانات ، كما جاء في تلمود أورشليم (إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان) . مع ان الرسالة الدينية الإلهية هي أول من نادت بالعدالة الواقعية ، الا ان التحريفات التي اجريت قسراً على بعضها انتهك اقدس مفاهيمها الاجتماعية .

إن العدالة الاجتماعية في رسالة الحقوق المنبثقة من العدالة الإلهية والنبوية والامامية ، تتوزع على عدة مستويات (الشخصية - والعائلية - والبيئة المحيطة والاعداء والأصدقاء . .) بضوابط وتوصيفات لم تلاحظها المنظومات وقوانين العدالة الاجتماعية الوضعية وفق التالي .

القوة لا تحجب وجوب العدالة بين القوي والضعيف

ان التاريخ يتحدث عن ان القوة تصادر العدالة وفي بعض الأحيان واغلبها تسن القوانين الجائرة والمتوحشة والظالمة لحماية سلطتها لتفرضها قانونا للعدالة الاجتماعية فتقتل وتسجن وتغتصب وتنفي وتحاصر مواطنيها بحجة

انهم خالفوا قوانينها الجائرة التي تسميها الدستور او القانون الجنائي او نظام المحاكم حيث توظف قوتها في اعدام العدالة الاجتماعية وتعتبر ان العدالة هي كل امر يقيها في السلطة والحكم دون اطلاق او اعتراض من احد فتصبح العدالة الاجتماعية وليدة القوة الغاشمة ويصبح الضعيف ضحية العدالة الغاشمة بينما في الإسلام لا تمنح القوة والسلطة صاحبها حق التغلب واستباحة حقوق الآخرين وفي حادثة رسول الله ﷺ قبيل وفاته وطلبه من المسلمين في المدينة استيفاء حقهم من منه اذا كان موجودا وكشفه عن بطنه ليضرب بالسوط الذي أصاب به احد الناس وعن غير قصد . !

وحادثة مثل الامام علي امام القاضي بمواجهة اليهودي ورفضه ان يناديه القاضي بكنيته واليهودي باسمه تحقيقا للعدالة بينهما حتى لا يبدو التمايز في الموقع الاجتماعي حافزا لإصدار حكم مشكوك بنزاهته . . وفقا لما قاله الامام علي لحد عماله (وَأَسِ يَبْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ، وَلَا يَبْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ)^(١٤) وفي قول آخر (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَّعِ)

من هذه المنظومة الإلهية والنبوية والامامية نرى

ان رسالة الحقوق تورد حق الولي على الجارية وحق الجارية على الولي وحق الوالد على ولده وحق الولد على والده وحق السائس على رعيته وحق الرعية على سائسها وبقية الحقوق المذكورة ترسيخا لقاعدة ان العدالة الاجتماعية تحفظ حقوق الطرفين المختلفين والمتقابلين حتى تسمى «عدالة اجتماعية» وبمجرد سقوط احد الطرفين من المعادلة سقط مصطلح العدالة الاجتماعية والتوازن مثل كفتي الميزان ، فالميزان يسقط اسمه «كمصطلح» ووظيفته «كآلة وزن» تنصف الطرفين البائع والشاري اذا تم اتلاف او تخريب احد كفتيه وميزان العدالة الاجتماعية ينتفي وظيفته بمجر الغاء احد طرفيه المتقابلين .

- الغنى والفقر لا يعطلان مبادئ العدالة .

- الاختلاف في الدين والعقيدة لا يمنعان وجوب العدالة .

- العدالة ان تحفظ حقوق الآخرين ان لم يكونوا قادرين على حمايتهم أو تحصيلها وكانت لك القدرة الآنية على سلبها .

العدالة الاجتماعية وفق رسالة الحقوق تدعو للعدالة الاجتماعية المنبثقة من النص القرآني

والنبوي والأمامي (ونبىه الأساس الامام علي في نهج البلاغة) حيث ورد في خطبة الغدير على لسان النبي الأكرم ﷺ (فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَإِلَهُكُمْ ، ثُمَّ مِنْ دُونِهِ رَسُولُهُ وَنَبِيُّهُ الْمُخَاطَبُ لَكُمْ ثُمَّ مِنْ بَعْدِي عَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَإِمَامُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّكُمْ ، ثُمَّ الْأَمَامَةُ فِي ذُرِّيَّتِي مِنْ وَلَدِهِ إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وبالتالي فإن الحقوق التي ذكرها الامام السجاد ليست وجهة نظر او عظة رسالية اجتماعية بقدر انها حديث مستولد من القرآن والسنة النبوية الشريفة ولها مقام قداسة التسلسل الإلهي والتي تبشر الناس بالثواب الأخروي وتتوعدهم بالعقاب الأخروي والديني خلاف العدالة الوضعية التي يمسك بناصيتها ملك او امير او زعيم او تنظيم او حزب حاكم ، لذا تبعث الإطمئنان للناس المظلومين باستعادة حقوقهم وعقاب ظالمهم ونرى ان تأسيس العدالة مع النفس فقد اطلقها الامام علي عليه السلام في كتابه لابنه الإمام الحسن عليه السلام : «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً» . . وذلك بالنهي عن ظلم نفسك بأن تجبرها على ان تكون عبد احد من الخلق بعدما خلقك الله حراً «وجعلك عبدا» له وهو يحرم الشراكة معه بالعبودية لأنها تفتح الشراكة بالقرار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ ۖ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ .

العدالة مع النفس بحفظ «حق الحياة»

لقد بدأت رسالة الحقوق العدالة الاجتماعية بحفظ النفس وحققها في الحياة وعضائها بعدم الانتحار والقتل الطوعي بشكل غير مباشر وعميق يحتاج الى النفاذ اليها من الآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة كمن يستخرج اللؤلؤ من أعماق البحر ويستخرجها من المحار والأصداف وذلك من خلال الحق الأول وهو «حق الله» حيث ورد في الرسالة (أما حق الله الأكبر فإنك تعبدّه ، لا تشرك به شيئاً ، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ، ويحفظ لك ما تحب منهما . .) والحق الأول هو حق العبادة لله سبحانه وهو الهدف الأساس للخلق وفق ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (١٦)

إن العبادة في الإسلام هي الخضوع والخشوع لله تعالى ، وتعظيم الله ، والإنصياع لكل ما يحبه الله من قول ، أو فعل ، أو عمل ظاهر وغير ظاهر ،

والعبادة في الإسلام ليست مجرد حركات وطقوس يقوم بها الناس ، فإنها منهج للحياة الإنسانية كافة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٧) وتبدأ العدالة الاجتماعية من نقطة أساسية هي البقاء على الحياة التي هي بأمر الله سبحانه وعدم الاعتداء عليها ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١٨) و﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩) وعدم ظلمها والجنوح نحو (الانتحار) (القتل الاختياري والطوعي) لتتمكن من إعطاء الحقوق لأصحابها على مستوى النفس وجوارحها وحواسها واطرافها واجزائها .

ان قتل النفس (الانتحار) فقد اعتبره بعض الفلاسفة أمثال (زرادشت - نيتشه - ومونتكيو - وفولتير - وسارتر) . من مفردات الحرية الشخصية فقال (نيتشه) «مت في الوقت المناسب هكذا قال (زرادشت) وأنا أنصح لك مثل موتي الموت الإرادي الذي يأتي لأنني أريده» الذي كان يريد أن يكون حراً للموت ، وحرراً بالموت (٢٠) أما في الحضارة الإغريقية ، فقد كان اليونانيون القدماء يقطعون يد المنتحر رمزا لعقابه ، أما عندما ينتحر الشخص

المدني فللدولة حق مصادرة أملاكه لتسديد ما عليه من ضرائب .

اما في الديانة المسيحية _ فعقوبة المنتحر المسيحي حظر مراسيم الدفن الكنائسية بما يشابه العقوبة

اما في الديانة الإسلامية فقد جاء في القرآن الكريم ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾^(٢١) لم يقم رسول الله ﷺ الصلاة على المنتحر وقال (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن يحتسي سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه فحديده في يده يجيء بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها)^(٢٢) .

حق اهل ملتك عليك عامة .

وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ عَامَّةً فَأَضْمَارُ السَّلَامَةِ وَنَشْرِ جَنَاحِ الرَّحْمَةِ وَالرَّفْقِ بِمُسِيئِهِمْ وَتَأْلُفُهُمْ وَاسْتِصْلَاحُهُمْ وَشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ وَإِلَيْكَ ، فَإِنَّ إِحْسَانَهُ إِلَى نَفْسِهِ إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ إِذَا كَفَّ عَنْكَ أَذَاهُ وَكَفَّاكَ مَوْتَتَهُ وَحَبَسَ عَنْكَ نَفْسَهُ فَعَمَّهُمْ جَمِيعًا

بَدَعَوَاتِكَ وَأَنْصُرُهُمْ جَمِيعًا بِنُصْرَتِكَ وَأَنْزِلْتَهُمْ جَمِيعًا مِنْكَ مَنَازِلَهُمْ ، كَبِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ وَصَغِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ وَأَوْسَطَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِ . فَمَنْ أَتَاكَ تَعَاهَدْتَهُ بِلُطْفٍ وَرَحْمَةٍ . وَصِلْ أَخَاكَ بِمَا يَجِبُ لِإِلَاحٍ عَلَى أَخِيهِ .

- اضمار السلامة .

- الرحمة .

- استصلاحهم

- انصرهم جميعا

كَبِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ وَصَغِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ وَأَوْسَطَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِ .

ان العدالة الاجتماعية بين اهل الملة تتحقق عبر (المؤاخاة والاستصلاح والرحمة وتأسيس العائلة الكبرى) التي لا جشع او طمع فيها ولا غدر او محاولات السيطرة او العقوق ان هذا النص الارشادي مستولد من النص القرآني ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ ومن النص النبوي (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) ويشرحه الامام السجاد بشكل أوضح

في سن الشباب الذين يعانون البطالة ومن منطلق ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٢٣) . . . وكذلك في رسالة الامام علي لمالك الأشتر حيث يوصيه بالعناية بالفقراء وكفالتهم وعدم تركهم لقدرهم كواجب ديني واخلاقي حيث يقول لمالك الأشتر النخعي لما ولّاه على مصر (وَاحْفَظْ لِلّهِ مَا اسْتَحَقَّكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ - الفقراء - وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ يَتِّ مَالِكَ ، وَقِسْماً مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ ، فَإِنَّ لِأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِأَدْنَى ، وَكُلُّ قَدِ اسْتَرْعَيْتَ حَقَّهُ؛ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ النَّفِةَ لِأَحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ) فيكمل الامام السجاد هذه المسيرة الداعية للعدالة من باب (الصدقة)^(٢٤) كعطاء للذات وحساب توفير ووديعة في الآخرة والصدقة^(٢٥) على من يستحق بشرط حفظ ماء وجه المتصدق عليه واحترامه وعدم تسفهيته واذلاله امام الناس عبر عدم الاشهار والاعلان والتباهي بما اعطيته وتصدقت به ولا تمننه على ذلك او تستغله وتأخذ منه مقابل ذلك أي شيء معنوي او مادي مهما كان نوعه فالعدالة تقضي ان تأخذ من الله سبحانه وتعالى الثواب لأنك انفقت في سبيله وبالتالي لا تأخذ ممن اعطيته لأنه غير معني ان يرد اليك بدلا عن ذلك سوى الشكر لله

ويرشد المسلم للتعامل مع الجماعة بأنهم اسرته الثانية فالأكبر بمنزلة (والد) والمتوسط (اخ) والصغير (ولد) واذا تصرف كل مسلم بهذه الروحانية وسلك من هذا المسلك من اضرار السلامة للآخرين والرحمة لهم والنصرة والاستصلاح في علاقة تبادلية بين كل فرد او جماعة تتحقق العدالة الاجتماعية المثالية على المستوى الاقتصادي والتكافل والتكامل الاجتماعي والتعايش السلمي وانعدام العقوق الاجتماعي وتعميم اعمال الاستصلاح الاجتماعي وهنا لا بد من لفت الانتباه الى استعمال كلمة «الاستصلاح» وليس «الإصلاح» للدلالة على ان الناس تملك الفطرة السليمة والصالحة وانها تحتاج لتطهيرها من الشوائب والادران السلوكية وسوء الأخلاق والغشاة على عقولها او الضبابية في رؤية الحق وانتشالها من البيئة السيئة التي تعيش فيها

العدالة الاجتماعية مع الفقراء والمحتاجين

ان المحور الاقتصادي محور أساسي من محاور العدالة الاجتماعية وفق النظام التشاركي والتكافل الاجتماعي ويتعلق بتوزيع الثروة وحماية الامن الاجتماعي للمواطنين سواء في سن الشيخوخة او

سبحانه والدعاء لك بالتوفيق وحفظ الدين .

العدالة الاجتماعية بين الجيران

قال الله في كتابه الكريم ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۖ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۚ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ، ان الله خبير بما يصنعون ، وقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ (٢٦) وأوصى رسول الله ﷺ بالجار حتى الجار السابع وفي قوانين البناء الوضعية هناك قيود للبناء المتجاور أو الملاصق من ناحية وجوب عدم تقابل المداخل البيوت وعدم انفتاح انكشاف الدار وباحته (الحوش) على الجيران سواء بالمباشر أو عبر الفتحات وارتفاعها عن أرضية الغرف بما يسمى قانونا في التنظيم المدني «وقوع النظر» وبالعنوان العام «الأمان البصري» بعنوان الخصوصية وذلك من ضمن منظومة أخلاقية وإنسانية . اما في رسالة الحقوق فإن منظومة الأمان البصري والحواسي بين الجيران

(حق الجار) (٢٧) أوسع من المنظومة الوضعية من ناحية العناصر او ن ناحية المراقبة والحوافز ففي

القانون الوضعي فإن الحافز للالتزام العقوبة المادية من غرامة أو سجن أو هدم أو اغلاق والمراقبة والحكم خارجية من قبل الشرطة أو العابرين أو الجيران والحاكم قاض بشري اما في المنظومة السجادية المستولدة من النص الإلهي والنبوي والامامي فهي تنفيذ لأمر الهي وطاعة لله سبحانه بما يترتب عليه من ثواب أخروي في حالة الطاعة وعقاب أخروي في حال المعصية مع عدم انتفاء العقوبة الدنيوية المادية وفق احكام فقه العمران في الإسلام

حيث يقول الامام السجاد (لا تَتَّبِعْ لَهُ عَوْرَةً وَلَا تَبْحَثْ لَهُ عَنْ سَوْءٍ [ة] لِتَعْرِفَهَا . .) (اتباع العورة يكون بالنظر أو السماع عبر النوافذ والفتحات والابواب (لا تَسْتَمِعْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ) والسماع عبر استراق السمع لاحاديث والاصوات التي تجري في الدار وهذا اعتداء على الجار وظلم له ولأسراره بما يقع في دائرة «التجسس» وخرق فاضح للعدالة بعدم التدخل في شؤون الآخرين واختراق بما يعرف (حرم الدار) وبالتالي فإن الدوافع دينية والرقابة ذاتية طوعية دون تدخل مباشر من الآخرين وفارق كبير من ناحية الالتزام والتطبيق للمنظومة

القيمة بعدم ظلم الجار بالإعتداء على الخصوصية بين المنظومة الوضعية وبين المنظومة الأخلاقية السجّادية وإذا ما التزم كل جار نحو جيرانه وبكل الاتجاهات الأربع ، بالعفة والستر وغض البصر وصم الآذان عن أصوات الجيران عبر معادلة «التبادلية» والعمل بالمثل والاحترام المتبادل لسيطرة «عدالة حفظ وستر العورات» في الحي وبشكل متسلسل للتجمع البشري سواء في البناية الواحدة أو الحي أو القرية .

الاستنتاجات :

من خلال هذا البحث استخلاص بعض الاستنتاجات واقتراح بعض التوصيات وفق ما يلي .

- التأكيد على ان مرجعية واسس العدالة الاجتماعية هي العدالة والأحكام الإلهية

- ثبات وعالمية توصيات رسالة الحقوق وعدم المزاجية والانتقائية في احكام العدالة مقابل التغير والتعدد في مرجعيات العادلة الاجتماعية الوضعية .

الهوامش :

[١] قاموس معجم المعاني الجامع .

[٢] سورة المائدة-آية رقم ٨ .

- العدالة الاجتماعية بين الناس عملية تبادلية وتكافلية بين الطرفين المتخاصمين أو المشتركين في القضية الواحدة .

- العدالة الاجتماعية سلوك أخلاقي - انساني وعمل عبادي من دائرة الامر بالمعروف والطاعة الإلهية .

التوصيات

- تلقح برامج التعليم العراقية خصوصا بمبادئ رسالة الحقوق في مادة التربية المدني وعلى المستوى الجامعي في اختصاصي الحقوق والعلوم السياسية وغيرها .

- ان تضاف الى قوانين المحاكم المدنية والدينية وكذلك هيئات التأديب والرقابة على كل المستويات .

- توجيه طلاب الدكتوراة لتكون محاور اطروحاتهم وفق العناوين التي يطرحها المؤتمر بالإضافة الى عناوين أخرى .

- رفعها الى هيئات حقوق الانسان العالمية والأمم المتحدة لإدراج مضامينها في اتفاقيات ودساتير العدالة الاجتماعية .

[٣] (جون رولس (John Rawls - كان) (٢٠٠٢ -

١٩٢١ فيلسوف إنكليزي أخلاقي «وإسياسي» من أهم

مؤلفاته : نظرية العدالة A Theory of Justice - قانون

الجماعات البشرية The Law of Peoples - العدالة

كإنصاف Justice as Fairness

[٤] تدعو أحزاب الحضر لسياسية إيكولوجية من أجل الحفاظ على

البيئة ، كما أنها تدعو للعدالة الاجتماعية ، المساواة بين

الأجناس ، احترام التعددية الثقافية ، حل المشاكل بالحوار

والإبتعاد عن العنف ، الديمقراطية التشاركية والعلمانية من

أجل إحترام جميع المعتقدات والأفكار ، إزالة الفوارق

الاجتماعية وتحقيق دولة الرفاه لجميع المواطنين .

[٥] سورة الأنبياء - آية رقم ١٠٧ .

[٦] سورة سبأ - آية رقم ٢٨ .

[٧] سورة إبراهيم - آية رقم ٤ .

[٨] سورة النحل - آية رقم ١٢٦ .

[٩] صحيح البخاري - مسند أحمد .

[١٠] سورة الحجرات - آية رقم ١٣ .

[١١] ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - الصفحة ٣٦٢٩ ،

مستدرك الوسائل : ١٢ / ٨٩ / ١٣٥٩٨ .

[١٢] السادة صفة يطلق على بعض الشيعة من الذكور والإناث الذين

ينتسبون الى رسول الله ﷺ بالنسب الرحمي عبر الأجيال بما

يسمى شجرة العائلة ويخصون انفسهم بما يعرف ساهم السادة

من «الخمس» وينقسمون الى سادة (حسيوني) و(سادة

حسيوني) ويلبسون العمامة السوداء كرجال دين وبينما

يلبس رجال الدين من العامة (كما يصنفون المسلمين غيرهم)

بالعمامة البيضاء وينادون بعضهم بلقب «سيد» وكذلك العامة

سواء كان المناهى طفلا او رجلا «وسواء كان متدينا» او غير

متدين . . . !!

[١٣] يعتقد اليهود أنهم وحدهم الشعب المعترف عند الله ، وأن جميع

الشعوب شعوبٌ لا قيمة لها أبداً عنده سبحانه ، بل هي شعوب

تافهة ، منحطة ، لا تحمل أية فضيلة ، لا تتساوى مع اليهود

أبداً ، وإنما خلقت من أجل خدمتهم وقضاء مصالحهم ، لذلك

يطلقون عليها اسم (غوييم) أو (أغيار) ، استخفافاً بها

واحتقاراً لها !! ولفظ (غوييم) جمع مفردة (غوي) ،

استعمل للدلالة على الحيوانات المتجمعة في قطع ، أو الطيور

والحشرات والهوام التي تتحرك في أسراب ، ثم انتقل للدلالة

على الكثير المختلط من الناس ، ثم إلى سفلتهم وأشرارهم .

ويستخدمها اليهود لتوصيف جميع الناس من غير اليهود ،

وتوسّع مدلول «الغوييم» ، فأضافوا إلى الكلمة معنى القذارة

المادية والروحية والكفر ، فأصبحت كلمة (غوي) عندهم

سبّة !!

[١٤] نهج البلاغة - اب الرسائل ، رقم ٤٦ .

[١٥] سورة النساء - آية رقم ٤٨

[١٦] سورة الذاريات - الآيات رقم ٥٦ و٥٧ و٥٨ .

[١٧] سورة الأنعام - الآيتين ٦٢ و٦٣ .

[١٨] سورة المائدة - آية رقم ٨٧ .

[١٩] سورة الشورى - آية رقم ٤٠ .

[٢٠] ليون متبارد - الانتحار والأخلاق - ترجمة عادل العوا - دار

دمشق ط ١ ص ٢٩ .

[٢١] سورة النساء - آيوو رقم ٣٠ .

[٢٢] صحيح البخاري - باب شرب السم والدواء وبما يخاف منه ، ج ٥

- ص ٢١٧٩

[٢٣] سورة الذاريات - آية رقم ١٩ .

[٢٤] وَأَمَّا حَقُّ الصَّدَقَةِ فَآنُ تَعْلَمُ أَنَّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي

لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ ، فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرًّا أَوْثَقَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلَانِيَةً ، وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تَكُونَ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ أَمْرًا أَعْلَنَتْهُ ، وَكَانَ الْأَمْرُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِيهَا سِرًّا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَمْ تَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ فِيمَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْهَا بِإِشْهَادِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ عَلَيْهِ بِمَا كَانَتْهَا أَوْثَقَ فِي نَفْسِكَ لَا كَأَنَّكَ لَا تَثِقُ بِهِ فِي تَأْدِيَةِ وَدِيعَتِكَ إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَمْ تَمْتَنَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّهَا لَكَ فَإِذَا امْتَنَنْتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهْجِينِ حَالِكٍ مِنْهَا إِلَى مَنْ مَنَنْتَ بِهَا عَلَيْهِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ نَفْسَكَ بِهَا ، وَلَوْ أَرَدْتَ نَفْسَكَ بِهَا لَمْ تَمْتَنَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

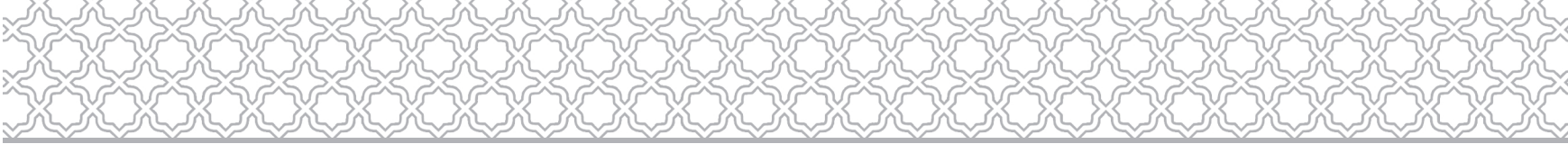
[٢٥] الصدقة فعل عبادي مستحب وواجب (الزكاة) ويتعلق

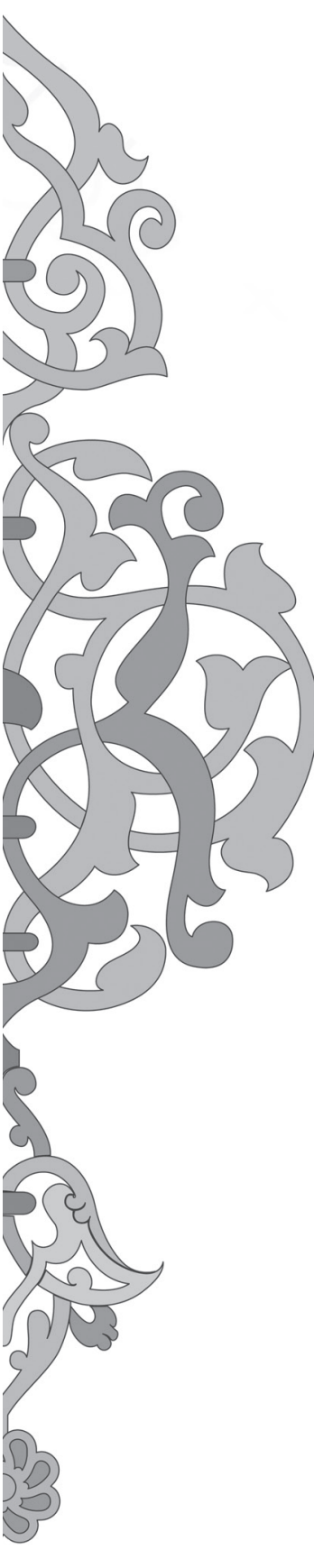
بالأموال التي ينفقها المسلم في سبيل الله تعالى وطلبها للشواب

ودره للبلاء ضمن شروط اكتساب المال الحلال وفق الحكم القرآني ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة التوبة - آية رقم ٢ .)

[٢٦] سورة النور - آية رقم ٣٠ .

[٢٧] حق الجار . وَأَمَّا حَقُّ الْجَارِ فَحِفْظُهُ غَائِبًا وَكَرَامَتُهُ شَاهِدًا وَنُصْرَتُهُ وَمَعُونَتُهُ فِي الْحَالَيْنِ جَمِيعًا [٢٧] لَا تَتَّبِعْ لَهُ عَوْرَةً وَلَا تَبْحَثْ لَهُ عَنْ سَوْءٍ [٢٧] لِتَعْرِفَهَا ، فَإِنْ عَرَفْتَهَا مِنْهُ عَنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْكَ وَلَا تَكْلُفٍ كُنْتَ لِمَا عَلِمْتَ حِصْنًا حَصِينًا وَسِتْرًا سَتِيرًا ، لَوْ بَحَثْتَ الْأَسِنَّةَ عَنْهُ ضَمِيرًا لَمْ تَتَّصِلْ إِلَيْهِ لَا نِطَوَائِهِ عَلَيْهِ . لَا تَسْتَمِعْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ . لَا تُسَلِّمُهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ ، وَلَا تَحْسُدُهُ عِنْدَ نِعْمَةٍ . تُقِيلُ عَثْرَتَهُ وَتَغْفِرُ زَلَّتَهُ . وَلَا تَدْخُرُ حِلْمَكَ عَنْهُ إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ ، وَلَا تَخْرُجُ أَنْ تَكُونَ سَلَمًا لَهُ . تُرَدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّتِيمَةِ ، وَتُبْطَلُ فِيهِ كَيْدُ حَامِلِ النَّصِيحَةِ ، وَتُعَاشِرُهُ مُعَاشِرَةٌ كَرِيمَةٌ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

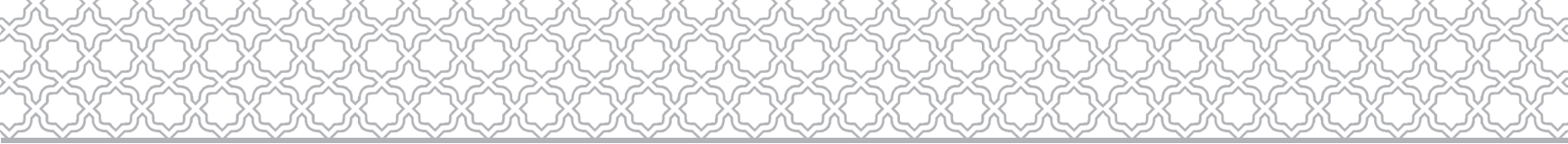




لمحاتٌ من حياة الإمام محمد الجواد عليه السلام

❖ م.م. محمد هاشم الحمداني (*)

(*) باحث وأكاديمي / جامعة كربلاء.



هو محمد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي السجاد ابن الحسين السبط ابن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب القرشي ، الهاشمي ، العلوي ، المدني ، أبو جعفر الثاني ، الملقب بالجواد والمرضى والمنتجب والقانع .

الامام التاسع من أئمة أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وفرع من فروع الشجرة النبوية ، وغصن من أغصان النبتة العلوية أمه أم ولد ، كانت تدعى سبيكة ، وقيل سكينه النوبية .

كان عليه السلام أفضل أهل عصره في العبادة والزهد والتقوى ، واكثرهم احاطة بالعلوم والمعارف والآداب ، واكملهم عقلا ، واكثرهم ذكاء ، وأجلهم حكمة ونبوغا .

ولد عليه السلام بالمدينة المنورة في شهر رمضان سنة ١٩٥ هـ ، فتربى في أحضان الامامة والعصمة ، فاخذ ينهل

من معين مدرسة أبيه الامام الرضا عليه السلام ، فاستوعب العلوم والمعارف وكل ما هو خير وفاضل ، فأصبح آية من آيات الله وحجة من حججه مع صغر سنه ونعومة اخفاره ، ولم يزل في ريعان الصبا حيث فقد أبيه وهو لم يبلغ الثامنة من عمره الشريف .

تبوأ منصب الامامة والخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٨٣ هـ ، وعمره يومئذ سبع سنين واشهرها ، بنص وإشارة من أبيه لتكامل فضله وعلو كعبه في مدارج العلوم والمعارف .

عاصر من ملوك بني العباس كلا من المأمون والمعتصم ، ففي أيام المأمون تنفس الامام عليه السلام الصعداء ، حيث لقي منه الاكرام والتعظيم ، وزوجه المأمون من ابنته أم الفضل ببغداد ، فحملها معه الى مدينة المنورة ، فأولدت له الامام علي الهادي عليه السلام ، وموسى ، وفاطمة ، وأمامة ، وأم كلثوم ، وخديجة ، وحليمة .

ولم يزل الامام عليه السلام يسكن المدينة المنورة حتى ملك المعتصم العباسي - العدو للدود لآل البيت عليه السلام - فاشخصه الى بغداد ، فدخلها ولقي بها صنوف العذاب من جزار عصره المعتصم وزبانيته حتى دس له السم وقتله ببغداد في شهر ذي القعدة ، وقيل في الخامس من ذي الحجة سنة ٢٢٠ هـ ، وقيل سنة ٢١٩ هـ ، فدفن بها في مقابر قريش عند مرقده الامام الكاظم عليه السلام ، فأصبح مرقده من البقاع المقدسة لدى الشيعة والمسلمين في العالم ، يقصدونه من شتى بقاع المعمورة للتقرب به الى الله وقضاء حوائجهم .

وباستشهاده خسرت البشرية عامة والامة الاسلامية خاصة نابغة من نوابع الدهر وآية من آيات الله العظمى .

كانت تلك نبذة مختصرة عن حياة امامنا الامام الجواد عليه السلام ، وإليك سيدي القارئ بعض نصوص اقوال العلماء والمؤرخين والمحققين حول بعض جوانب حياته عليه السلام .

١ - سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٣٥٨ :

هو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكنيته ابو عبد

الله ، وقيل أبو جعفر .

ولد سنة ١٩٥ من الهجرة ، وتوفي سنة ٢٢٠ ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وكان منهجاً أبيه في العلم والتقوى والزهد والجود .

ولما مات أبوه قدم على المأمون فأكرمه وأعطاه ما كان يعطي أباه ، وكان قد زوجه المأمون بابنته أم الفضل .

واختلفوا هل زوجه قبل وفاة أبيه أو بعده فيه قولان ، والامامية تروي خبراً طويلاً فيه ان المأمون لما زوجه كان عمر محمد الجواد سبع سنين وأشهر ، وانه هو الذي خطب خطبة النكاح ، وان العباسيين شغبوا على المأمون ورشوا القاضي يحيى بن أكثم حتى وضع مسائل ليخطئ بها محمد الجواد ويمتحنه ، وان الجواد خرج عن الجميع ، وهو حديث طويل ذكره المفيد في كتاب (الارشاد) والله أعلم .

وكان يلقب بالمرتضى والقانع ، وكانت وفاته ببغداد في خامس ذي الحجة ، ودفن الى جانب جده موسى بن جعفر بمقابر قريش ، وقبره ظاهر يزار ، وأمّه سكيّنة ، وكان له أولاد المشهور منهم علي (الامام) .

٢ - ابن الأثير في الكامل ج ٦ صفحة ٤١٧ :

ثم دخلت سنة ٢١٥ هـ . فلما صار المأمون بتكريت قدم

عليه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن (الحسين) بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلقبه بها فأجاره وأمره بالدخول بابنته أم الفضل ، وكان زوجها منه ، فادخلت عليه ، فلما كان أيام الحج سار بأهله الى المدينة فأقام بها .

وفي الصفحة ٤٥٥ من نفس الجزء جاء :

محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ، توفي ببغداد ، وكان قدمها ومعه امرأته أم الفضل ابنة المأمون ، وصلى عليه الوائق ، وكان عمره خمسا وعشرين سنة ، وكانت وفاته في ذي الحجة ، وقيل في سبب موته غير ذلك .

٣ - المسعودي في مروج الذهب الجزء الرابع ص ٥٢ :

وفي هذه السنة - وهي سنة ٢١٩ هـ - قبض محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب ، وذلك لخمس خلون من ذي الحجة ، ودفن ببغداد في الجانب الغربي بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وصلى عليه الوائق ، وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وقبض أبوه علي بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية أشهر وقيل غير ذلك ،

وقيل ان أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة الى المعتصم سمته ، وانما ذكرنا من أمره ما وصفنا لأن أهل الامامة اختلفوا في مقدار سنه عند وفاة أبيه ، وقد أتينا على ما قيل في ذلك في رسالة « البيان في أسماء الأئمة » وما قالت في ذلك الشيعة في القطعية .

٤ - الزركلي في الأعلام الجزء السادس ص ٢٧١ :

ولادته ١٩٥ هـ ، وفاته ٢٢٠ هـ .

محمد بن علي الرضي ابن موسى الكاظم الطالبي الهاشمي القرشي ، أبو جعفر ، الملقب بالجواد : تاسع الأئمة الاثني عشر عند الامامية .

كان رفيع القدر كأسلافه ، ذكيا ، طلق اللسان ، قوي البديهة ، ولد في المدينة وانتقل مع أبيه الى بغداد ، وتوفي والده فكفله المأمون العباسي ورباه وزوجه ابنته « أم الفضل » وقدم المدينة ثم عاد الى بغداد فتوفي فيها .

٥ - اليافعي في مرآة الجنان الجزء الثاني ص ٨٠ في حوادث سنة ٢٢٠ هـ :

وفيهما توفي الشريف ابو جعفر محمد الجواد بن علي الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر أحد الاثني عشر اماما الذين يدعي الرافضة فيهم

علي الرضا بن موسى الكاظم الحسيني . أحد الاثنى عشر اماما الذين يدعي الرافضة فيهم العصمة ، وله خمس وعشرون سنة ، وكان المأمون قد نوه بذكره وزوجه بابنة وسكن بها بالمدينة ، فكان المأمون ينفذ إليه في السنة ألف ألف درهم اداء كريم . وفد على المعتصم فاکرم مورده ، توفي ببغداد في آخر السنة ودفن عند جده موسى ومشهدهما ينتابه العامة بالزيارة .

٧ - الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد الجزء الثالث ص ٥٤ :

محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الرضا (الجواد) .

قدم من مدينة رسول الله ﷺ الى بغداد وافدا على أبي اسحاق المعتصم ومعه امرأته أم الفضل بنت المأمون ، فتوفي في بغداد ودفن في مقابر قريش عنده جده موسى بن جعفر ، وحملت امرأته أم الفضل بنت المأمون الى قصر المعتصم فجعلت مع الحرم .

وقد اسند محمد بن علي الحديث عن أبيه ، اخبرنا الحسن بن أبي طالب حدثنا محمد بن عبد الله الشيباني حدثنا محمد بن صالح بن الفيض بن فياض حدثنا أبي

العصمة وعمره خمس وعشرون سنة ، وكان المأمون ينفذ إليه في السنة الف الف درهم (قلت) وقد تقدم ان المأمون زوج ابنته من أبيه علي الرضي ، وكان زوج الأب والابن بنتيه كل واحد بنتا ، وقدم الجواد الى بغداد وافدا على المعتصم ومعه امرأته أم الفضل ابنة المأمون ، فتوفي فيها وحملت امرأته أم الفضل ابنة المأمون ، فتوفي فيها ، وحملت امرأته الى قصر عمها المعتصم فجعلت مع الحرم وكان الجواد يروي مسندا عن آبائه الى علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين انه قال : بعثني رسول الله ﷺ الى اليمن ، فقال لي وهو يوصيني :

يا علي ما جار ، أو قال : ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ، يا علي عليك بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ، يا علي اغد فإن الله بارك لا متى في بكورها .

وكان يقول : من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة ، ولما توفي دفن عند جده موسى بن جعفر في مقابر قريش وصلى عليه الواثق بن المعتصم .

٦ - الذهبي في العبرالجزء الأول ص ٣٨٠ في حوادث سنة ٢٢٠ هـ :

وفيهما (توفي) الشريف أبو جعفر محمد الجواد بن

حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسيني حدثنا ابو جعفر محمد بن علي بن موسى عن أبيه علي عن أبيه موسى عن آبائه عن علي قال : بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقال وهو يوصيني : يا علي ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، يا علي عليك بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ، يا علي اغد بسم الله فان الله بارك لأمتي في بكورها .

أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا أحمد بن اسحاق حدثنا ابراهيم بن نائلة حدثنا جعفر بن محمد بن يزيد قال : كنت ببغداد فقال لي محمد بن منذر بن مهزر : هل لك أن أدخلك على ابن الرضا ؟ قلت : نعم ، قال : فأدخلني فسلمنا عليه وجلسنا ، فقال لي حديث النبي ﷺ : ان فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار .

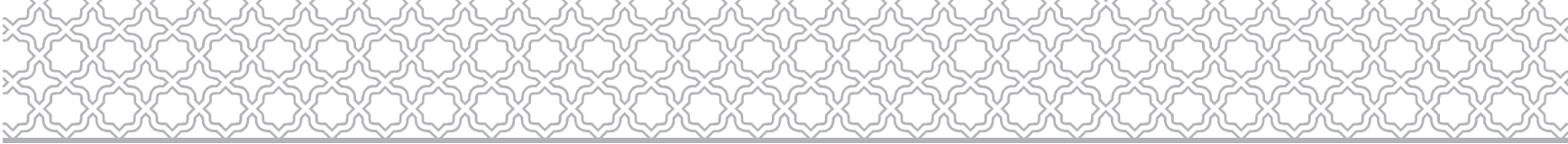
قال : خاص للحسن والحسين .

أخبرني محمد بن الحسين القطان أخبرنا الحسن بن محمد بن يحيى العلوي حدثنا ابو جعفر الحسن بن علي بن جعفر القمي حدثنا جعفر بن محمد ابن مالك الكوفي الأسدي عن عبد الرحمن بن أبي عران عن الحسن بن علي بن جعفر القمي ، حدثنا جعفر بن محمد بن مالك الكوفي الأسدي عن عبد الرحمن بن محمد زيد الشيبه قال : سمعت ابن الرضا محمد بن علي بن موسى يقول :

من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة .
أخبرني علي بن أبي علي حدثنا الحسن بن الحسين الثعالبي أخبرنا أحمد بن عبد الله الذارع حدثنا حرب بن محمد المؤدب حدثنا الحسن بن محمد العمي البصري حدثني أبي محمد بن الحسين عن محمد بن سنان قال :

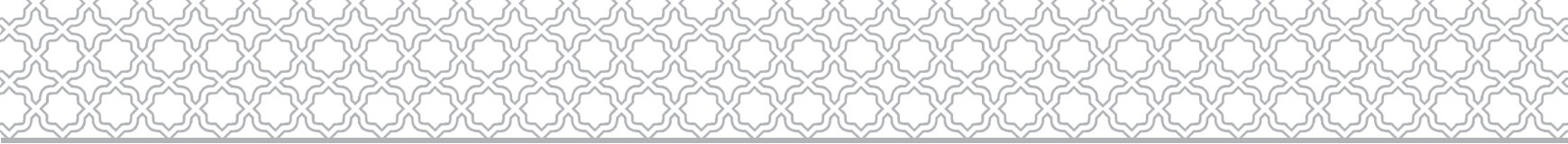
مضى أبو جعفر محمد بن علي وهو ابن خمس وعشرين سنة وثلاثة أشهر واثني عشر يوما ، وكان مولده سنة مائة وخمس وتسعين من الهجرة ، وقبض في يوم الثلاثاء لست ليال خلون من ذي الحجة سنة مائتين وعشرين .

أنبأنا ابراهيم بن مخلد أخبرنا عبد الله بن اسحاق البغوي أخبرنا الحارث بن محمد حدثنا محمد بن سعد قال : سنة عشرين ومائتين فيها توفي محمد بن عليه بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ببغداد ، وكان قدمها على أبي اسحاق من المدينة ، فتوفي فيها يوم الثلاثاء لخمس ليال خلون من ذي الحجة ، وركب هارون بن أبي اسحاق فصلى عليه عند منزلة في رحبة أسوار بن ميمون ناحية قنطرة البردان ، ثم حمل ودفن في مقابر قریش .



مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ

شَيْخُ الشَّرِيعَةِ الإِصْفَهَانِيِّ
قُدِّسَ لَهُ



ولد في (أصفهان) التي صادت ردحا من الزمان مركزا علميا في إيران وطلع هذا البدر الزاهر وظهر إلى عالم الشهود (١٢ ع ٢ في عام ١٢٦٦ هـ) وشب وترعرع وترقب له مستقبلا باهرا وله الاستعداد العجيب لأخذ العلوم ودرس الفنون الأدبية وأكب على العلوم العربية وانقطع إلى العلم والبحث والتحصيل وحضر عند جمع من علماء أصفهان وفضلائها الأعيان منهم العلمان الجليلان المولى حيدر على الأصفهاني والمولى عبد الجبار الخراساني والشيخ العالم المولى أحمد السبزواري والعالم النحرير المولى محمد صادق التنكابني وتلمذ مدة عند العلامة الكبير الشيخ محمد باقر بن العلامة الشهير الشيخ محمد تقى صاحب الحاشية ، ثم هاجر إلى العراق مجازا من أساتذته الاعلام في أصفهان سنة (١٢٩٥ هـ) وحضر عند الفقيه الأكبر الشيخ محمد حسين الكاظمي المتوفى في (١٣٠٨ هـ) وفي عام (١٣١٣ هـ) قصد زيارة مكة

المعظمة زادها الله تعالى شرفا واتفق له في هذه الرحلة المباركة مباحثات كثيرة ومناظرات عديدة مع جمع من أعظم علماء العامة في جملة من المسائل العلمية فتعجبوا من علومه الجمة وإحاطته التامة على الفنون العقلية والنقلية فقفل إلى النجف الأشرف واشتهر صيت تحره في جميع العلوم الإسلامية والفلسفية وغيرها وكان منذ قدومه إلى العراق مدرسا كبيرا في المعقول والمنقول ويشتمل مجلس بحثه على المئات من المشتغلين وهو يحضر في بحث العلامة الأكبر آية الله الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي رحمته الله لرعاية الاحترام إلى ان انتقل الميرزا إلى رحمته الله سنة (١٣١٢ هـ) فتوجهت طلاب العلوم نحوه وازدلفوا إليه للاستفادة من أفكاره العلمية وليس لهم أغراض دينوية ولذا كان مجلس بحثه لا يشتمل الأعلى رواد العلم ورجال الفضيلة وقد القى دروسه العالية على جم غفير من التلامذة المبرزين مع فكره الحر وقوله الصريح ببيانات

كافية وتحقيقات شافية مجاهرا بالدليل صادعا بالحق وله قوة في البيان وجراً في الجنان وسرعة في الخاطر وكان ﷺ آية في الذكاء وقوة الحافظة بحيث يعدّ ذلك من خوارق العادات والخاصة من التأييدات والعنايات التي أودعها الله تعالى في نفسه القدسية وهو وحيد عصره وعلامة دهره في علوم القرآن والحديث والرجال والفقه وأصوله والفلسفة والكلام والمعارف واللغة وفنون الأدب وغيرها وله الإلمام الشديد والمهارة العجيبة في المناظرة مع حسن المحاضرة ، وكان بختاً كبيراً جامعاً للعلوم قلما يوجد نظيره في الجامعية وسعة الاطلاع والتتبع فهو المثل الأعلى من كل فضيلة وله الشبابة التامة في ذلك لزعمائنا الأقدمين وهو نظير لسلفنا الصالح من رؤساء الدين فإنهم كانوا للعلوم جامعين ولدين الله من الناصرين قل ان يوجد منهم من كان علمه منحصر في فن أو فنين كما يظهر من آثارهم الخالدة إلى زماننا هذا : ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا إلى الآثار

ويروي شيخنا المترجم عن أستاذه الفقيه الأكبر الشيخ محمد حسين الكاظمي وعن السيد الحجة الميرزا محمد هاشم الخوانساري الأصفهاني الشهير (بجهار سوقي) المتوفى في (١٣١٨ هـ) صاحب مباني الأصول وعن السيد الخبير السيد محمد باقر الخوانساري في (١٣١٣

هـ) صاحب الروضات الجنات ، وإجازاته لتلامذته مشحونة بذكرهما وعن السيد الحجة الكبير السيد مهدي القزويني الحلي المتوفى في (١٣٠٠ هـ) وعن الفقيه الورع الحجة الشيخ محمد طه نجف التبريزي المتوفى في (١٣٢٣ هـ) وغيرهم من الجهابذة الأجلاء وكان ﷺ ناطقاً بليغاً فصيحاً يعظ تلامذته وعظاً علمياً وقد عين لذلك في كل أسبوع يوماً وقد سعى بقوله وفعله وعلمه في تربية تلامذته ورباهم أحسن تربية وجمع منهم من زعماء عصرنا وأساتذتنا ومراجع زماننا ورؤساء الشيعة اليوم أدام الله ظلالهم ، « وسمعت » كرارا عن حضرة سيدنا الوالد الماجد نور الله ضريحه ان أستاذه شيخنا المترجم وعد لتلامذته ان يباحث في بعض الأيام في المسائل الفرعية التي صدر فيها عن فقيه واحد من فقهاءنا أقوال مختلفة في كتاب واحد أو في كتب متعددة ويبين أدلة كل قول عقيبه وعلّة اختلاف أقواله ثم عمل بما وعده وأتى بشيء عجاب وعكف جمع من تلامذته على تحرير هذا الدرس واشتهر بينهم (بدرس الخلافات) والعلماء كانوا يتعجبون في تدريسه هذا من كثرة إحاطته وإطلاعاته بالفقه وسعة دائرة تتبعاته وتحقيقاته ولا يزال هذا الشيخ الإمام مربياً للعلماء الإعلام إلى ان وقعت نائرة الفتنة البريطانية في العراق العربي وفي أثنائها اتفقت الداهية العظمى وفاة الزعيم الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري سنة (١٣٣٨ هـ) وانتهت

الزعامة الكبرى للشيعه إليه وتوجهت الناس كافة نحوه وانقادوا لرئاسته الدينية فتقلد هذا الإمام للإمامة والمرجعية بلا منازع وصار قائدا روحيا بلا مدافع فاستعمل الرأي السديد وأخذ على أمر الجماعة بيد من حديد واجتهد في الذب عن الدين بالعزم القوى الشديد وقد حفظ له تاريخ العراق مساعي مشكورة ومواقف مشهورة والخدمات الجليلة التي بذلها في سبيل الإصلاح العام لا تنسى على مر القرون والأعوام ولو لا خوف الإطالة لذكرنا شطرا منها .

على أنه ﷺ كان لا يرى لفخامة الزعامة وقرأ ، ولا في مسند الصدارة فخرا ، ولا يطيب بإشارة الأنامل نفسا ، وقد شوهد في بعض خلواته وقد فرغ عن إحدى فرائضه اليومية وهو يناجي ربه ودموعه تجرى على خده الشريف ويقول :

« يا رب صرت في آخر أيام حياتي من الدنيا مبتلى بالرئاسة ومتحملا لأثقال الأمانة إلهي ليس لي التحمل لهذا الأمر العظيم فإن الزعامة الدينية لها الشؤون والتكاليف العظيمة وأنت سائل غدا عنها ممن تقلدها وتحمل أوزارها » .

ولد في (أصفهان) التي صادت ردحا من الزمان مركزا علميا في إيران وطلع هذا البدر الزاهر وظهر إلى عالم الشهود (١٢ ع ٢ في عام ١٢٦٦ هـ) وشب وترعرع وترقب له مستقبلا باهرا وله الاستعداد العجيب لأخذ العلوم

ودرس الفنون الأدبية وأكب على العلوم العربية وانقطع إلى العلم والبحث والتحصيل وحضر عند جمع من علماء أصفهان وفضلائها الأعيان منهم العلمان الجليلان المولى حيدر على الأصفهاني والمولى عبد الجبار الخراساني والشيخ العالم المولى أحمد السبزواري والعالم التحرير المولى محمد صادق التنكابني وتلمذ مدة عند العلامة الكبير الشيخ محمد باقر بن العلامة الشهير الشيخ محمد تقى صاحب الحاشية ، ثم هاجر إلى العراق مجازا من أسانته الاعلام في أصفهان سنة (١٢٩٥ هـ) وحضر عند الفقيه الأكبر الشيخ محمد حسين الكاظمي المتوفى في (١٣٠٨ هـ) وفي عام (١٣١٣ هـ) قصد زيارة مكة المعظمة زادها الله تعالى شرفا واتفق له في هذه الرحلة المباركة مباحثات كثيرة ومناظرات عديدة مع جمع من أعظم علماء العامة في جملة من المسائل العلمية فتعجبوا من علومه الجمة وإحاطته التامة على الفنون العقلية والنقلية فقفل إلى النجف الأشرف واشتهر صيت تبهره في جميع العلوم الإسلامية والفلسفية وغيرها وكان منذ قدومه إلى العراق مدرسا كبيرا في المعقول والمنقول ويشتمل مجلس بحثه على المئات من المشتغلين وهو يحضر في بحث العلامة الأكبر آية الله الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي ﷺ لرعاية الاحترام إلى ان انتقل الميرزا إلى ﷺ سنة (١٣١٢ هـ) فتوجهت طلاب العلوم نحوه وازدلفوا إليه

للاستفادة من أفكاره العلمية وليس لهم أغراض دنيوية ولذا كان مجلس بحثه لا يشتمل الأعلى رواد العلم ورجال الفضيلة وقد القى دروسه العالية على جم غفير من التلامذة المبرزين مع فكره الحر وقوله الصريح ببيانات كافية وتحقيقات شافية مجاهرا بالدليل صادعا بالحق وله قوة في البيان وجراءة في الجنان وسرعة في الخاطر وكان ﷺ آية في الذكاء وقوة الحافظة بحيث يعدّ ذلك من خوارق العادات والخاصة من التأييدات والعنايات التي أودعها الله تعالى في نفسه القدسية وهو وحيد عصره وعلامة دهره في علوم القرآن والحديث والرجال والفقه وأصوله والفلسفة والكلام والمعارف واللغة وفنون الأدب وغيرها وله الإلمام الشديد والمهارة العجيبة في المناظرة مع حسن المحاضرة ، وكان بحاثة كبيرا جامعا للعلوم قلما يوجد نظيره في الجامعية وسعة الاطلاع والتتبع فهو المثل الا على من كل فضيلة وله الشبابة التامة في ذلك لزعمائنا الأقدمين وهو نظير لسلفنا الصالح من رؤساء الدين فإنهم كانوا للعلوم جامعين ولدين الله من الناصرين قل ان يوجد منهم من كان علمه منحصر في فن أو فنين كما يظهر من آثارهم الخالدة إلى زماننا هذا : ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا إلى الآثار

ويروى شيخنا المترجم عن أستاذه الفقيه الأكبر الشيخ

محمد حسين الكاظمي وعن السيد الحجة الميرزا محمد هاشم الخوانساري الأصفهاني الشهير (بجهار سوقي) المتوفى في (١٣١٨ هـ) صاحب مباني الأصول وعن السيد الخبير السيد محمد باقر الخوانساري في (١٣١٣ هـ) صاحب الروضات الجنات ، وإجازاته لتلامذته مشحونة بذكرهما وعن السيد الحجة الكبير السيد مهدي القزويني الحلبي المتوفى في (١٣٠٠ هـ) وعن الفقيه الورع الحجة الشيخ محمد طه نجف التبريزي المتوفى في (١٣٢٣ هـ) وغيرهم من الجهابذة الأجلاء وكان ﷺ ناطقا بليغا فصيحاً يعظ تلامذته وعظا علميا وقد عين لذلك في كل أسبوع يوما وقد سعى بقوله وفعله وعلمه في تربية تلامذته ورباهم أحسن تربية وجمع منهم من زعماء عصرنا وأساتذتنا ومراجع زماننا ورؤساء الشيعة اليوم أدام الله ظلالهم ، « وسمعت » كرازا عن حضرة سيدنا الوالد الماجد نور الله ضريحه ان أستاذه شيخنا المترجم وعد لتلامذته ان يباحث في بعض الأيام في المسائل الفرعية التي صدر فيها عن فقيه واحد من فقهاءنا أقوال مختلفة في كتاب واحد أو في كتب متعددة ويبين أدلة كل قول عقيبه وعلة اختلاف أقواله ثم عمل بما وعده وأتى بشيء عجاب وعكف جمع من تلامذته على تحرير هذا الدرس واشتهر بينهم (بدرس الخلافات) والعلماء كانوا يتعجبون في تدريسه هذا من كثرة إحاطته وإطلاعاته بالفقه وسعة دائرة تتبعاته

وتحقيقاته ولا يزال هذا الشيخ الإمام مربيا للعلماء الإعلام إلى ان وقعت نائرة الفتنة البريطانية في العراق العربي وفي أثنائها اتفقت الداهية العظمى وفاة الزعيم الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري سنة (١٣٣٨ هـ) وانتهت الزعامة الكبرى للشيعه إليه وتوجهت الناس كافة نحوه وانقادوا لرئاسته الدينية فتقلد هذا الإمام للإمامة والمرجعية بلا منازع وصار قائدا روحيا بلا مدافع فاستعمل الرأي السديد وأخذ على أمر الجماعة بيد من حديد واجتهد في الذبّ عن الدين بالعزم القوى الشديد وقد حفظ له تاريخ العراق مساعي مشكورة ومواقف مشهورة والخدمات الجليلة التي بذلها في سبيل الإصلاح العام لا تنسى على

مر القرون والأعوام ولو لا خوف الإطالة لذكرنا شطرا منها . على أنه ﷺ كان لا يرى لفخامة الزعامة وقرأ ، ولا في مسند الصدارة فخرا ، ولا يطيب بإشارة الأنامل نفسا ، وقد شوهده في بعض خلواته وقد فرغ عن إحدى فرائضه اليومية وهو يناجي ربه ودموعه تجري على خده الشريف ويقول :

« يا رب صرت في آخر أيام حياتي من الدنيا مبتلى بالرئاسة ومتحملا لأنثقال الأمانة إلهي ليس لي التحمل لهذا الأمر العظيم فإن الزعامة الدينية لها الشؤون والتكاليف العظيمة وأنت سائل غدا عنها ممن تقلدها وتحمل أوزارها » .

